
حمى سنة
نظرات في مسيرة الصراع الديني ضد المسلمين
تأليف
عبد العزيز مصطفى كامل



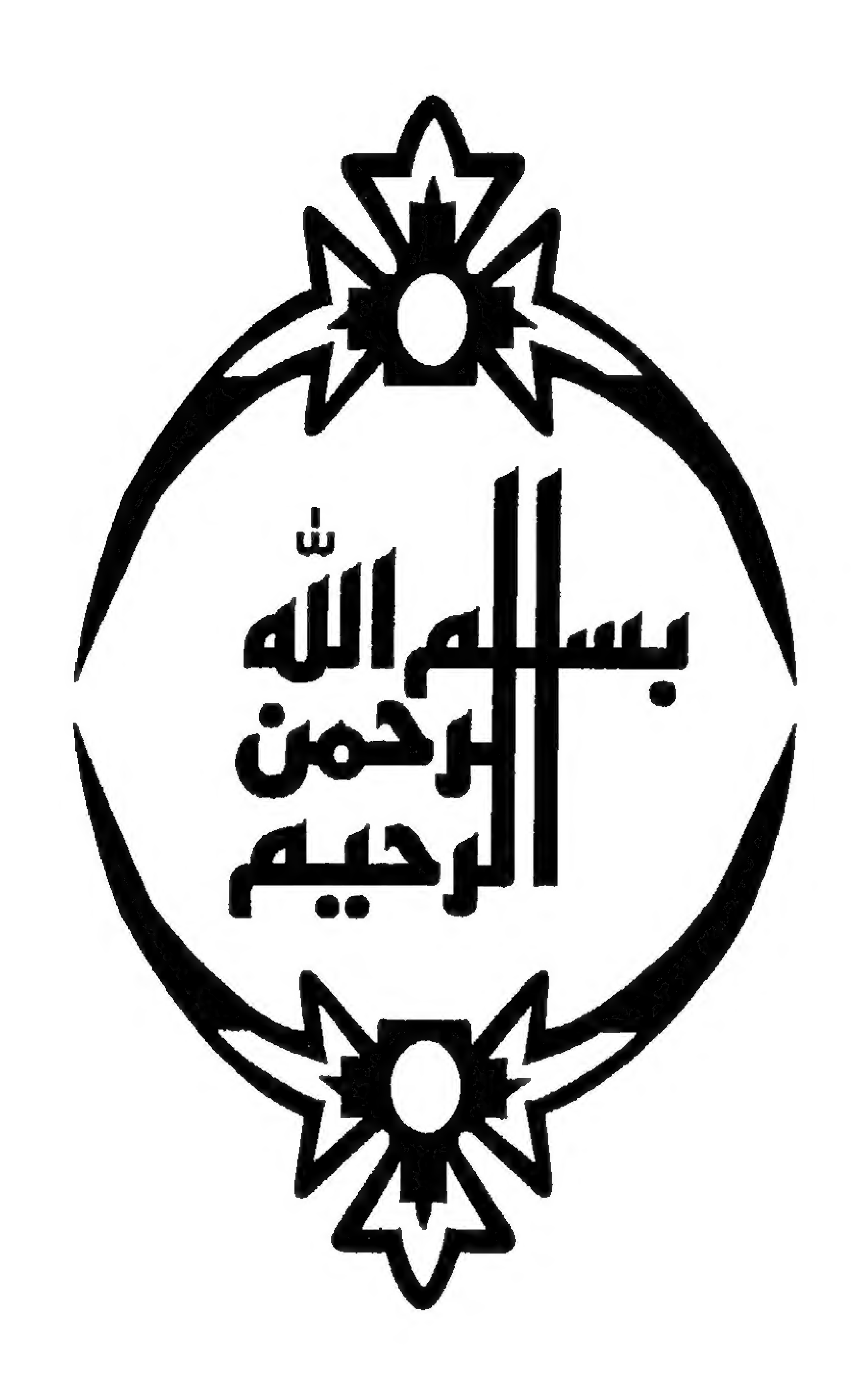
تأليف

عبد العزيز مصطفى كامل

طبعة خاصة بجمهورية مصر العربية

الطبعة الثالثة
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

رقم الإيداع: ٩٩/١٧٥٦٦



﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ ﴾ .

[الشورى: ١٨].

مقدمــة

الحمد لله الواحد الأحد، والصلاة والسلام على النبي الرسول أحمد ﷺ، الذي بشرت به الرسل، وصرحت باسمه الكتب، وصدقت بنبوته الآيات والمعجزات، وبعد.

فقد شاء الله ـ تعالى ـ أن يستمر إلى آخر الزمان، بقاء أمم ثلاث، هم أتباع الكتب السماوية الكبرى التي أنزلها الإله الحق ـ سبحانه ـ نوراً وهدى للناس، فهدى بها من شاء هدايته، وأزاغ عنها من زاغوا وضلوا. وكان ممن زاغ عن الحق أقوام امتدت أيديهم لتحريف تلك الكتب التي استحفظهم الله إياها، فدخل التحريف أولاً في التوراة المنزلة على موسى ـ عليه السلام ـ، فلما ضلت أمة موسى بكثرة التحريف، أرسل ـ تعالى ـ عبده ونبيه عيسى ـ عليه السلام ـ وأنزل عليه الإنجيل فكان مصححاً ومكملاً لشريعة موسى ـ عليه السلام ـ.

ثم امتدت يد التحريف مرة أخرى إلى الكتاب المنزل على عيسى ـ عليه السلام ـ فنالت منه بما لم تنل من التوراة نفسها، حتى ادعى المحرّفون في عيسى ـ عليه السلام ـ أنه إله أو ابن إله.

وكان لا بد من تصحيح آخر يعيد البشرية إلى جادة الصواب؛ فأرسل الله محمداً ﷺ بكتاب معصوم خالد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولم يكل حفظه لأحد، بل تولى حفظه بنفسه فقال ـ سبحانه ـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. واهتدت بهذا الكتاب المبين أمة جعلها الله خير أمة أخرجت للناس.

فلم يبق محفوظاً هادياً إلا القرآن العظيم الذي يزداد من تمسك به هداية واستقامة: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣].

أما اليهود المحرِّفون للتوراة فهم يزدادون انحرافاً كلما تمسكوا بما حرفوه، وكذلك النصارىٰ المحرفون للإنجيل يزدادون ضلالاً كلما تشبثوا بما اخترعوه وألَّفوه.

ولما كان أصل الكتب السماوية ومصدرها واحداً، فقد وجد فيها ـ رغم التحريف ـ أوجه تشابه مع ما جاء به ديننا في أمور من الأخبار والشرائع، ذلك أن التحريف لم يستوعب الكتب السابقة كلها، ولكن بقيت في التوراة والإنجيل بقايا من الحق، ولهذا قال الرسول ﷺ: «إذا حدثتكم بنو إسرائيل فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بما أنزل إلينا وأنزل إليكم»[١] والحق المتبقي في التوراة والإنجيل قسمان، قسم من الشرائع، وهذه قد نُسخت وألغى العمل بها بعد مجيء الشريعة الخاتمة، وقسم من الأخبار، وتلك نقيسها على ما عندنا من الحق، فما وافقه قبلناه على سبيل الاستئناس وما تلبس به من مبالغات وحكايات ليس في شرعنا ما يصدقه ولا ما يكذبه توقفنا عنه، وإن كان الإذن قد جاء بحكايته[٢] في قوله ﷺ: «بلِّغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»[٣].

هذا.. وقد كان لتمسك أهل الكتابَيْن بموروثاتهم الباطلة، أكبر الأثر في تسيير دفة الأحداث على نحو مسيء في التاريخ، قبل الإسلام وبعده، حيث تصدوا بباطلهم الموروث لدعوات الحق، واشتدت مواجهتهم لأمة الإسلام

(١) أخرجه البخاري في الشهادات (٣٩)، والاعتصام (٢٥)، والتوحيد (٥١).

(٢) انظر مقدمة تفسير ابن كثير.

(٣) أخرجه الترمذي في العلم ٢٦٦٩، وأحمد في المسند (٦٤٤٢)، (٦٤٥٠)، والدارمي في المقدمة (٥٤٢).

خاصة، بدءاً من عهد الرسالة وحتىٰ عصرنا الذي نعيشه، بعد أن حسب الناس حيناً من الدهر أن اليهود والنصارىٰ قد تحولوا عن الدين إلىٰ اللادين بشكل نهائي، وكان شيوع المذاهب الإلحادية والانحلالية العلمانية قد أوهم هذا، ولكن العقود الأخيرة جاءت لتثبت عكس ذلك، إذ أنه ـ ولحكمة يعلمها الله ـ تزامنت يقظة الشعور الديني لدىٰ أهل الكتابين ـ علىٰ المستوىٰ الشعبي ـ مع بدايات الصحوة الإسلامية الأخيرة. ففي أواخر الستينيات الميلادية، وطيلة عقد السبعينيات، بدت مظاهر تلك العودة للدين، وكان لحرب الأيام الستة عام ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م أثر كبير في التحول نحو الدين لدىٰ الجميع، فقد لُبِّس علىٰ اليهود فيها وظنوا أن استيلاءهم علىٰ القدس ووصولهم إلىٰ حائط المعبد الكبير بعد تسعة عشر قرناً من الحرمان والتشرذم، هو إكرام لهم ودليل علىٰ أن رؤىٰ أنبيائهم تتحقق لصالحهم، وكذلك انخدع النصارىٰ الذين زرعوا اليهود في الأرض المقدسة وسقوا نبتهم الخبيثة فيها، وظنوا أن ما معهم من الدين هو الحق، لأنه يتوافق مع نبوءات مدَّعاة عن عودة اليهود في آخر الزمان إلىٰ الإيمان بعيسىٰ ـ عليه السلام ـ عندما ينزل إلىٰ تلك الأرض.

أما المسلمون، فقد أفاقت جماهيرهم المخدرة بالشعارات الثورية، علىٰ وقع كارثة مروعة، قادهم إليها من رفعوا كل الرايات إلا راية الإسلام، فأيقنوا أن بعدهم أو إبعادهم عن الدين كان سبباً أساسياً في تمكن أعدائهم منهم علىٰ ذلك الوجه المخزي.

لقد ظلت تلك المشاعر الدينية تتعاظم في الشرائح التحتية من المجتمعات العربية القريبة من الصراع، وفي مجتمعات اليهود أنفسهم، وفي بعض مجتمعات النصارىٰ، وظهرت آثارها علىٰ شكل جماعات ومنظمات سرية وعلنية، دون أن يظهر أثر واضح علىٰ مستوىٰ سياسات القمة، ولكن المشاعر

الدينية تفاعلت بشكل أكثر لدى الجماعات الدينية اليهودية والنصرانية في السنوات الأخيرة حتى تحولت إلى زخم دافع يؤثر في التوجهات ويريد أن يتحكم في السياسات، فتنامى المد الديني في دولة اليهود حتى أصبح ظاهرة يصعب تجاهلها، وأصبح يهدد النظم العلمانية التي يحرص ساسة اليهود على الظهور بها، وفي كثير من دول النصارى - خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية - أصبحت التكتلات الدينية النصرانية عاملاً حاسماً في إبراز الزعامات وصناعة القرارات. أما على الجانب الآخر؛ فلا زلنا نرى التوجهات الدينية في أكثر البلاد الإسلامية تقابل بالصد والرد، والتنديد والتشريد وفق سياسات جهولة ترفض أن يكون للدين أي وجود مؤثر في بلاد المسلمين. إنه وتحت شعارات عديدة عنيدة مثل (تجفيف المنابع - المواجهة الشاملة - الإجهاض المبكر - إلخ . . .)؛ تجرى على قدم وساق عملية قتل إرادة الأمة في العودة إلى الدين لتمارس حقها، بل واجبها في الريادة والشهادة على العالمين. ولكن إرادة الله التي تحكم كل الإرادات، تأبى إلا أن يكون للحق صوت، وللإسلام جولة، ولهذا رأينا الصحوة الإسلامية المعاصرة تقوى عوداً وترتفع قامة رغم التحديات والمؤامرات، وإن كان قدر الابتلاء وسنة التمحيص تلاحق أفرادها وجماعاتها، لتصفي صفوفهم وتنقي جوهرهم وتنفي بكيرها الخبث عن معادنهم ﴿ **مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ** ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

لقد كانت النقلة إلى الدين منذ ثلاثة عقود، ناتجة عن المنعطف الصعب والصدمة الشعورية لدينا ولدى أعدائنا على حد سواء، فبينما فتنتهم الانتصارات فقد نبهتنا الانكسارات، وهكذا تحدث التحولات في مجرى حياة الأمم عندما تلقى الأحجار في مائها الراكد.

وإنني أتصور أن هناك نقلة أخرىٰ كبيرة ـ بعد النقلة التي أحدثتها حرب الأيام الستة، سوف تحدث تحولاً أعمق وأوسع في المشاعر الدينية عند أصحاب الديانات الثلاث وربما غيرهم، وتلك النقلة المتوقعة سيكون موضوعها ونقطة انطلاقها مع حلول عام ٢٠٠٠ وبدايات القرن الحادي والعشرين للميلاد. ذلك أن عام ألفين سيفصل بين قرنين أو قل بين عصرين، عصر كان يمثل مرحلة المخاض، وعصر تتطلع فيه الأمم إلىٰ الميلاد، فاليهود يرون في العصر القادم عصر العلو الكبير والسيطرة الكاملة والعودة الجماعية لأرض الميعاد، والنصارىٰ يرون فيه عصر الخلاص العالمي، والتعميد الأممي الذي سيعود بعودة المسيح إلىٰ الأرض.

أما المسلمون فالمتوقع أن تتحرك حميتهم الدينية الجماعية مرة أخرىٰ عندما يسمعون دق طبول الحرب علىٰ أبوابهم تخالطها أبواق اليهود وأجراس النصارىٰ فعندها.. وعندها فقط ـ والله أعلم ـ سيجتمعون حول صيحات الأذان، وسيفهمون رنات التكبير ويفقهون كلمات الشهادة.

إن حديث (التوقع) هذا تدعمه شهادات الواقع، فالوقائع التاريخية والمعاصرة تشير بأسهمها كلها إلىٰ أن روح الدين تدب رويداً رويداً في أجساد الأمم بالحق أو بالباطل عندما توشك الحضارات علىٰ التصادم، والتصادم قادم ـ لا بشهادة المفكرين والفلاسفة فحسب ـ بل بشهادة السنن الماضية والنواميس الحاكمة ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥١]. والأرض تفسد إذا ظل الباطل فيها متفرداً متمرداً، وتفسد إذا بقي الحق فيها مجرداً مطارداً، فلا بد أن يدفع الله الحق لملاقاة الباطل، وليس بين الحق والباطل معركة إلا في ساحات الديانات وميادين العقائد.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨]

إن في العالم الآن ظاهرة عامة بين جماهير كبرى من أصحاب الديانات تتحسب لحلول الألفية الثالثة، وتربط بها أحداثاً وأحاديث في السياسة والاجتماع والاقتصاد والبيئة . . . وربما الحرب والسلام، بعد أن يصبغ كل ذلك بصبغة الدين. فالعجيب أن ذلك الربط مرتبط في معظمه بخلفيات دينية وتصورات عقدية تستلهم النبوءات، وتستمد من النصوص والآيات، لتحاول بها فهم المستقبل أو بالأحرى صنع المستقبل.

ولهذا فمن المتوقع أن تتصاعد صرعات (صناعة المستقبل) عند أولئك القوم الذين أدمنوا الشعور بالنجاح حتى ظنوا أنهم سيغالبون القدر.

وموضوع هذا الكتاب محاولة لرصد بعض مظاهر تلك الصرعات الدينية (المستقبلية) عند أهل الكتابين، خاصة ما يتعلق منها بالمستقبل القريب جداً الدالف مع الألفية في سنواتها الأولى.

فعام ٢٠٠٠م أصبح مرضاً أو عرضاً لمرض أشبه بالحمَّى التي تشتد حراراتها على المريض فيهذي في اليقظة هذيان النائم، ولكن أهل الكتاب رغم هذيانهم ليسوا نياماً، بل هم في غاية اليقظة لتحقيق قمة الهذيان، وقمة الهذيان أن يقال: إنهم على الحق والمسلمين على الباطل! وقمة الهذيان أن يقال: إن خلاص البشرية سيكون على يدهم أو يد طائفة منهم، وقمة الهذيان أن يقال: إن علوهم وتكبرهم وتجبرهم دليل على أن الحق معهم، وقمة الهذيان أن يسمح لدينهم الباطل أن يعود ويقود، بينما يحجر على الدين الحق أن ينهض ويصعد.

إننا مقبلون علىٰ مواجهة حتمية معهم، لكشف الزيغ الذي يدعونه والزيف الذي ينشرونه، والسنوات القليلة القادمة، ربما تشهد بدايات الصدام العقائدي الكبير معهم، والحق أبلج ودين الله غلاب ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١].

إن للصدام القادم زمان ومكان، أما الزمان فهم يدعون أن الدخول الفعلي فيه سيكون مع بدايات القرن الحادي والعشرين للميلاد.

وأما المكان، فدعواهم ودعوانا، وإيمانهم وإيماننا واعتقادهم واعتقادنا أنه سيكون في الأرض الوسط والبقعة المباركة والصعيد المقدس علىٰ أرض الشام وما حولها من بقاع في مصر والعراق والحجاز، تلك الأراضي التي أسموها قديماً (أرض الميعاد) واصطلحوا علىٰ تسميتها حديثاً بـ (إسرائيل الكبرىٰ).

فعلىٰ تلك الأرض الموعودة سيكون الموعد، وسيكون اللقاء الحتمي والصدام الكبير، حيث ستشهد تلك الأراضي الواقعة بين النيل والفرات أعظم الملاحم وأكبر الأحداث والتحولات في الزمان الأخير، كما شهدت أعظم الملاحم وأكبر الأحداث والتحولات في الزمان القديم، فأرض العراق التي ولد فيها إبراهيم ـ عليه السلام ـ وأرض الشام التي بعث فيها عيسىٰ ـ عليه السلام ـ وأرض مصر التي عاش فيها موسىٰ ـ عليه السلام ـ وأرض الحجاز التي تشرفت بمبعث محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ، كلها ستشهد أحداثاً عظاماً وأموراً جساماً كما دلت علىٰ ذلك الأخبار الصحاح، ولهذا فلا عجب أن تظل منطقة (الشرق الأوسط) هي البقعة الملتهبة طوال قرن منصرم، وكأنها تهيأ للاشتعال في القرن الذي يليه.

إن مع اليهود نبوءات، ومع النصارىٰ نبوءات، وعند المسلمين أصدق النبوءات بأن أرض الشام والحجاز وما حولهما سوف تكون حلبة الصراع الأخير بين الأمم، وإن النور الذي انبلج فجره في أرض الحجاز مع بعث خير البشر محمد ﷺ سوف يسطع مرة أخرىٰ في الأرض المقدسة مع عودة أخيه والمبشر به والحاكم بدينه عند عودته ـ وهو عيسىٰ عليه السلام ـ.

فالنور ذاته الذي شع من مكة في الزمان الأول للإسلام، سيشع مرة أخرىٰ من بيت المقدس في الزمان الأخير للإسلام، لأن بين النورين طريق قد شُق بالإسراء، فمحطته الأولىٰ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ...﴾ [العلق: ١] ومحطته الأخيرة ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ...﴾ [الإسراء: ١].

يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ «دل الكتاب والسنة وما رُوىٰ عن الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ» مع ما عُلم بالحس والعقل، أن الخلق والأمر ابتدءا من مكة أم القرىٰ، فهي أم الخلق، وفيها ابتدأت الرسالة المحمدية، التي طبق نورها الأرض، وهي التي جعلها الله قياماً للناس، إليها يصلون ويحجون ويقوم بها ـ ما شاء الله ـ من مصالح دينهم ودنياهم، فكان الإسلام في الزمان الأول ظهوره بالحجاز أعظم، ودلت الدلائل المذكورة أن ملك النبوة بالشام والحشر إليها، فإلىٰ بيت المقدس وما حوله يعود الخلق والأمر، وهناك يحشر الخلق، والإسلام في آخر الزمان أظهر بالشام، وكما أن مكة أفضل من بيت المقدس، فأول الأمة خير من آخرها، كما أنه في آخر الزمان يعود الأمر إلىٰ الشام كما أسرىٰ بالنبي ﷺ من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ[1].

وعلىٰ شكل قريب من اعتقاد المسلمين في تمكين أهل الحق في تلك الأرض

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية، ج٢٧، ص ٤٣ـ٤٤.

قبل قيام الساعة، توجد اعتقادات متشابهة عند اليهود والنصارىٰ تخص كلاً منهم تربط بين الأرض والشعب والزمن هناك.

فاليهود والنصارىٰ يعتقدون أن الأرض المقدسة والشعب (المقدس) والزمن المقدس قد أوشكوا جميعاً علىٰ الالتحام في أرض (الميعاد) التي تسمىٰ أيضاً أرض (المَعَاد)، أي الزمن الأخير الذي سيشهد الأحداث الأخيرة، فكلا الأمتين تعتقدان أن الفصول الكبرىٰ في ملحمة (نهاية التاريخ) ستكون علىٰ هذه الأرض، أرض المَعَاد أو الميعاد أو . . (إسرائيل الكبرىٰ) كما يسمونها.

وهذا ما يجعل من استقصاء العقائد والأفكار والمخططات المتعلقة بالزمن الأخير - الذي يرجحون أنه في (الألفية الثالثة) - أمراً في غاية الأهمية، لمن أراد أن يستوعب خلفيات وتشعبات أكبر قضايا العصر، المسماة (قضية الشرق الأوسط).

الرياض في غرة ربيع الآخر ١٤٢٠هـ
الموافق ١٣ يوليو ١٩٩٩م

عبدالعزيز بن مصطفى كامل

محاضر الثقافة الإسلامية بكلية التربية
جامعة الملك سعود بالرياض
وباحث الدكتوراة
بكلية الدراسات الإسلامية
جامعة الأزهر

توطئة

لكي نعي أبعاد وخلفيات الحديث عن الصراع القديم والحديث حول أرض الرسالات ومهد الديانات، لا بد لنا من استحضار حقائق دينية وتاريخية عن ذلك الموروث المقدس في تلك البقاع المباركة التي أرادوا التعمية على ما يراد لها عندما أطلقوا عليها تسمية (الشرق الأوسط)[1]. فصارت في العالمين معضلة ومشكلة تستعصي على الحلول.

واستعصاؤها على أي حل، لم يكن إلا لأن أهل الكتابيين أرادوا لها حلاً واحداً، هو المستمد من كتبهم التي كانت مقدسة ثم غدت محرفة، ولهذا استمرت وستستمر (أزمة) الشرق الأوسط حتى يراجع المسلمون وجهتهم في مواجهتها بمنهج الدين القويم.

الوعد الإلهي يتحقق لأمة محمد ﷺ:

إن الأرض الواسعة التي يطلق عليها أهل الكتاب (أرض الموعد) هي الأرض التي وعدها الله الصالحين من ذرية إبراهيم ـ عليه السلام ـ ليؤموا منها العالمين بالدين الصحيح، وذلك في قوله ـ تعالى ـ لإبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ [البقرة: ١٢٤].

وكان الصالحون من ذرية إبراهيم ـ عليه السلام ـ ممثلين في أبناء يعقوب (بني إسرائيل) وأبناء إسماعيل (العرب). ولقد تناوبوا على وراثة الأرض

---

(١) الشرق الأوسط جغرافياً يطلق على الأرض الممتدة من إيران شرقاً إلى بلاد المغرب العربي، ومن تركيا شمالاً إلى جنوب الجزيرة العربية جنوباً، وهي منطقة الأحداث الكبرى على مر التاريخ، ولكن الاستعمال الإعلامي يحصرها في منطقة الصراع بين العرب و(إسرائيل) في الغالب.

الموعودة وراثة شرعية بحسب استمساكهم بالدين القويم، فالوعد ليس مرتبطاً بجنس أو عرق أو لون حتى يدعيه العرب حيناً لعروبتهم، واليهود حيناً لإسرائيليتهم، ولكنه مرتبط بالمنهج الحق، ولهذا فمن حاد عن المنهج الحق فليس له مثقال ذرة من حق في وراثة الأرض المقدسة ولو وُلد فيها أجداده وعاش فيها أحفاده، فهي ليست ملكاً عرقياً أو حتى تاريخياً، بل عقد تمليكها ممنوح لورثة وحيدين وهم المتقون: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]. وعلى هذا فالوعد لذرية إبراهيم وعد شرعي لا وعد قدري.

وتلك الأرض الواسعة التي جاء بشأنها الوعد، تحوي بين أحضانها أرضين مقدستين عند الله ـ تعالى ـ، قد ارتبطت بهما شعائر وشرائع الأديان الصحيحة، وهما الحجاز وبيت المقدس، وقدسيتها أزلية أبدية بتقديس الله لهما. وقد حُفتا بحميً من الأرض، بما يشبه ما يسمى في عصرنا بـ(الشريط الأمني). ويمثله الأراضي الممتدة من شرق النيل إلى غرب الفرات، والأراضي الممتدة من شمال الشام إلى جنوب الجزيرة، فهذه الأراضي هي حمى الأرضين المقدستين في بيت المقدس والحجاز. وكلما امتنعت أرض الحمى، كلما أمنت الأرض المحمية داخلها.

ويؤسفنا أن نقول إنه كلما وهنت أرض الحمى؛ كلما كثرت المخاوف على الأرض المحمية داخلها.

والقداسة كانت في زمان ما قبل البعثة مركزة على بيت المقدس وما حوله، فبها ارتبطت شرائع الأنبياء السابقين، وجُلهم من بني إسرائيل، فلما جاء الإسلام وارتبط ركنان من شرائعه وشعائره بمكة ـ وهما الصلاة والحج ـ تركز التقديس في الإسلام على مكة، ولكنه لم ينتف عن أرض بيت المقدس، فهي

مقدسة ما بقيت السماوات والأرض، ولهذا أورثها الله - تعالىٰ - للأمة التي تعرف لها حرمتها وقدسيتها، فتنأىٰ بها عن الكفر الذي قارفه اليهود، والشرك الذي دان به النصارىٰ. إنه لا يصح عند الله والصالحين من عباد الله أن يُعبد غير الإله أو يعظم سواه في أرضه التي قدسها وشرفها.

فالصالحون من عباد الله من الأنبياء وأتباع الأنبياء في كل الأزمان، ما كان لهم أن يرضوا أن تحول المساجد الكبرىٰ في الديانات الصحيحة إلىٰ أماكن تمارس فيها الوثنية، وتقام فيها الشعائر الشركية والكفرية، ولهذا فقد كانوا يبذلون أرواحهم ودماءهم ليحولوا دون تلويثها بعد أن طهرها الأنبياء عن أمر الله لهم، وهم لا يرضون أيضاً أن تحوَّل البلاد التي تحوي تلك المساجد إلىٰ أوطان للمشركين، أو ديار للكافرين، فإن ذلك - فوق أنه يدنس الأراضي المقدسة - فهو يهدد المساجد المطهرة.

عبقرية الفتح الإسلامي:

لعل هذا المنطق السهل البسيط، هو الذي يمكننا من فهم ذلك التدرج التلقائي الذي سارت عليه فتوح الإسلام، منذ فتح مكة وتطهير الجزيرة كلها علىٰ عهد الرسول ﷺ، ثم الشروع في فتح الشام في عهد أبي بكر - رضي الله عنه - إلىٰ أن تم فتح بيت المقدس في عهد الفاروق عمر - رضي الله عنه - الذي أطلق الجيوش شرقاً إلىٰ أرض الفرات، ثم وجهها غرباً إلىٰ أرض النيل، وبهذا لم يمض عهد النبوة والخلافة الراشدة إلا وقد تحقق الوعد الإلهي بوراثة الأرض الموعودة للصالحين من ذرية إبراهيم - عليه السلام -، بعد إنهاء سيطرة من كفر من ذريته علىٰ تلك الأرض: ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦].

قد يحتاج الأمر إلىٰ تفصيل أكثر فيما يتعلق بالأرضين المقدستين داخل الأرض الكبرىٰ الممتدة من النيل إلىٰ الفرات، فإن ذلك سيعين كثيراً علىٰ فهم أبعاد الأحداث المتعلقة بهما في التاريخ القديم والمعاصر.

الأرض المختارة ودوائر التقديس:

نحن أمام أرضين متجاورتين، جعلهما الله مباركتين، وجعل لكل منهما خصوصية ولكل منهما فضائل؛ فاختار أرض الشام، واختار أرض الجزيرة العربية ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨] وفي قدسية أجزاء كل من الأرضين مراتب ودرجات، فإذا تخيلناهما دائرتين كبيرتين، فإن داخل كل دائرة منهما دوائر أصغر ولكنها أقدس، فالجزيرة العربية دائرة كبيرة من الأرض اختارها الله - تعالىٰ - وخصها بفضائل، فهي وطن الإسلام - كما كان يصفها الشيخ رشيد رضا - ويدل علىٰ خصوصيتها في ديننا أن الله - تعالىٰ - اختارها مهداً لدعوة أفضل الأنبياء، ومهبطاً لأفضل الملائكة، ومتنزلاً لأفضل الكتب وداراً لخير أجيال البشر بعد الأنبياء وهم الصحابة - رضوان الله عليهم - ويدل علىٰ خصوصيتها أيضاً أن الله - تعالىٰ - أرادها خالصة - بعد بعثة الرسول ﷺ - للتوحيد كما صح بذلك الحديث: «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب»[1] ولهذا كان جهاد الرسول ﷺ كله تقريباً لتخليصها من الوثنية الجاهلية، وقد أمر بتطهيرها من الشركيات والكفريات اليهودية والنصرانية، فقال ﷺ: «لأخرجن اليهود والنصارىٰ من جزيرة العرب حتىٰ لا أدع إلا مسلماً»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في الشروط (٢٧٣٠) ومسلم في المساقاة (١٥٥١) وأبو داود في الخراج (٣٠٠٧).

(٢) صحيح مسلم (٣/ ١٣٨٨) (٣٢) كتاب الجهاد والسير (٢١) رقم ٦٣.

فجزيرة العرب دائرة كبرىٰ، وداخلها دائرة أصغر، وهي أخصُّ في الفضل وهي أرض الحجاز المشتملة علىٰ أرضَيِ الحرمين الشريفين، ومن فضلهما أنهما مأوىٰ أهل الإيمان كلما اشتدت الفتن وتقارب الزمان قال ﷺ: «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها»[1]. وداخل أرض الحجاز دائرتان إحداهما المدينة، وهي حرم بحدودها فيما بين الحرَّتين، وداخل المدينة دائرة أصغر وأقدس، وهي أرض الحرم النبوي الشريف الذي تُضاعَف فيه الصلاة ويُؤم بالزيارة، وفيه يرقد خير من واراه الثرىٰ ﷺ. وداخل الحرم النبوي بقعة أصغر وأقدس وهي الروضة النبوية الشريفة التي قال عنها ﷺ: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة»[2].

أما الدائرة الأخرىٰ داخل أرض الحجاز فهي مكة المكرمة بحدودها المعروفة، وهي أحب البلاد إلىٰ الله، وداخلها دائرة أصغر وهي (بكة) أي الأرض المحيطة بالكعبة، أرض الحرم التي قال الله ـ تعالىٰ ـ فيها: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦] وداخل (بكة) دائرة أصغر وأقدس وهي الساحة المحيطة بالكعبة والمشتملة علىٰ مقام إبراهيم والحطيم وبئر زمزم. . وفضائلها معروفة، وداخل تلك الدائرة دائرة أصغر ولكنها أقدس وهي الكعبة نفسها التي نقصدها في صلاتنا ودعائنا ومناسكنا، وأقدس ما فيها الحجر الأسود الذي نتقرب إلىٰ الله بتقبيله واستلامه.

ونأتي إلىٰ الدائرة الكبرىٰ الأخرىٰ، وهي الأرض الواقعة بين النيل والفرات، فلا شك أن لتلك الأرض خصوصية، ويدل علىٰ ذلك قول

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٤٦).
(٢) أخرجه البخاري (١١٩٥).

الرسول ﷺ: «. . والنيل والفرات كلٌّ من أنهار الجنة»(١) وداخلها دائرة أصغر ولكنها أقدس وهي أرض الشام، إذ إننا نجد أن لها خصوصية وفضلاً بكمالها، فهي الأرض الموصوفة بالقدسية والبركة في كثير من آيات القرآن؛ قال ـ تعالىٰ ـ عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١] وقال عن موسىٰ ـ عليه السلام ـ: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٢١] ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧]. وقال عن سليمان ـ عليه السلام ـ: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: ٨١] وداخل تلك الدائرة الكبيرة دائرتان: إحداهما سيناء، التي نزل فيها الوحي علىٰ موسىٰ ﷺ فأنزل الله عليه الشريعة، وأجرىٰ علىٰ يديه المعجزات الكثيرة في تلك الأرض التي أقسم الله ـ تعالىٰ ـ بها في قوله: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾ [التين: ١ ـ ٣] وداخلها دائرة أصغر وأقدس، وهي منطقة الطور، التي كلم الله ـ تعالىٰ ـ موسىٰ عند جبلها: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ولأرض الطور خصوصية في آخر الزمان، فهي الأرض التي سيكون فيها مسجد، هو أحد أربعة مساجد لا يدخل الدجال أرضها، وهي المسجد الحرام، ومسجد المدينة، والمسجد الأقصىٰ، ومسجد الطور. وأرض الطور هي أيضاً الأرض التي سوف يتحصن المؤمنون فيها مع عيسىٰ ـ عليه السلام ـ عند اجتياح يأجوج ومأجوج لمنطقة الشرق الأوسط، وتدل علىٰ ذلك الأحاديث الصحاح. والدائرة الأخرىٰ هي أرض بيت المقدس (فلسطين) التي اتخذها سليمان ـ عليه السلام ـ قاعدة لمملكته التي وسعت الأرض، وداخلها دائرة أصغر

(١) أخرجه مسلم (٢٨٣٩).

وهي مدينة القدس نفسها التي اتخذها سليمان ـ عليه السلام ـ عاصمة لمملكته[١]، وداخلها دائرة أصغر وهي المنطقة الواقعة داخل أسوار الأقصىٰ، وهي التي أُسري بالرسول ﷺ إليها وربَط البراق في سورها، وداخلها دائرة أصغر، وهي المنطقة التي تحوىٰ مكان المسجد الأقصىٰ الذىٰ صلىٰ فيه الرسول ﷺ، والصخرة التي عُرج به منها إلىٰ السماء، فالصخرة تستمد خصوصيتها من كونها الأرض التي يُعرج منها إلىٰ السماء، ولها فضل بلا شك في تاريخ الأنبياء ولكن ليس في شريعتنا عبادة متعلقة بها.

قد يقول قائل:

ما علاقة هذا الكلام الأشبه بأبواب الفضائل، في موضوع كتاب سياسي يتناول الصراعات اليهودية والعربية وربما العالمية المستقبلية؟!

والجواب: أن هذا الكلام يتعلق بصلب الصراع ولبابه، ويمثل الخلفية الأصلية لفصوله وأبوابه؛ ذلك أن ما نقدسه نحن المسلمين في الأرض التي وعد الله ذرية إبراهيم بالإمامة فيها؛ يقدس أهل الكتاب مثله ـ بتدرج قريب ـ في تلك الأرض، فهم يشاركوننا في النظر إلىٰ تلك الأرض وما فيها بعين التقديس والتكريم، انطلاقاً من وعد إبراهيم ـ عليه السلام ـ غير أن منطلقاتهم غير منطلقاتنا، وتصوراتهم غير تصوراتنا، ومصادرهم غير مصادرنا؛ لأن عقائدهم غير عقائدنا.

---

(١) كانت مملكة سليمان شاملة للأرض المعمورة كلها، وهذا حديث القرآن عنه: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥]، وقال سفيان الثوري ـ رضي الله عنه ـ «مَلَكَ الأرض أربعة، مؤمنان وكافران: سليمان النبي وذو القرنين، ونمروذ وبختنصر» انظر فتح الباري (٢/ ٤٢). ولكن القدس كانت عاصمة مملكة سليمان ـ عليه السلام ـ.

ولهذا فإن مساعي اليهود مثلاً في التوسع والسيطرة تتدرج في الأهمية مع هذا التدرج في القدسية مع الدائرة الثانية المذكورة، فالدائرة الكبرى من النيل إلى الفرات هي عندهم (أرض الميعاد) أو (إسرائيل الكبرى) من النيل إلى الفرات وهذا هدف استراتيجي بعيد لهم، وهم يسيرون فيه على خطوات، والدائرة التالية (أرض الشام) هدف أقرب، وهي التي بدأوا بها باغتصابهم أرض فلسطين في حرب ١٩٤٨م والتي سموها (إسرائيل)، والدائرة التي تليها هي القدس التي احتلوها في حرب ١٩٦٧م، وأطلقوا عليها (أورشليم) والدائرة التي تليها هي الأرض المحيطة بالمسجد الأقصى وهي التي أزالوا المباني التي فيها ونزعوا ملكيتها، والدائرة التي تليها أرض المسجد الأقصى ومسجد الصخرة التي يعدونها (أرض الهيكل) وأصغر دوائرها وأقدسها هو مكان الصخرة، حيث يعدونها مركز القداسة داخل الهيكل المقدس، في مكان ما يسمونه بـ (قدس الأقداس).

ولما كانت أمة النصارى قد ورثت أمة اليهود، فإن النصارى نظروا إلى أنفسهم على أنهم (الشعب المختار) الثاني، فهم كانوا من بني إسرائيل أيضاً، وقد نظروا إلى اليهود بعد كفرهم بعيسى ـ عليه السلام ـ، على أنهم أمة مرتدة وكافرة، ولهذا فهم أولى بوراثة المقدسات من اليهود، ومن أجل هذا فقد ظلوا مدة من التاريخ ينظرون إلى أنفسهم على أنهم ورثة الوعد، وظهر ذلك جلياً في أثناء الحروب الصليبية، ومما يدل على أن للنصارى أشواق دينية لا زالت ترتبط بتلك الأراضي أن بابا الفاتيكان من المقرر أن يقوم بزيارات في مطلع عام ٢٠٠٠ للأماكن المقدسة في كلٍ من العراق وفلسطين والأردن ومصر حيث يريد أن يطوف على مدن: (أور) بالعراق، وهي التي ولد فيها إبراهيم ـ عليه السلام ـ إضافة إلى جبل الطور في سيناء الذي كلم الله عليه موسى ـ عليه السلام ـ وكذلك

مدن بيت لحم والناصرة في فلسطين، وقال بابا الفاتيكان في صلاة أقامها في ٣٠/ ٦/ ١٩٩٩م «أشعر برغبة جامحة في الصلاة في تلك المناطق المقدسة التي ترك الله فيها آثاره، والتي كنت أود زيارتها منذ كنت أسقفاً في عام ١٩٦٥م» (الشرق الأوسط، ٥/ ٧/ ١٩٩٩م).

ولكني سأركز في هذا الكتاب على تحرك اليهود بالذات في تلك الدوائر كلها - خلال القرن المنصرم - بدءاً من أكبرها وهي دائرة الأرض الواقعة بين النيل إلى الفرات، وانتهاء إلى أصغر الدوائر وهي (قدس الأقداس) داخل الهيكل الثالث، وسأتناول أدوار النصارى أيضاً في مواضعها، لأن لهم شراكة مع اليهود في تقديس مشابه لتلك الدوائر وخاصة الدائرة التي تشمل القدس وما حولها من أراضٍ كان للمسيح - عليه السلام - فيها حياة ودعوة.

ولكن . . لا ينبغي أن ننسى أن اليهود أمة لها دين، وأن لها استمراراً في التاريخ بهذا الدين حتى آخر الزمان، والأمر كذلك بالنسبة للنصارى، وارتباط الأمتين بديانتهما - مع تحريفها -، سيظل مقترناً ومتوازياً من الناحية الزمانية، مع ارتباط الأمة المسلمة بدين الإسلام القويم، لهذا كان الصراع فيما مضى دينياً عقائدياً وسيظل فيما بقي دينياً وعقائدياً - وشاء الله - أن يقترن هذا الارتباط الديني عند الأمم الثلاث بموروث مقدس من الأرض استودعه الله - تعالى - لمن كان على الحق منهم، وهذه حقيقة وعد إبراهيم - عليه السلام - الذي وعده الله بالإمامة فقال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] وستظل المفاصلة مع ضلال اليهود والنصارى ديدن أهل الإيمان من هذه الأمة، ليس في ساحات الصراع فحسب، ولكن في محاريب الصلاة، ولهذا أمرنا الله - تعالى - باستشعار هذا المعنى في كل صلاة فريضة أو نافلة، لنجدد البراءة منهم ومن أديانهم الباطلة، ونجدد المفاصلة العقائدية بيننا

وبينهم، فتتلو في كل صلاة قول الله ـ تعالى ـ ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦ ـ ٧] فالمغضوب عليهم هم اليهود، والضالون هم النصارى؛ كما صح بذلك الحديث[١]، وعلى هذا نجزم أن العلمانية عند اليهود وعند النصارى ظاهرة طارئة وعارضة، وهي في طريقها إلى الأفول ليحل الدين مكانها. . . تماماً كما يظهر الآن أن العلمانية في بلاد المسلمين ليست إلا ظاهرة طارئة وعارضة، وهي أيضاً في طريقها إلى الاختفاء والأفول. . وعندها سيتجرد الصراع بشكله العقائدي، بين حق واضح يمثله المسلمون، وباطل صُراح يمثله اليهود والنصارى. وستكون (أرض إبراهيم) هي ساحة ذلك الصراع في المستقبل، كما هي الآن في الحاضر، وكما كانت في الماضي البعيد.

لهذا أقول: لا ينبغي أن ننظر إلى الأمر نظرة جزئية؛ فالأرض بأكملها مقدسة عند اليهود والنصارى، وهم يتحركون من أجلها وفق تصور مسبق ومعتقد قديم.

وقد أظهرت أعراض حمى سنة ٢٠٠٠ الأبعاد الدينية والروحية التي تقبع خلف السياسات التي يظن الناس أنها بلا خلفيات، ويُتوقع أن تزداد درجة الوضوح في الرؤية الدينية للصراع كلما توغلت عقارب الساعة إلى داخل الألفية الثالثة.

---

(١) في قوله ﷺ: «إن المغضوب عليهم اليهود، وإن النصارى لضالون»، أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٣٧٨) والترمذي (٥/ ١٨٦) (٤٨)، وصححه الألباني في تخريج الطحاوية (٨١١).

الفصل الأول

«إسرائيل الكبرى» والجولة السابعة

إسرائيل الكبرى والجولة السابعة

يحرص اليهود على أن تظل كلمة (إسرائيل الكبرى) تعبيراً غامضاً، إلا أن تتبع مصادرهم العقدية ومخططاتهم السياسية سرعان ما يكشف ذلك الغموض، و (إسرائيل الكبرى) على أية حال، ليست هي بيت المقدس فقط، ولا أرض الشام فحسب. إنها أكبر من ذلك، فهم ينسبون إلى التوراة المنزلة على موسى ـ عليه السلام ـ هذا النص الموجه إلى إبراهيم ـ عليه السلام ـ، عندما قرر اعتزال أبيه وقومه «إذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك»[(١)]، أما حدود هذه الأرض فتدل عليه نصوص أخرى: «وظهر الرب لأبرام[(٢)]، وقال: لنسلك أعطى هذه الأرض، فبنى هناك مذبحاً للرب»[(٣)] «في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلاً، لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات»[(٤)].

إنه لا إشكال ـ وفق مفاهيمنا الإسلامية ـ أن يعطي الإله وعداً بالتمكين لعباده الصالحين، فهذه سنة إلهية ماضية ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، ولا إشكال أيضاً في أن يكون الصالحون من بني إسرائيل محلاً لهذا الوعد أيام كانوا مفضلين على العالمين. أما الإشكال الكبير، فهو أن تحرف تلك النصوص لتظل مربوطة باليهود ارتباطاً أبدياً سواء

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح ١٢/ ١/ ـ ٣.

(٢) (إبرام) هو إبراهيم، وهذه تسميته في التوراة قبل أن يهاجر.

(٣) سفر التكوين، الإصحاح، ١٢/ (٥ـ٧).

(٤) سفر التكوين، الإصحاح ١٥ (١٨ـ ٢١).

استقاموا أم اعوجوا، فكيف تسند الإمامة في الدين إلى قوم قد أُخرجوا من الاصطفاء والاختيار إلى اللعنة والغضب!؟

هذا في الحقيقة هو أس القضية ولُب المشكلة التي لن يفهمها ولن يستطيع التعامل معها إلا من فقه السنن الإلهية، والثوابت الدينية التي تنزلت في كتب السماء، أما الاقتصار في الكلام على الحقوق التاريخية، والأسبقية المعيشية، أو الهجرات القديمة والحديثة، فهذا شأن من لم يفهم ولا يريد أن يفهم.

إن الخطاب العلماني العربي طوال سنى الصراع العربي الإسرائيلي، يردد أطروحة ممجوجة تقول إن العرب اليبوسيين هم أول من سكن (أورشليم) أو أورسالم قبل مجيء بني إسرائيل إليها، ولهذا فهم أصحاب الحق التاريخي فيها! وهذا منطق يمكِّن لليهود أنفسهم الآن أن يدّعوا أحقيتهم بمصر التي عاشوا فيها قبل الفتح العربي الإسلامي، ويمكن للنصارى الأقباط من باب أولى أن يدعوا هذا الحق التاريخي فيها كلها، ويمكن للطوائف والأقليات العرقية القديمة في كل موطن أن يدَّعوا حقاً تاريخياً في كل أرض سبقوا إليها.

إن الحقيقة التي ندين بها: أن الحق في وراثة الأرض المقدسة، بل في الأرض كلها يرجع إلى الثبات على الدين، والدخول في ركب المؤمنين كما قال ـ سبحانه ـ: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ**﴾ [النور: ٥٥]، ﴿**إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [الأعراف:١٢٨]. ﴿**أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ [الأنبياء:١٠٥] لذلك فإن بني إسرائيل لما سكنوا تلك الأرض ـ قبل اللعنة والطرد ـ كانوا أحق بها من الوثنيين العرب، ثم لما تجرد اليهود عن وصف الصلاح، ودخل العرب في الدين الحق، ورَّثهم الله أرض المقدسات ليحموها ويعبدوا الله فيها، ولكن

اليهود المغضوب عليهم، قد حجروا وصف الصلاح في أنفسهم، فهم بزعمهم الجنس الصالح والشعب المختار والأمة المقدسة على الدوام، وهم ـ وفق ذلك ـ يربطون الأرض المقدسة بالشعب (المقدس)، ولذلك فإنهم يسمون الأرض الموعودة (أرض الرب) كما ورد في سفر يوشع (٩/ ٣) ويسمونها الأرض المختارة، فكما أنهم هم الشعب المختار فإن أرض إسرائيل هي الأرض المختارة التي اختارها الرب لسكناه ـ تعالى عما يصفون ـ ، ويزعمون أنه آثر بها اليهود واكتفى لنفسه بـ (أورشليم) التي يعتقدون أن الرب يسكنها. جاء في إصحاح زكريا (٢/ ١٠ ـ ١٢) «ترنمي وافرحي يا بنت صهيون، لأني ها أنذا آتي وأسكن في وسطك والرب يرث يهوذا نصيبه من الأرض المقدسة ويختار لنفسه أورشيلم»!

وادعاؤهم بأن الرب يسكن في (أورشليم) ليس على ظاهره بداهة، ولكنهم بذلك يعبرون عن مدى تشبثهم بأقدس ما لديهم في أرض (إسرائيل الكبرى) وهي القدس التي يساوي التفريط فيها التفريط في (مسكن الرب)!!

إننا في حاجة إلى معرفة الخلفيات العقدية التي تربط اليهود بالأرض الإسلامية في فلسطين وسوريا والأردن والعراق ومصر والحجاز، وفي حاجة إلى الاطلاع على نواياهم المستقبلية تجاهها، وتجاه مشروعهم الديني التوراتي (إسرائيل الكبرى) خاصة وأنهم ـ وبالتعاون مع النصارى ـ قد قطعوا فيه شوطاً قياسياً على مدى نصف قرن فقط.

صحيح أن الأرض تستمد قيمتها من المنهج القائم عليها، ولكن الصحيح أيضاً أن الأراضي التي ارتبطت بالاختيار والاصطفاء الإلهي، لها خصوصيتها في كل الأحوال، فحتى لو تدنست بالكفر أو الشرك، لوجب على الصالحين

تطهيرها، وهذه كانت قصة الجهاد الإسلامي في القرون المفضلة، فما يسميه اليهود (إسرائيل الكبرىٰ) اليوم إنما كان أرض الأمجاد الإسلامية في عصور التمكين.

ومما تجدر الإشارة إليه؛ أن استعمال كلمة (إسرائيل) مرادفاً للدولة عند اليهود يختلف عن استعمال كلمة (إسرائيل) مرادفاً للأرض، فـ(إسرائيل) الدولة هي ما يدخل تحت الحدود التي وصلوا إليها حتىٰ الآن، أما (إسرائيل) الأرض، فهي تنطبق علىٰ كل ما سمىٰ في كتبهم المقدسة (أرض إسرائيل)، فعندما يتحدث الساسة أو الحاخامات عن (أرض إسرائيل)؛ فلا ينبغي أن نفهم ذلك علىٰ أن المقصود به فقط دولة (إسرائيل) القائمة الآن علىٰ أرض فلسطين، فإن هذا قد يراد أحياناً وقد يراد في أحيان أكثر أرض (إسرائيل) بمعناها التوراتي من النيل إلىٰ الفرات.

فكل يهودي يؤمن بالتوراة والتلمود ويقدسهما، يؤمن في الوقت نفسه بحديثهما عن (أرض إسرائيل).

وحديث التوراة عن (إسرائيل) ينصرف في الغالب إلىٰ (الأرض الموعودة) بحدودها الواسعة، واليهود يفهمون ذلك علىٰ أن تلك الأراضي ملك لهم، سواء سكنوها أم لم يسكنوها، وسواء استطاعوا السيطرة عليها أو لم يستطيعوا، ولذلك فلا غرو أن يبذلوا كل مسعىٰ لتنكيد حياة من يعيش عليها من غيرهم، إذا لم يستطيعوا هم البقاء فيها، فاليهود مثلاً عندما انسحبوا من سيناء عام ١٩٨٢م لقاء ثمن باهظ وهو خروج مصر من دائرة الصراع، أصروا علىٰ تجريدها من السلاح، ودمروا كل المرافق التي كانت لهم فيها قبل أن يخرجوا، واشترطوا علىٰ مصر ألا تبيع بترول سيناء إلا لهم، ووضعوها تحت التهديد الدائم من ثلثي جيشهم.

إن المنزلة الدينية للأرض عند اليهود تكاد أن تصل إلىٰ مستوىٰ الفرائض والأركان، والتلمود الذي يفسرون به التوراة يقول: «واجب علىٰ كل يهودي أن يعيش في أرض إسرائيل، وهذا الواجب يعلو علىٰ أي التزام آخر» «أرض إسرائيل طاهرة، لا بد من دفن المتقين من بني إسرائيل فيها، وإن لم يتسير ذلك يوضع مع الكفن شيء من التراب المجلوب منها». «الذي يتمشىٰ أربعة أذرع في أرض إسرائيل علىٰ يقين أنه من أبناء الآخرة»[1].

فأعمال (الآخرة) لا يمكن - وفق التلمود - أن يقوم بها اليهود علىٰ الوجه المطلوب إلا في الأرض الموعودة، لا بل إن السكنىٰ في أرض الميعاد تقوم مقام أعمال الآخرة، جاء في سفر أشعياء (٣٣/ ٢٤): (الشعب الساكن فيها مغفور الإثم)! ويعبر أول رئيس وزراء لدولة اليهود عن هذا المعنىٰ من زاوية أخرىٰ فيقول: «من يعيش داخل أرض (إسرائيل)، يمكن اعتباره مؤمناً، أما المقيم خارجها فهو إنسان لا إله له»!

إذن، فالأرض عندهم هي الحياة الدنيا وهي عمل الآخرة، هي أرض الرب، هي مغفرة الذنب! فهكذا حوَّل التحريف ديانة موسىٰ - عليه السلام - الإلهية السماوية إلىٰ ديانة أرضية طينية!

والنصوص القديمة، وتفسيراتها القديمة والمعاصرة تكشف بوضوح عن حدود تلك الأرض الموعودة، يقول الدكتور بوست: «الأرض الموعود بها إبراهيم الموصوفة في كتاب موسىٰ - عليهما السلام - تمتد من جبل هور إلىٰ مدخل حماة، ومن نهر مصر العريش إلىٰ النهر الكبير نهر الفرات، وأكثر هذه الأراضي كانت تحت سلطة سليمان - عليه السلام - فكان التخم الشمالي حينئذ

---

(١) التلمود، تاريخه وتعاليمه، تأليف (ظفر الدين خان)، ص ٦٦، ٧٢، ٨٤.

سورية، والشرقي الفرات وبريّة سورية، والجنوبي بريّة التيه وأدوم في سيناء، والغربي البحر المتوسط»[١].

هذا من ناحية التنظير الاعتقادي والفكري، أما من حيث التنظيم العملي والحركي، فقد تلقّف رواد الحركة الصهيوينية الحديثة هذه المفاهيم، وكان على رأسهم الصحفي النمسوي، (تيودور هرتزل) الذي نذر نفسه لتحويلها من أحلام وآمال، إلى حقائق وأعمال.

وقد كان تصوره للأرض التي ينبغي تهيئتها لإقامة الدولة بحدودها المستقبلية واضحاً منذ اليوم الأول لسعيه في تأسيسها، فهو يفترض أن الانطلاق سوف يكون من أي أرض يمكن الحصول عليها في فلسطين لتكون قاعدة يبدأ التوسع منها على مراحل في الزمن المتتابع، حتى يكتمل المشروع، قال في مذكراته: «إن القاعدة يجب أن تكون في فلسطين أو بالقرب منها.. إن علينا تشييد البنيان على أساس قوميتنا اليهودية، ولذلك لا بد من حصولنا على وسائل للجذب السياسي... إنني لا أستطيع الإفصاح أكثر من هذا»[٢].

فالقاعدة والمنطلق إذن أرض فلسطين أو (إسرائيل الصغرى) ولكن هل هذا منتهى الأحلام قبل مئة عام؟! لا؛ فإن المساحة التي لن يرضى اليهود بأقل منها هي المساحة المعروفة عندهم بـ(مملكة داود وسليمان)! قال هرتزل: «إن الشعار الذي يجب أن نرفعه هو فلسطين داود وسليمان»[٣].

إنها ليست فلسطين التي نعرفها بحدوها المعاصرة، إنها أرض الشام كلها وما حولها من أراضٍ في الشرق والغرب، في العراق ومصر.

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، تأليف د. بوست.

(٢) يوميات هرتزل، ١٤٧٣.

(٣) المصدر نفسه.

يقول هرتزل في مذكراته: «المساحة... من نهر مصر إلى نهر الفرات، نريد فترة انتقالية في ظل مؤسساتنا الخاصة، وحاكماً يهودياً خلال هذه الفترة، بعد ذلك تنشأ علاقة كالتي تقوم الآن بين مصر والسلطان، وما أن يصبح السكان اليهود في منطقة ما، ثلثي مجموع سكانها حتى تصبح الإدارة اليهودية سارية المفعول على الصعيد السياسي»[١].

أقول: لا بد لنا من استرجاع المعاني العملية لتلك الكلمات التي قيلت قبل قرن كامل في ضوء ما طرأ وما يطرأ من أوضاع وترتيبات في المنطقة.. ماذا حدث في منطقتنا بعد قرن من هذه الكلمات التي سُطِّرت في وقت لم يكن لليهود أي سطوة أو سلطة على أية رقعة من فلسطين وما حولها!

هذه الأحلام التي كان يحلم بها شاب في آخر الثلاثينيات من عمره منذ مئة عام... من المسؤول عن تحقيقها أو تحقيق الكثير منها؟.. لا بد أن نعترف أنه خلَّف وراءه أجهزة فعالة، تحوِّل الأحلام إلى حقائق.

فأين العرب طيلة هذه المدة؟ بل أين كان المسلمون؟

لقد قامت الدولة بعد خمسين عاماً من تخطيط هرتزل وفي الموعد الذي حدده وذكره في مذكراته (ص٥٨١).

وبعد أن قامت بالفعل، بدا لليهود أن هناك من يريد مساومتهم على حدود تلك الدولة في المستقبل، حيث تشكلت في الأمم المتحدة عام ١٩٤٧م لجنة تحقيق دولية بشأن تلك القضية، فتقدم عضو الوكالة اليهودية: الحاخام

---

(١) المصدر نفسه.

(فيشمان) بخريطة توضح حدود الدولة اليهودية التي يرىٰ اليهود أن لهم الحق الكامل في استردادها تنفيذاً لوعود التوراة ومشاريع هرتزل، ووقف فيشمان ليعرض حدود تلك الدولة التي تبدأ كما قال: «. . . من مدينة الإسكندرية، محيطة بمنطقة الدلتا غرباً في مصر، ثم تمتد جنوباً مع مجرىٰ نهر النيل، لتتجه شرقاً في خط مستقيم، قاطعة الجزيرة العربية، حتىٰ محاذاة مصب نهر الفرات، ثم تصعد الحدود مع مجرىٰ الفرات، حتىٰ حدود تركيا لتصل إلىٰ سورية، لتقفل الدائرة بعد ذلك بالحدود الشرقية للبحر الأبيض المتوسط»!!

والآن. . . وبعد خمسين عاماً أخرىٰ من عرض «فيشمان» هل انتهىٰ الحُلم؟ هل هذه مجرد أوهام وأحلام تسبح في الخيال كما يحلو لبعضنا أن يردد؟

أقول: لا، أبداً، لم ينته حلم اليهود في «إسرائيل الكبرىٰ» ومَنْ شكَّ في هذا، فليسأل العَلَمَ الإسرائيلي ذي الخطين الأزرقين اللذين يرمزان إلىٰ نهري النيل والفرات! وليسأل النجمة السداسية المدَّعاة بـ«نجمة داود» التي ترمز إلىٰ مملكة داود، والتي يتطابق مثلثاها للدلالة علىٰ تعاضد السلطة الدينية مع السلطة المدنية كما كان شأن الدولة في عهد مُلك داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ، وليسأل اللافتة المنصوبة علىٰ مدخل الكنيست الإسرائيلي متضمنة الوعد المذكور في التوراة، وليسأل بعد ذلك تلك العملة المعدنية الإسرائيلية التي يتعامل بها اليهود منذ أواخر العقد الماضي صغاراً وكباراً نساءً ورجالاً وأطفالاً، لتذكرهم كل يوم. . بل كل لحظة وهم يتعاملون بها، بالحلم الباقي. . والذي لم يكتمل وهو: (إسرائيل الكبرىٰ) حيث رسمت علىٰ العملة خريطة لتلك الأرض بحدودها من النيل إلىٰ الفرات.

فهل انتهىٰ الحلم. . ؟!

إسرائيل الكبرى بين مفهومين:

هناك اتفاق بين الساسة المتنفذين في الدولة العبرية على أن العمل لاستكمال (مشروع إسرائيل الكبرىٰ) هدف كبير واعد، ولكنه بعيد آجل، ولا بد من الوصول إليه عبر مراحل في الزمان والمكان.

غير أن هناك مفهومين سائدين ومختلفين في الوسيلة التي يمكن من خلالها الوصول إلىٰ تنفيذ هذا الهدف، وأحد هذين المفهومين يتبناه الصقور وتمثلهم (كتلة الليكود) التي تضم بعض الأحزاب اليمينية والدينية، والآخر يتبناه (الحمائم) ويمثلهم (حزب العمل) الذي يضم يساريين وليبراليين. وبأدنىٰ قدر من الفهم يستطيع المراقب لسياسات الاتجاهين أن يدرك أنهما يتبادلان الأدوار علىٰ حسب ما تقتضيه المرحلة في كل ظرف. لكن الحزبين في النهاية يعملان لأهداف مشتركة وإن اختلفت الوسائل.

أما المفهوم الأول: وهو الذي تتبناه كتلة الليكود في عملها لصالح ذلك المشروع بشكل علني، فيعتمد علىٰ المفهوم (الهرتزلي) في ذلك؛ حيث قال هرتزل للمستشار الألماني (هوهنكر) حين سأله عن الأرض التي يريد: «سنطلب ما نحتاجه، وتزداد المساحة المطلوبة مع ازدياد السكان»[١] وهذا يعني أن باب التوسع مفتوح دائماً... وقد سار بن جوريون - أول رئيس وزراء لدولة اليهود - علىٰ الخط نفسه، وعبر عن ذلك بقوله: (حدودنا حيث يصل جنودنا)[٢].

فالقوة وسياسة الأمر الواقع هي السبيل الأوحد للوصول إلىٰ الهدف.. في نظر بن جوريون! وقد كان هذا الرجل يشخص ببصره نحو (إسرائيل الكبرىٰ)..

---

(١) مذكرات هرتزل (٢/ ٧٠٢).

(٢) حياة بن جوريون، ص ٣٢٧.

في مبدأ إنشاء الدولة على أرض محدودة عام ١٩٤٨م يقول: «إن الصهيونية حققت هدفها في الرابع عشر من مايو ١٩٤٨م ببناء دولة يهودية أكبر مما كان متفقاً عليه في مشروعات التقسيم بفضل قوات (الهاجاناه). وليست هذه نهاية كفاحنا، بل إننا اليوم قد بدأنا، وعلينا أن نمضي لتحقيق قيام الدولة التي جاهدنا في سبيلها من النيل إلى الفرات»![١].

وسار على الدرب نفسه (ليفي إشكول) فخاض حرب عام ١٩٦٧م لقضم أكبر قطعة من أرض (إسرائيل الكبرى) وقد بدأ يكثف حديثه علناً عن هذا المشروع منذ شهر أكتوبر عام ١٩٦٧م، ويشاركه فيه دايان وآلون وكبار الحاخامين وزعماء الأحزاب.

والمرأة التي كانت تفخر بأن يقال لها: «أنت أقوى رجل في إسرائيل» (جولدا مائير) ـ رئيسة الوزراء السابقة ـ كانت تؤمن بالأسلوب نفسه فيما يتعلق بالعمل لصالح (إسرائيل الكبرى) وقد قالت في خطاب لها: «إن إسرائيل يجب أن تكون دولة وقوة عظمى في الشرق الأوسط، لها حق التصرف كما تريد)[٢] وجاء بعدها مناحم بيجن فكان صريحاً فصيحاً في التعبير عن النوايا اليهودية تجاه أرض إسرائيل (الكاملة). يقول بيجن في كتابه (الثورة): «منذ أيام التوراة، وأرض إسرائيل تعتبر أرض الأمم لأنبياء إسرائيل، وقد سُميت هذه الأرض فيما بعد (فلسطين)، وكانت تشمل دوماً ضفتي نهر الأردن ولبنان الجنوبي وجنوبي غرب سورية.. إن تقسيم الوطن عملية غير مشروعة، وإن تواقيع الأفراد والمؤسسات على اتفاقية التقسيم باطلة من أساسها، وسوف تعود أرض إسرائيل

---

(١) المصدر السابق.

(٢) صحيفة معاريف الإسرائيلية (٢٩/ ١٠/ ١٩٧٢م).

إلىٰ شعب إسرائيل بتمامها إلىٰ الأبد»[(١)] وقد أشار محمد كامل - وزير الخارجية المصري الأسبق في كتابه: (السلام الضائع في كامب ديفيد) إلىٰ أن برنامج حزب (حيروت) - ضمن كتلة الليكود، بزعامة بيجن كان يقوم علىٰ أساس السعي لإقامة إسرائيل الكبرىٰ[(٢)].

أما شامير، زعيم الليكود بعد بيجن، فكان أصرح وأفصح الزعماء في الإعلان عن قيمة مشروع (إسرائيل الكبرىٰ) في الفكر والوجدان اليهودي،

قال ذات مرة وهو يخاطب جمعاً من المهاجرين: «إن (إسرائيل الكبرىٰ) هي عقيدتي وحلمي شخصياً، وبدون هذا الكيان لن تكتمل الهجرة، ولا الصعود إلىٰ أرض الميعاد»[(٣)]. وقد فاز في الانتخابات الإسرائيلية لمنصب رئاسة الوزراء بسبب برنامجه الهادف للعمل من أجل إسرائيل الكبرىٰ.

وقد انتخب بينامين نتنياهو عام ١٩٩٦م تأييداً لبرنامجه الانتخابي القائم علىٰ عدم التنازل عن شبر من أرض (إسرائيل) المستعادة! وكانت وعوده الانتخابية قائمة علىٰ عدم التنازل عن السيطرة والسيادة، لا في جنوب لبنان ولا في الضفة ولا القطاع ولا في الجولان، وقد اختار للتحالف الذي كان يقوده بين الأحزاب اليمينية اسم: (أرض إسرائيل).

وإذا كان هذا شأن كتلة الليكود التي تتظاهر بالعلمانية، فإن القوىٰ الدينية الأخرىٰ ترىٰ أن التفريط في شبر من أرض (إسرائيل) بمثابة خيانة يستحق صاحبها القتل، ولقد كان السبب المعلن لاغتيال (إسحاق رابين) رئيس الوزراء

---

(١) (الثورة) لمناحيم بيجن ص ٣٢٥.
(٢) (السلام الضائع في كامب ديفيد) لمحمد كامل ص٢٧.
(٣) جريدة الحياة، عدد (١٠٤٧٥).

الأسبق - كما قال قاتله (عامير): «إنه خان أرض التوراة»![١].

وأما المفهوم الثاني: فيرتكز على فهم خاص لدى بعض ساسة اليهود، مؤداه أن الشعب اليهودي لن يستطيع أن يسيطر على ما حوله من الشعوب إلا بالدهاء والحيلة والقوة بأشكالها المختلفة، بحيث تعوض هذه القوة الكيفية، الضعف الكمي عندهم، وفي هذا يقول بن جوريون مخاطباً الشعب اليهودي: «لقد ذكر أنبياؤنا منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة أنكم أقل الشعوب جميعاً، ولذلك يجب على شعب إسرائيل أن يكون شعب قدرات وتفوق، بحيث يستطيع أن يقف أمام شعوب أكبر منه»[٢].

وحزب العمل كان ولا يزال يتبنى هذا المفهوم، ولعل من أبرز المتحمسين لهذا المسلك، حمامة السلام المفترسة (شمعون بيريز) تلك الشخصية الأفعى، التي تصدت دائماً لمشروعات امتصاص دماء الشعوب المحيطة وابتزازها. إما بالترغيب عن طريق مشروعات السلام الوهمي، أو بالترهيب عن طريق الترسانة النووية التي يُعد مهندسها وأبوها الروحي.

مفهوم شمعون بيريز لمشروع إسرائيل الكبرى

لقد كان شمعون بيريز ينادي دائماً بـ (إسرائيل العظمى) أولاً، قبل إسرائيل الكبرى، بمعنى أن تستكمل الدولة اليهودية أسباب القوة لتصبح قوة عظمى، ثم تستكمل بعد ذلك المساحة لتكون أرضاً كبرى.

وهو يرى ضرورة السير على محورين للتوصل إلى تلك الغاية، أولهما:

---

(١) وقد قال (روجيه جارودي) في كتاب الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل «إن قتل رابين كان وراءه تهديد حلم إسرائيل الكبرى»، ص ٤٣.

(٢) أخطر من النكسة ص١٠٢.

السعي لزيادة قوة الدولة اليهودية دون أدنى خضوع لعقبات أو عراقيل تفرضها الأوضاع العالمية أو الأعراف الدولية.

والثاني: العمل على توهين وإضعاف قوة البلاد العربية المجاورة بكل وسيلة ممكنة، واستغلال أسباب قوتها ومصادر مواردها لغير صالح شعوبها.

وقد برهن عملياً على هذين المسلكين؛ فهو في نظر اليهود (بطل) القوة النووية الإسرائيلية وراعي مسيرتها منذ البداية حتى النهاية. وهو من جهة أخرى عرّاب عمليات السلام مع العرب في مرحلة ما بعد كامب ديفيد، وقد كان واسطة الوصول للمأمول عبر (القنوات السرية) في أوسلو الأولى والثانية ووادي عربة.

وعندما أعلن عن خططه لعمليات السلام في عام ١٩٩١م برز حرصه - كأي زعيم صهيوني - على قضية أمن اليهود وتحصينهم ضد الأخطار العسكرية وكذلك التحديات الاقتصادية التي ليست بأقل في نظره من الأخطار العسكرية.

أما الأخطار العسكرية فقد كفاهم إياها بمنجزاته النووية، وأما التحديات الاقتصادية، فقد اختار لمواجهتها طروحاته الشرق أوسطية؛ حيث دعا إلى مشروع يهدف إلى جعل الدولة العبرية جزءاً من نسيج المنطقة المحيطة بها، بحيث تتمدد في جسدها سرطانياً لتقتلها ببطء وترث تركتها بأمان!

اعتبر (شمعون بيريز) أن مشروع (الشرق أوسطية) يمكن أن يقوم على تكامل الطاقات: المياه التركية والسورية والعراقية... الأيدي العاملة المصرية والفلسطينية... الأسواق والثروة النفطية الخليجية مع الخبرة والذكاء و(الألمعية) الإسرائيلية لإنشاء الشرق الأوسط الجديد..!

وهل الشرق الأوسط إلا تسمية أخرى حداثية لـ (أرض الميعاد) وما حولها؟

لقد اعتبر بيريز أن أنهار المنطقة الرئيسية: (النيل، والفرات، والأردن، ودجلة) بحاجة إلى مشروع (إقليمي) لتنظيمها وتحقيق الاستفادة منها، وكذلك الثروات الأخرى بما فيها (السياحة)، سواء كانت سياحة دينية أو مدنية.

ولا شك أن إسرائيل الطامعة في الإشراف على تلك المشروعات الشمعونية الإقليمية كانت تتطلع إلى عقد معاهدات صلح مع كل جيرانها العرب تتمكن خلالها من تحقيق مآربها في أن تصبح جزءاً من نسيج المنطقة، أو بالأحرى تصبح المنطقة فريسة في براثن نسيجها العنكبوتي وساحةً لتحقيق أهدافها. وفي مقابل هذا... أو لتحقيق هذا؛ لا ضير على إسرائيل على حد تعبير بيريز - أن تترك للعرب (بعض) الأراضي مقابل سلام قد يعده البعض تنازلاً عن الحق التاريخي والديني في أرض إسرائيل، وهو من وجهة نظره قيام بـ (واجب) تاريخي تجاه مصلحة إسرائيل![1].

فما هو هذا الواجب؟ يقول: «إنها بذلك تكون قد أدت واجباً تاريخياً بحماية طابعها الخاص من الإفساد والتشويه» ويقصد طبعاً الوضع الناجم عن وجود الفلسطينيين بين الإسرائيليين ضمن كيان واحد؟ وبعد أن يتم (تطهير) الجسم الإسرائيلي من العناصر غير الإسرائيلية وتضع إسرائيل يدها على المواقع المهمة في الضفة الغربية المنزوعة السلاح، وتعقد الصلح مع الجيران، بعدها تدخل في علاقات أعمق مع الدول المحيطة، وعندما تحقق إسرائيل هذا المشروع المتعدد والمتداخل الحلقات؛ فإنها تكون قد وضعت رجلها حقاً - في رأي شمعون بيريز - على طريق (إسرائيل الكبرى).

---

(١) كثيراً ما يُستعمل وصف (التاريخي) على ألسنة زعماء اليهود مرادفاً لـ (الديني) فالحق التاريخي هو حق ديني، والواجب التاريخي هو واجب ديني، لأن دينهم المحرف هو في الحقيقة (تاريخ).

ويتساءل بيريز: «ماذا ينفع إسرائيل في هذه المرحلة لو ضمت الأراضي الواسعة وخسرت بالمقابل يهوديتها وخصائصها؟ وماذا يضيرها لو أنها تخلت عن مساحات صغيرة من الأرض (وهي تحت سلطانها الفعلي) لقاء تحولها من كيان محاصر ومعزول إلىٰ قوة إقليمية عملاقة؟»

ويخلص بيريز إلىٰ تلخيص رؤية حزب العمل فيما يتعلق بـ(العمل) لصالح إسرائيل الكبرىٰ فيقول: «إن إسرائيل تواجه خياراً حاداً بين أن تكون (إسرائيل الكبرىٰ) اعتماداً علىٰ عدد العرب الذين تحكمهم، أو تكون (إسرائيل الكبرىٰ) اعتماداً علىٰ حجم واتساع السوق الواقعة تحت تصرفها».

ويهاجم بيريز مفهوم حزب الليكود القائم علىٰ اعتبار ضم الأراضي هدفاً في حد ذاته، فيقول: «إسرائيل الكبرىٰ بمفهوم ليكود ستضم الفلسطينيين والعرب، فيمثلون جسمها، وتظل حبلىٰ بالمشاكل والاضطرابات، وتبقىٰ عرضة للمجابهات المسلحة مع الجيران والتوتر في علاقاتها الاقتصادية المتقلبة، والانخفاض في عدد المهاجرين إليها».

إنه بهذا الكلام لا يتخلىٰ عن (إسرائيل الكبرىٰ) كهدف، ولكنه ينتقد أسلوباً ومفهوماً مغايراً في تحقيق هذا الهدف، إنه لا يريد حكم الفلسطينيين والعرب، ولكنه يريد التحكم فيهم والسيطرة عليهم. عبر (الشرق أوسطية) التي ستوضع - كما قال - تحت إمرة إسرائيل ورهن تصرفها باعتبارها الكيان الأكثر تطوراً.

فطريق حزب العمل إلىٰ (إسرائيل الكبرىٰ) يمر عبر الدبلوماسية واللباقة التي تستند إلىٰ التهديد الدائم بالرعب النووي الرابض في صحراء النقب! ولهذا فإن بيريز في آخر فترات توليه المسؤولية وزيراً للخارجية في وزارة رابين الهالك؛ كان لا يكف عن استشراف إمكانات تحقيق حلمه لحكم العرب عن طريق تقمص

شخصية (التاجر اليهودي الجشع) بدلاً من (اليهودي الإرهابي الدموي).

فكان يتنقل بين العواصم العربية داعياً للسلام، من الرباط إلى مسقط!

إن الفارق بين المفهومين في نهاية المطاف هو بين زعامة أكولة عجولة نهمة، تريد أن تأكل العرب بيديها وأسنانها وأرجلها أيضاً، وبين زعامة تتعالى في كبرياء أَنِفَةٍ فلا تحب أن تأكل العرب إلا بالشوكة والسكين!

هناك - إذن - (سباق محموم) بين اليهود واليهود، للوصول إلى غرض مشترك مقصود، بالحرب لا بأس، فحزب العمل (المسالم) مستعد لخوضها إذا كان ذلك ما تقتضيه المرحلة، وبالسلام أيضاً لا بأس، فحزب الليكود (المحارب) مستعد للاشتراك فيها إذا كان في السلام خدمة للمرحلة. ونحن لا ننسى أن رئيس الأركان في حرب عام ١٩٦٧م كان هو رمز السلام - في نظر العرب - (إسحاق رابين)، بينما تم التوقيع على اتفاقية كامب ديفيد (للسلام) في عهد الليكودي الإرهابي (مناحيم بيجن)، وجاء من الليكود أيضاً (شامير)، راوي الأساطير في مباحثات مدريد (للسلام)!

نعم... السلام، فالسلام - في مفهوم اليهود - هو مرحلة الإعداد لمزيد من الحروب. وإذا كان لا بد من سلام حقيقي فهو لليهود؛ فحسب قول مناحيم بيجن: (لن يكون سلام لشعب إسرائيل ولا لأرض إسرائيل حتى ولا للعرب، ما دمنا لم نحرر وطننا بأجمعه بعد، حتى لو وقَّعنا معاهدات صلح»[1].

وتأمل - أيها القارئ - في تلك التوصية التي صدرت منذ أكثر من أربعة عقود عن أحد مؤتمرات اليهود تحت عنوان: (الحاخام «جوهاشيم برنر» يشرح وثائق

---

(١) كتاب (الثورة) لمناحيم بيجن (٢٣٥).

المخطط الأخير). جاء فيها: «التخطيط المتفق عليه سهل في مظهره وفي تنفيذه، ولا يعرِّض من يعملون لتحقيقه إلىٰ أي نوع من الخطر، وكل ما في الأمر يتلخص في كتمان القصد من الدعوة لهذا المخطط حتىٰ لا يكتشفه أحد، ولقد أطلق علىٰ هذا المخطط اسم: (مخطط السلام). والعمل علىٰ تحقيقه لا يتطلب منا سوىٰ الإلحاح والمثابرة علىٰ الدعوة للمحافظة علىٰ السلام، والقصد منه ذو شقين:

أحدهما: الحصول علىٰ الوقت اللازم لنا ولحلفائنا لكي نتمكن من تسليح جيوشنا وتقوية أجهزتنا الحربية؛ لأننا في هذا الوقت لم نستكمل العدة لخوض حرب كبرىٰ تكفل لنا النصر.

وأما الشق الأخر: فهو وقف سباق التسلح السائد الآن لدىٰ الدول المعادية لنا ولحلفائنا، وبإرغام الدول علىٰ تدمير أسلحتها وتخفيض جيوشها[١]، وقتل الروح العسكرية في الأوساط الشعبية، ودفع الجماهير إلىٰ غير الجندية وتنفيرهم منها، بينما سنثابر نحن وحلفاؤنا علىٰ التسلح إلىٰ أبعد مدىٰ مستطاع.

ولكي نتوصل إلىٰ تحقيق هذه الأهداف، عليكم العمل دون هوادة علىٰ دعوة الناس إلىٰ مناصرة السلام، وتسفيه كل منهاج أو رأي يدعو إلىٰ التسلح، والهجوم علىٰ كل من يناصر الجندية، وإثارة الإنكار علىٰ كل مشروع دفاعي، وتحريض الناس علىٰ الامتناع عن الإسهام في الأغراض العسكرية، والتنديد بما ينفق في أمور الحرب[٢]. أيها الإخوة... ربما استغرب أحدكم انقلابنا

(١) لاحظ التوافق بين هذا الكلام، الصادر في الخمسينات وتطبيقاته في السبعينات والتسعينات في كل من مصر والعراق بلدي النيل والفرات أو (أرض الحِمىٰ)!

(٢) هذه الدعوة التي كانت كالهلوسة في الخمسينيات، صارت ـ بفعل الإعلام ـ هي (الواقعية) و (العقلانية) بدءاً من السبعينيات، وللأسف فإن الإعلام الذي خدم تلك الدعاوي أكثر هو الإعلام العربي، وليس الإعلام اليهودي!

المفاجئ وسأل عن الأسباب التي دفعتنا إلى أن نكون دعاة سلم بعد أن كنا دعاة حروب وثورات، واعلموا إذن أن الأسباب التي حملتنا في الماضي على إشعال نار الثورة الفرنسية ثم الثورة الروسية، ولافتعال الحربين العالميتين، هي نفسها تدفعنا اليوم إلى الدعوة إلى السلام لأول مرة في التاريخ، وما هذه الأسباب بخافية عليكم، فهي ما تعرفونه من أهدافنا الخاصة التي يتطلب تحقيقها تجريد خصومنا من أسلحتهم ريثما نتمكن من التسلح والتأهب لجولاتنا القادمة.

وعندما نتيقن من نجاح مخططاتنا هذه؛ ستكون ساعة الصفر قد أزفت، فتزحف جيوشنا إلى الميادين المعينة لها، وتقضي سريعاً على مقاومة أعدائنا التي ستكون حتماً هزيلة، ونزيل الدول المنهارة عن طريقنا، ثم نعلن للعالم انتصارنا، ونفرض سيادتنا تحت ظل دولتنا الموحدة وعلمها ذي النجمة المقدسة»[١].

ولقد تهافت العرب على هذا السلام المبيَّت بليل، تهافت الفراش على النور المنبعث من النار، وهرولت وفودهم في دهاليز وسراديب المفاوضات السرية والعلنية، لتقامر بمستقبل الأمة، وتجعله رهينة اتفاقات (رسمية) (دولية) ملزمة، لا تُلزم جيلنا فحسب، بل تُلزم وتُخضع أجيالاً قادمة..

عجباً لشأن ذلك المفاوض العربي (العلماني) وهو يسارع الخطا في طريق الظلمات.. ما أغفله وما أجهله وما أعرض قفاه وهو يطاوع اليهود ناقضي العهد وناكثي الوعود، ألم يسمع لقول الله عنهم ﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠].

---

(١) نشرة الصليب والعَلَم الدورية الصادرة عام ١٩٥٥م.

فإلىٰ متىٰ هذا الحِلْم الطويل يا بني إسماعيل، علىٰ ذاك الحُلم الكبير لبني إسرائيل.. ؟! وهل سنظل في الحلم حالمين حتىٰ نكون رعايا في (إسرائيل الكبرىٰ)؟!

لقد حقق (مخطط السلام) لليهود أهدافاً كبيرة خلال العقدين الماضيين، ولكن ذلك لم يمنعهم في الوقت ذاته من الدخول في الحروب أو استثمارها لتحقيق أهداف أخرىٰ لا يحققها السلام ولهذا فقد خاضوا الحرب الرابعة في لبنان واستثمروا حرب الخليج في التسعينات ، دون أن يتعارض ذلك الصدام مع (مخطط السلام)!

إسرائيل الكبرى والقاعدة الجماهيرية:

ليست القوىٰ السياسية الكبرىٰ في (إسرائيل) هي المعنية فقط بذلك المشروع الإجرامي (إسرائيل الكبرىٰ)، ولكن هناك قوىً أخرىٰ أشد إخلاصاً للمشروع وإن كانت أخفىٰ صوتاً، وأخفت ضوءاً وهي القوىٰ الدينية، إنها جميعاً تلتقي علىٰ ذلك الهدف مع اختلاف في الوسائل أيضاً، يقول إيمانويل هيمان في كتابه (الأصولية اليهودية) «تضاعفت الحركة المتطرفة ـ في إسرائيل ـ وزادت راديكاليتها، وهي تدعو لإقامة (إسرائيل الكبرىٰ)، أي دولة الملك سليمان، وهي علىٰ استعداد لمحاربة اليهود المتفتحين علىٰ الحضارات الأخرىٰ أو الشعوب الأخرىٰ، وفي الماضي اغتالوا الكاهن الأكبر(١)، واليوم اغتالوا رئيس الوزراء»(٢)!

فالمتطرفون من دعاة (إسرائيل الكبرىٰ) هم إذن من اغتالوا إسحاق رابين رئيس الوزراء السابق، وكان ذلك بتسويغ من بعض الحاخامات الذين قرنوا بين

---

(١) يوناثان هو الكاهن الأكبر لدىٰ اليهود في العهد الروماني.

(٢) الأصولية اليهودية، ص ٤٨، إيمانويل هيمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الشريعة الكاملة والأرض الكاملة، وصدرت إدانة مبكرة لرابين بتسليم بعض أراضي (الوطن المقدس) تنفيذاً لبنود عمليات السلام، وتجرأ بعضهم وأعلن أن تخوينه واجب ديني ووجدوا من الأحكام في الشريعة اليهودية ما يؤيد قتله، وهو ما يطلق عليه (شريعة التتبع) وهو تشريع يفرض على من شاهد شخصاً يتتبع آخر يريد قتله، أن يتدخل لمنع الجريمة وإنقاذ الضحية ولو بقتل المعتدي، وبالتوسع في تفسير هذا الحكم التوراتي وصل بعض المتدينين إلى أن قتل رابين أصبح واجباً دينياً، لأنه لم يكن يتتبع شخصاً فقط، بل يتتبع الشعب اليهودي في نظرهم.

وكان ممن ساعد بكلماته على قتل رابين الحاخام يوناثان بلاس مدير معهد تعليم الحاخامات القومي، فقد قال: «إن رغبة حكومة إسرائيل في التخلي عن جزء من الأرض اليهودية أمر يؤسف له لأنها تتعارض مع الضرورات التوحيدية اليهودية المرتبطة دون تنازل بإعادة السيادة اليهودية على أرض الميعاد، وهذه الرؤية الدينية التي خانها رابين وبيريز باستخفاف من خلال رغبتهما في الوصول إلى التطبيع والاعتراف العالمي هي محاولة فاشلة وبائسة للهروب من الصراعات والالتزامات النابعة من القدر اليهودي الأوحد»[(١)].

إن الذي قتل رابين ليس شخصاً واحداً قام بمبادرة فردية، بل هو واحد من ضمن مجموع الجماعات الدينية المتعصبة للأرض (اليهودية) مثل تعصبها للشريعة اليهودية، ومن ضمن هذه الجماعات جماعة تطلق على نفسها اسم (السيكارين) أي حملة الخناجر، وهم يعتبرون أنفسهم امتداداً لجماعة يهودية قديمة لم يكن أفرادها يوجهون ضرباتهم إلى جنود الأعداء، بل كانوا يوجهونها إلى يهود مثلهم متهمين بالتفريط في تطبيق الشريعة الإلهية.

---

(١) الأصولية اليهودية، ص ١٤١.

وجماعة (السيكارين) تعُد (إسرائيل الكبرىٰ) من أولىٰ المقدسات التي ينبغي أن يرفعوا من أجلها خناجر الاغتيال، فكل من يفكر في التنازل عن جزء من أرض الميعاد لا بد أن يُعد له خنجر أو سيف أو . . رصاصة!

وإذا كان السعي لاستكمال (إسرائيل الكبرىٰ) هو الأمر الذي يحكي قصة الصراع العربي الإسرائيلي علىٰ مدىٰ الخمسين عاماً الماضية، بدءاً من منتصف القرن العشرين حتىٰ نهايته، فإن القرن القادم يستعد لجولات أخرىٰ يعد لها اليهود علىٰ الدرب نفسه.

إسرائيل الكبرى على درب التنفيذ (سياسياً):

كان صراع اليهود ضد العرب في نصف القرن الأخير، يمثل برنامجاً ذا مراحل علىٰ طريق إسرائيل الكبرىٰ، ويمكن للمتأمل في مسيرة ذلك الصراع من الناحية السياسية أن يستنتج ملامح هذا البرنامج أو المخطط الذي يقضي بأن يقطع اليهود شوطاً كبيراً علىٰ طريق إسرائيل الكبرىٰ في كل عقد من الزمان تقريباً، وقد لاحظ اللواء الركن (محمود شيت خطاب) توافقاً يشبه الصدف ـ وما هو بصدف ـ في تواريخ المراحل المهمة في طريق السير نحو تحقيق أطماع اليهود التوسعية منذ بداية عمل الصهيونية الحديث، وذلك علىٰ النحو التالي:

* في سنة ١٨٩٧م عُقد المؤتمر الصهيوني الأول ـ كما هو معلوم ـ حيث أقر المؤتمرون في مدينة بال بسويسرا، ما يمكن أن يعد دستوراً لتحقيق مشروع (الدولة اليهودية) الذي أعده هرتزل، وقد انبثق عن المؤتمر إنشاء المنظمات المتخصصة في السياسة والاقتصاد لتحويل هذا البرنامج النظري إلىٰ واقع تطبيقي.

* وفي سنة ١٩٠٧م، دخل المشروع الصهيوني حيز التنفيذ العملي ببدء تهجير اليهود وفق برنامج منظم إلى أرض فلسطين، حيث باشرت المنظمة القائمة على ذلك في الوقت نفسه تمويل بناء المستوطنات لاستيعاب اليهود القادمين، وليكون هذا الوجود اليهودي المكثف مبرراً للمطالبة بإعطائهم وطناً قومياً في فلسطين.

* في سنة ١٩١٧م[١] صدر الوعد المنتظر لليهود المهاجرين بإعطائهم هذا الوطن على لسان وزير خارجية بريطانيا (بلفور) مما جعل الباب ينفتح على مصراعيه للدعم السياسي للكيان اليهودي من أقوى دولة في ذلك الوقت وهي بريطانيا.

* في سنة ١٩٢٧م، تم بالفعل - بمعاونة الاستعمار البريطاني الانتهاء من - تهيئة المساحة التي ستأخذ طابع الوطن في فلسطين، وقد أحكم اليهود السيطرة عليها بالشراء أو بالاغتصاب أو المصادرة خلال تعاون وثيق بين مكر اليهود وحقد الإنجليز.

* في عام ١٩٣٧م، بدأت المنظمة الصهيونية العالمية في تكوين نواة جيش من كل قادر على حمل السلاح من اليهود، شاباً كان أو فتاة رجلاً كان أو امرأة، وبدأ تكديس السلاح داخل أرض فلسطين استعداداً لصدام متوقع.

* في عام ١٩٤٧م، أصدرت الأمم المتحدة قراراً يقضي بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود، وكان هذا القرار سبباً مباشراً في الإعلان الرسمي عن قيام دولة (إسرائيل) مما تسبب بعد ذلك في وقوع الصدام المتوقع ونشوب الحرب عام ١٩٤٨م. التي انتهت بهزيمة الجيوش العربية أمام (عصابات) اليهود التي كانت تزيد على جيوش العرب مجتمعة بثلاثة أضعاف!.

(١) لاحظ أن الرقم (٧) رقم مقدس عند اليهود والسنة السابعة في كل عقد متميزة والجيل السابع دائماً متميز، والألف السابع في التاريخ هو آخر وأفضل أيام الدنيا السبعة!

* في سنة ١٩٥٧م، استغل اليهود نتائج حرب السويس والعدوان الثلاثي على مصر، وانفتحوا على العالم عبر خليج العقبة، وأصبحت (إسرائيل) تملك حق الملاحة في هذا الخليج بعد الاستيلاء على قرية (أم الرشراش المصرية) وتحويلها إلى اسم عبري قديم وهو (إيلة) أو إيلات[١].

* في سنة ١٩٦٧م، قضم اليهود قضمتهم الكبرى من الأرض العربية خارج الحدود الدولية لـ (إسرائيل)، فاستولت بالقوة المسلحة على سيناء كاملة وعلى الضفة الغربية من الأردن، وعلى قطاع غزة، وعلى هضبة الجولان السورية لتؤمن بذلك حدودها من جميع الأطراف عسكرياً، وتقايض بما لاتحتاجه منها سياسياً[٢].

* وفي سنة ١٩٧٧م، أبرم اليهود مع الرئيس المصري السابق ـ أنور السادات ـ اتفاقية (كامب ديفيد) لتحقق بهذا أكبر صدع في بنيان المواجهة العربية ولتنهي به عملياً ما يسمى بـ (التضامن العربي) ضد إسرائيل، ولتقضي بذلك على أية إمكانية لمواجهة عسكرية فاعلة من الجيوش العربية ضدها، حتى إن أنور السادات نفسه كان يردد مراراً: إن حرب أكتوبر ١٩٧٣م هي آخر الحروب ضد إسرائيل!

* في سنة ١٩٨٧م، أكملت إسرائيل مشروعها لتملك السلاح النووي الذي كانت قد بدأته في عام ١٩٥٢م، وبعد أن اكتمل المشروع تسربت أسراره علناً عن طريق الفني الإسرائيلي الرافض للخيار النووي (فانونو)[٣] وبهذا فرض اليهود واقع الهيمنة والابتزاز السياسي والعسكري تحت ضغط الإرهاب النووي.

---

(١) يلاحظ أن (إيلات) أرض مصرية محتلة لايتكلم عنها أحد، ولا أعرف لماذا!

(٢) هذا الرصد إلى ذلك التاريخ هو ما لاحظه اللواء الركن محمود شيت خطاب في كتابه (أطماع إسرائيل التوسعية في البلاد العربية) وقد لا يكون التسلسل الزمني بهذه الدقة، ولكنه على أي حال، يشير إلى وقائع لا تنكر.

(٣) تم اختطاف فانونو من إيطاليا، وما زال يعيش في سجون إسرائيل.

إسرائيل الكبرى على درب التنفيذ عسكرياً:

مثلما لوحظ أن اليهود كانوا يسيرون في برنامجهم الاستراتيجي السياسي طوال القرن الماضي وفق خطط عشرية تكتيكية، يكملون على رأس كل مرحلة منها قفزة كبيرة في الصعود إلى (أرض الميعاد) فكذلك لاحظ كثير من خبراء الاستراتيجية العسكرية، أن الجانب العسكري من ذلك التخطيط المرحلي، كان يقفز قفزة عسكرية كبيرة كل عقد من الزمان منذ قامت دولتهم.

ففي عقد الأربعينيات كانت حرب ١٩٤٨م، وفي عقد الخمسينيات كانت حرب ١٩٥٦م، وفي عقد الستينيات كانت حرب ١٩٦٧م، وفي عقد السبعينيات كانت حرب ١٩٧٣م[١]، وفي عقد الثمانينيات كانت حرب ١٩٨٢م.

أما في عقد التسعينيات، وقبيل أن يبدأ ذلك العقد، فقد توقع أكثر المراقبين أن تندلع الحرب السادسة، وازداد الترقب لتلك الحرب بعد أن أطلق صدام حسين تصريحاته وتهديداته النارية قائلاً: «سأحرق نصف إسرائيل»[٢]، وتزامن هذا مع قيام ضجة كبيرة حول تسليح العراق، وحول تصنيعه (المدفع العملاق) وتوقع كثيرون أن تفتعل (إسرائيل) أحداثاً لتدخل الحرب ضد جيش العراق الذي صوره الإعلام الدولي على أنه رابع أكبر قوة في العالم! وأنه أصبح على شفا امتلاك السلاح النووي!

---

(١) تستثنى حرب أكتوبر ١٩٧٣م من كونها حرباً انتصر فيها اليهود عسكرياً، وإن كانوا قد استفادوا منها لأبعد الحدود سياسياً بعد إجهاض النصر العسكري.

(٢) لعل صدام وهو يطلق هذا التهديد، كان متأثراً بما ينسب في التوراة إلى رجل يدعى (الآشوري) قيل إنه سيحارب (إسرائيل) في الأيام الأخيرة، وسيحتل نصفها!) انظر (تفسير حزقيال) لرشاد فكري، ص ٣٤١.

وبينما كان المراقبون يتابعون السيناريوهات المحتملة لحرب تخوضها إسرائيل ضد العراق، أو يخوضها العراق ضد إسرائيل، إذا بالعالم يفاجأ بأخبار احتلال العراق للكويت! وكان الجنون، وكانت الكارثة، وكان تدمير العراق!!

لهذا فأنا اعتبر ـ من وجهة نظر شخصية ـ أن تلك الحرب التي افتعلت أحداثها لتدمير قوة العراق ولتسهيل السيطرة بعد ذلك على الفرات، هي الحرب السادسة التي جنى اليهود مكاسبها الضخمة دون أن يخسروا شيئاً، فدولة اليهود كانت هي الرابح الأكبر في تلك الحرب.

ولا أدري، كيف لم يعد خبراء الاستراتيجية تلك الحرب جولة سادسة في الصراع العربي الإسرائيلي رغم ظهور ذلك، ألأن اليهود لم يدخلوا الحرب بأنفسهم؟! إن هذا أوجب للحسرة وأدعى للفجيعة، إذ أن اليهود بهذه الحرب حققوا أكبر الأهداف بأقل الخسائر أو بلا خسائر على الإطلاق، بل بمكاسب أخرى حازوها عن طريق الهبات والمعونات بمليارات الدولارات مقابل أن يلتزموا (الحكمة) ولا يردوا على صواريخ صدام (الفارغة) التي ظن الناس أنها ملأى! ولا أظن استفادة اليهود من حرب العراق بأقل من استفادتها من حرب لبنان التي تعد حرباً رابعة في رأي الجميع.

إن تدمير العراق ـ وبغض النظر عن الصورة التي جاءت به ـ كان هدفاً كبيراً من الأهداف الماثلة أمام أعين النخبة اليهودية المخططة والتي تهدف في النهاية إلى تقسيمه، وقد ساعدت حماقات القيادة البعثية على تحقيق ذلك الهدف بصورة لم يكن يحلم بها اليهود، فقد نشرت مجلة (كيفونيم) الإسرائيلية تقريراً للمنظمة الصهيونية العالمية بالقدس تحت عنوان (مخطط إسرائيل في الثمانينات) طرحت خلاله تصورات وخيارات الدولة العبرية لما يمكن أن ينفذ

في المناطق العربية المحيطة بـ (إسرائيل) وفي الفقرة الخاصة بالعراق قال التقرير: «أما العراق فهي غنية بالبترول، وفريسة لصراعات داخلية، وسيكون تفكيكها أهم بالنسبة لنا من تفكيك سوريا[١] لأن العراق يمثل على الأجل القصير أخطر تهديد لإسرائيل، وقيام حرب سورية عراقية سيساعد على تحطيم العراق داخلياً[٢]، قبل أن يصبح قادراً على الانطلاق في نزاع كبير ضدنا، وكل نزاع داخلي عربي سيكون في صالحنا وسيساعد على تفكك العرب»[٣].

والآن، ونحن على مشارف انتهاء عقد التسعينيات بويلاته ونكباته، هل يقال إن هذا العقد انقضى دون حرب بين العرب وإسرائيل؟! أقول: إن تلك الجولة قد حصلت حُكماً بحرب الخليج في وجهها الآخر، وكانت تمثل الحرب السادسة، فهناك ستة حروب في ستة عقود، والسؤال الآن هل يشهد العقد السابع حرباً سابعة؟!

هل تقوم الحرب السابعة؟

باستقراء طبيعة العدو اليهودي من خلال تاريخه وعقائده، ومن خلال مخططات الساسة وتصريحات الزعامات الدينية، فربما تشهد السنوات القليلة القادمة وربما الشهور، نشوب حرب سابعة بين العرب وإسرائيل، ويرجح أن يفتعل اليهود حرب العقد القادم في بداياته وليس في وسطه أو آخره ويظل قيام حرب عربية إسرائيلية جديدة في السنوات الأولى للألفية القادمة احتمالاً وارداً وقوياً، ولكنه بطبيعة الحال ليس أمراً محتماً، لكن الذي يدعونا إلى ترجيحه هو

---

(١) لاحظ أن سوريا مستهدفة أيضاً بالتفكيك.

(٢) هذا السيناريو عن حرب بين سوريا والعراق لم يكن إلا تمويهاً، لأن سوريا ما كان لها أبداً أن تحطم العراق ولا كانت قادرة على ذلك، وإنما أدرج هذا الاحتمال للتمويه على السيناريو الأصلي الذي أعطت به السفيرة الأمريكية الضوء الأخضر لصدام لغزو الكويت.

(٣) نشرت هذا التقرير جريدة العرب تايمز (١١/ ١٢/ ١٩٩٢)، وجريدة العالم الإسلامي (٩/ ١٠/ ١٩٩٨م) وجريدة العرب العالمية (١٢/ ٢/ ١٩٩٨م).

تصاعد الحُمى الألفية بأعراضها المختلفة والتي ستشحن الأجواء بأوضاع غير طبيعية يمكن أن يكون للنصارى دور أساسي فيها .

أما عودة البريق في الكلام عن (السلام) بمجيء (يهوذا) الجديد، فإن (باراك) هذا ليس إلا زعيم (يهودي) انتخبه الشعب (اليهودي)! وهل يُرجى سلام مع من قال الله - تعالى - فيهم : ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾ [المائدة : ٦٤] إن المتحدثين عن سلام (باراك) هم أول من يعلم أن اليهود لم ينتخبوه من أجل السلام، ولا كان السلام من الموضوعات الأساسية في برنامجه الانتخابي، إنما تبين لشعب اليهود أن (نتنياهو) سيعطل بصلفه وغبائه المسيرة التي يطمحون إليها . أما (باراك) فإن لاءاته التي صرح بها غداة فوزه في الانتخابات تدل على أنه لا يريد كما يقول (سلام الشجعان)، بل يريد سلام القطعان .

ولهذا يظل احتمال نشوب الحرب السابعة في ظل حكومة رجل العسكرية (باراك)[1] أمراً مرجحاً، ويعود هذا الترجيح إلى سببين :

السبب الأول : أن أزمة المياة تضيق الخناق حول الكيان اليهودي الذي يتطلع بسعار ظامئ إلى روافد جديدة من المياة لتروي جشعه المتزايد، خاصة وأن هناك تقارير عديدة تتوقع تعرض المنطقة لمزيد من موجات الجفاف التي تعرضت لها هذا العام ١٩٩٩م، وقد تكررت تحذيرات الخبراء من أن صراعات المستقبل ستكون بسبب المياه، والصراع العربي الإسرائيلي ليس بدعاً في ذلك، فالمياه ربما تكون ذريعة أساسية في أي حرب قادمة تخوضها دولة اليهود التي تجعل المياه بلونها الأزرق تجرى على علمها الرسمي في خطين متوازيين يرمزان إلى النيل والفرات .

---

(١) باراك تعني (البرق) بالعبرية!!

ودولة اليهود تخطط لاستقبال آلاف المهاجرين[(١)]، وقد وضعت خطة خمسية في بداية التسعينيات لاستقبال مليون ونصف مهاجر - أي حوالي ثلث عدد سكانها، ولما كان هؤلاء يحتاجون إلىٰ أراض للاستيطان ومياه للزراعة والاستهلاك، فإن الحاجة تتجدد في دولة اليهود إلىٰ المياه التي تحصل علىٰ ٩٠٪ منها من الجيران، بينما لا تترك لهم سوىٰ ١٠٪ فقط، هذا مع استخدام اليهود لكل الوسائل التقنية للاقتصاد في الماء، ويتوقع بعض الخبراء أن ينفد احتياطي (إسرائيل) من المياه في السنوات القليلة القادمة[(٢)] بسبب الجفاف الذي تتعرض له الأرض المحتلة وبسبب الانخفاض الذي يصيب بحيرة طبرية بين فترة وأخرىٰ، مما يؤثر أيضاً علىٰ القدرة علىٰ إنتاج الطاقة الكهربائية.

لهذا يتوقع أن يشن اليهود حرباً لتأمين المزيد من مصادر المياه، فالعدوان العسكري قد يكون هو الوسيلة الوحيدة للاستيلاء علىٰ منابع الأنهار العربية في سوريا ولبنان، وعلىٰ الرغم من عرض تركيا تزويد اليهود بالمياه، فقد تفضل (إسرائيل) الخيار الأول المتوافق مع مخططها الاستراتيجي بعيد المدىٰ[(٣)].

أما السبب الثاني: لترجيح قيام الجولة السابعة في بدايات الألفية الثالثة، فهو أن الصهيونيين الغلاة قد يعمدون إلىٰ تهييج المشاعر الدينية لدىٰ جماهير اليهود والنصارىٰ المؤيدين لإسرائيل في العالم ويدغدغون مشاعرهم لاستشراف وقوع الأحداث الكبرىٰ المرتبطة عقائدياً بحلول ألفية جديدة، فالألفية الميلادية

---

(١) كانت آخر شحنة من اليهود الأثيوبيين وهي التي تمت في شهر يونيو ١٩٩٩م.

(٢) انظر: كتاب (قراءة في فكر علماء الاستراتيجية) د. جمال عبد الهادي، دار الوفاء بالمنصورة، ص ٢٠، طبعة ١٩٩٩م.

(٣) توقع بعض الخبراء الاستراتيجيين نشوب الحرب (السادسة) لهذا الغرض في عقد التسعينيات، انظر كتاب (قراءة في فكر علماء الاستراتيجية)، ص ٢٠.

الجديدة تعني عند اليهود بداية الاقتراب من اليوم السابع والأخير في التاريخ[١]، وهو عصر مليء بالدلالات الدينية والأخروية التي ستتوج في معتقدهم بمقدم آخر أنبياء اليهود وهو مسيحهم المنتظر منذ ألفي عام.

والألفية الجديدة توافق عند النصارىٰ بداية الألف الثالث الميلادي الذي تتوقع طوائف منهم أن يعود المسيح (عيسىٰ بن مريم ـ عليه السلام ـ) في بداياته إلىٰ الأرض، ليحكمها مدة ألف عام من القدس! ولا ينبغي أن ننسىٰ أن النصارىٰ الإنجيليين، سيكونون أسعد الناس بحرب تستعرفي الشرق الأوسط في بداية الألفية الجديدة، لأنها ستكون علامة حقيقية عندهم، علىٰ أن الأمر قد أزف.

وقد يتذرع اليهود أيضاً بأن بعض (جيرانهم) من العرب قد نجحوا في تملك أسلحة الدمار الشامل، وهنا لن يستأذنوا أحداً في اتخاذ الإجراء المناسب.

أما سعي اليهود القديم والجديد في هدم المسجد الأقصىٰ وبناء الهيكل الثالث فهو يمثل علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالحرب القادمة (السابعة)، حيث يمكنهم ذلك ـ في ظل الغيبوبة العربية الطويلة ـ أن يحققوا هدفين كبيرين جديدين وهما قطع شوط آخر علىٰ طريق (إسرائيل الكبرىٰ) والشروع في تنفيذ الحلم العتيق بإعادة بناء الهيكل الثالث، يقول أ. ح. د. فوزي محمد طايل أستاذ الاستراتيجية الشاملة بأكاديمية ناصر بمصر: «إن المبرر الوحيد لقيام دولة إسرائيل ولدعوة المهاجرين إلىٰ الهجرة إليها، بل والمبرر الوحيد للفكرة الصهيونية ذاتها، هو إقامة إسرائيل الكبرىٰ من النيل إلىٰ الفرات، وبناء الهيكل

---

(١) التاريخ علىٰ ما يحسبه اليهود سبعة أيام، كل يوم ألف عام، وهذا عمر الدنيا، وقد مرَّ من هذه السبعة ستة أيام إلا قليلاً، وسوف تكون كل الأحداث الكبرىٰ ـ حسب معتقدهم ـ في (الأيام الأخيرة) خلال ما تبقىٰ قبل بداية اليوم السابع.

الذي لا يتصورون إقامته إلا على أنقاض المسجد الأقصى، وهذه أمور تستدعي بالضرورة استخدام القوة المسلحة كلما سنحت الفرصة»[١].

فهل تسنح الفرصة لمجرمي العصر وكل العصور لكي يفتتحوا الألفية الجديدة بأحداث باكية دامية في الأرض المقدسة وما حولها؟!

وهل يمكن لهم أن ينطلقوا من أصغر الدوائر وأقدسها (ساحة الأقصى) لعمل خطير يخدم مشروع الدائرة الأكبر (إسرائيل الكبرى)؟

إنهم سواء فعلوا ذلك أو عدلوا عنه، فإن للألفية الثالثة مع المسجد الأقصى شأناً آخر، لعلنا نطلع على أهم جوانبه في الفصل التالي:

---

(١) قراءة في فكر علماء الاستراتيجية، ص ١٩. وهذه العبارة من المؤلف (رحمه الله) على وجازتها تحتاج لمؤلف مستقل لشرحها، وأرجو أن يكون هذا الكتاب شرحاً لبعضها.

الفصل الثاني

المسجد الأقصى والزلزال القادم

المسجد الأقصى.. والزلزال القادم

اليهود مصممون بشكل أكيد على تنفيذ مخطط الهدم، وهياجهم يشتد كلما اقترب موعد الألفية الثالثة، وهم يستندون إلى ظهير قوي من المنظمات النصرانية (الإنجيلية) في الغرب، مما يضاعف من خطر المؤامرة التي يمكن أن يتعرض لها المسجد الأقصى في وقت يلتهي العرب والمسلمون فيه باهتمامات قاصرة صغيرة.

إن هناك شواهد عديدة تدل على أن قضية المسجد الأقصى ستكون نقطة المركز وبؤرة الاهتمام في العديد من القضايا الدينية، وما يترتب عليها من نشاطات سياسية وعسكرية في منطقة الشرق الأوسط، وليس هذا من قبيل الأمور المؤجلة إلى مدىً بعيد؛ بل إن هذا الاهتمام سيفرض نفسه ـ والله أعلم ـ في المستقبل القريب المنظور.

وهذا الاهتمام أو الانشغال بل الانهماك بأمر المسجد الأقصى لن يكون على مستوى سكان الأرض المقدسة وحدهم، بل ستتسع دائرته لتشمل محيطاً يلف مئات الملايين من سكان العالم مسلمين ونصارى ويهود!.

هل هذه مبالغة؟! لا؛ بل هي الحقائق التي لا ينبغي أن نهملها أو نتجاهلها، وتدل عليها الأسباب الآتية:

أولاً: اليهود في العالم[1] ـ وليس في (إسرائيل) فقط ـ يسابقون عقارب الساعة الآن لهدم المسجد الأقصى مع بدايات الألفية الثالثة؛ التي تصادف

---

(١) عددهم ستة عشر مليوناً، والذين داخل (إسرائيل) منهم أربعة ملايين فقط.

عندهم الاحتفالات بذكرىٰ مرور ثلاثة آلاف عام علىٰ بناء مدينة القدس وتأسيس (مملكة إسرائيل الأولىٰ). وعندما تحل هذه الذكرىٰ تكون دورة الزمان قد قاربت علىٰ الاكتمال، ليبدأ زمان جديد - تشير إليه توراتهم - وهو زمان الهيمنة اليهودية، ولن يكون لهذه الهيمنة أي صفة مع استمرار غياب قبلة اليهود التي هدمت قبل ألفي عام (هيكل سليمان)[1]؛ الذي انطلقت منه دعوات كل أنبياء بني إسرائيل، والذي ستنطلق منه - كما يعتقدون - دعوة نبي اليهود المنتظر، الذي يعتقدون أن بناء الهيكل سيعجل خروجه! والهيكل ليس له مكان آخر يقام فيه - في نظر اليهود - إلا علىٰ أرض مسجدي الأقصىٰ والصخرة.

ثانياً: ملايين النصارىٰ في العالم يتزايد الاعتقاد بينهم - بفعل الجماعات (الأصولية) النصرانية - بأن المسيح عيسىٰ بن مريم - عليه السلام - علىٰ وشك العودة مع بدايات الألفية الثالثة، وهم يعتقدون أيضاً أن الهيكل سيكون منطلقاً لدعوته في المرة الثانية كما كان شأنه في المرة الأولىٰ، فهكذا يفهمون الإنجيل، وهكذا يفسرون التوراة التي يؤمنون بها مع الإنجيل...

ثالثاً: أما المسلمون - وهم يبلغون أكثر من ربع سكان العالم - فلن يقفوا مكتوفي الأيدي، وهم يرون معاول الحقد اليهودي أو النصراني تمتد إلىٰ المكان المقدس الثالث عندهم؛ الذي صُفَّت فيه قَدَما نبيهم ﷺ وهو يصلي بجميع الأنبياء في ليلة الإسراء.

ومن جهة أخرىٰ، فإن جو مكفهراً بالأحداث الجسام. في حالة وقوع المحذور - لا قدر الله - يمكن أن يحرك في الناس روحاً من اليقظة المنفعلة

---

(١) نُسب إلىٰ سليمان - عليه السلام - مع أن الذي بناه أول مرة إبراهيم - عليه السلام - لأن سليمان جدد بناءه وشيده تشييداً عظيماً. وهيكل سليمان يمثل مراحل المسجد الأقصىٰ قبل الإسلام وقد هُدم الهيكل مرتين قبل الإسلام.

والمندفعة بالعواطف، والمستندة في الوقت ذاته إلىٰ البحث في المجهولات والغيبيات عن تفسير لما يحدث من وجهة نظر إسلامية؛ لتحشد علىٰ أساسه طاقات متحفزة للذود عن الذات والهوية.

لكل هذا؛ فالمتصور أن هناك حلبة صراع حقيقية وعالمية، يمكن أن تنصب علىٰ ساحات الأرض المقدسة، إذا ما أقدم اليهود بممالأة من النصارىٰ علىٰ تنفيذ أكبر حدث يمكن أن يُختم به القرن العشرون أو يفتتح به القرن الحادي والعشرون، وهو: هدم المسجد الأقصىٰ، وهو حدث يعترف اليهود أنفسهم بأنه سيكون - إذا حصل - بوابة لأحداث كبرىٰ يمكن أن تفتح أمامهم صراعات لا يعرفون لها مدىً[(١)].

هل هذه أساطير؟!

سيقول أقوام: هذه أساطير تعشعش في أدمغة طوائف من غلاة النصارىٰ وعتاة اليهود. نقول: نعم! هي أساطير، ولكن من قال: إن الكفار من أهل الكتاب تخلوا يوماً عن الأساطير قديماً أو حديثاً!؟ واليهود بوجه خاص: هل وصلوا إلىٰ ما وصلوا إليه من العلو في الأرض إلا بدفع نفسي قوي من وحي الأساطير التي ترجمت إلىٰ برامج للعمل وخطط للتحرك؟!.

(دولة إسرائيل) كانت أسطورة، وعاصمتها كانت أسطورة، وقوتها وجيشها بُنيا علىٰ أسس من وحي الأساطير، بل إن خطوات اليهود الوئيدة للسيطرة علىٰ

---

(١) منذ عشر سنوات، صدر للمؤلف كتاب (قبل أن يهدم الأقصىٰ) عن دار طيبة للنشر والتوزيع ودار الوطن بالرياض، وعن دار النشر والتوزيع الإسلامية بالقاهرة، وفيه استعراض بإسهاب للخلفيات الدينية والتاريخية لدىٰ الأمم الثلاث للاهتمام بشأن ذلكم المكان وتفاعلاتها المعاصرة. وهذا الفصل يعد استكمالاً مختصراً لما استجد من موضوعات الكتاب المذكور.

العالم من خلال السيطرة على أعظم قوة فيه لا تحركها إلا الأساطير. ولكنْ هناك فرق بين من يتحرك بالأساطير إلى عالم الحقيقة، ومن يتهرب من الحقائق إلى عالم الأوهام والأساطير؟

الأمر جاد.. والنوايا مبيتة... والخطوات تتسارع رغم سيرها على درب الأساطير، وعلى المسلمين أن يعوا أن هدم المسجد الأقصى صار عند يهود العالم ومن شايعهم من النصارى؛ فريضة الوقت، ومسؤولية الجيل، وهو فرصة العمر السانحة لأول مرة في التاريخ منذ ألفي عام.

فما الذي يجب علينا فعله؟.. وقبل ذلك ما الذي يجب علينا فهمه؟

لتجلية خلفيات هذا الأمر، فإن هناك أسئلة لا بد من طرحها، ولا مناص من الإجابة عليها ومصارحة النفس بها:

ماذا يمثل المسجد الأقصى بالنسبة لليهود؟

وهل يمكن أن ينجحوا في هدمه فعلاً؟!.. وماذا لو هُدم؟ وما هو واجب المسلمين حتى لا يقع المحذور؟! وما هو المتوقع من الأعداء لو نُفذت المؤامرة؟!... وهل يمكن أن يتراجع اليهود عن تحقيق هذا الهدف؟

أسئلة ينبغي التحضير لها من الآن، قبل أن تفجؤنا الحوادث ويتجاوزنا الزمان.

أولا: ماذا يمثل المسجد الأقصى بالنسبة لليهود؟

لا يغيب عن علم المطلع على تاريخ النبوات، أن لكل أمة قبلة تتجه إليها في صلواتها وعبادتها، فكما أن لنا ـ نحن أهل الإسلام ـ قبلة هي الكعبة المشرفة، فقد كان لكل من أصحاب الديانات السماوية السابقة قبلة يتجهون إليها

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ [البقرة: ١٤٨]، وكان هذا التوجه عند أصحاب كل ملة جزءاً من شريعتهم، ولكن الأمر الذي جدَّ ـ بعد بعثة الرسول الخاتم ﷺ ـ أن تلك الشرائع نُسخت وأُلغي العمل بها، وبالتالي: فقد نسخت شرعية كل قبلة يُتجه إليها إلا الكعبة المشرفة، فهي وحدها التي تقبل العبادة بالتوجه إليها، وهي أيضًا لا تقبل إلا من موحد مسلم.

والمشكلة: أن هؤلاء المتبعين للشرائع المنسوخة لم يعترفوا ـ وخاصة اليهود منهم ـ بذلك النسخ، ولم يؤمنوا بالشريعة التي جاء بها النبي الخاتم ﷺ، وهم بالتالي قد ظلوا متشبثين بالقبلة التي كانوا عليها ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ... ﴾ [البقرة: ١٤٥].

إن قبلة اليهود ـ منذ كانوا، وإلى اليوم ـ هي المعبد الذي بناه إبراهيم ـ عليه السلام ـ للمرة الأولى، ثم شيده في هيئة عظيمة سليمان (عليه السلام)، والذي يطلقون عليه: (هيكل سليمان)، وهو الاسم التاريخي القديم للمسجد الأقصى قبل أن يتحول إلى إرث الأمة الإسلامية، والمعروف تاريخيًّا أن ذلك المعبد قد دُمِّر مرتين، المرة الأولى على يد الملك البابلي «بختنصر» عام (٥٨٧ قبل الميلاد)، والمرة الثانية عام (٧٠ ميلادية) على يد الإمبراطور الروماني «طيطس»، حيث دمره تدميراً كاملاً، ولم يبقَ منه إلا جزءاً من السور في الجهة الجنوبية الغربية لساحة المعبد، وهو الجزء الذي ظل باقيًا حتى بعثة الرسول ﷺ، وهو الذي رُبط فيه (البراق) في ليلة الإسراء والمعراج، وهو نفسه السور الذي تسميه اليهود اليوم بـ (حائط المبكى)، وقد جاء ذكر التدميرَين (الأول والثاني) في القرآن الكريم في أول سورة الإسراء.

والمقصود هنا: أن اليهود ظلوا يتجهون إلىٰ ناحية ذلك الهيكل في صلواتهم منذ ذلك التاريخ، وظلوا يتشوقون ويتشوفون إلىٰ يوم يستطيعون فيه إعادة بناء ذلك الهيكل الذي يدْعُونه اليوم بـ (الهيكل الثالث). والنصارىٰ أيضاً يقدسون مكان الهيكل، ويصلون ويحجون إليه، ولكنهم يؤثرون أن يدَعوا لليهود ساحة الصراع عليه الآن[1]، حتىٰ إذا أعيد، نظم النصارىٰ جهودهم لتنصير اليهود ولهذا نرىٰ أن اليهود هم المتصدون منذ دخولهم القدس للعمل لإعادة الهيكل مع مواطأة وممالأة من نصارىٰ البروتستانت الذين يشاركونهم معظم معتقداتهم في الأرض والمعبد.

ولم تسنح الفرصة لليهود طوال ما يقرب من ألفي عام للاقتراب من حلمهم التاريخي بإعادة بناء الهيكل، إلا في هذا القرن، بعد أن عادوا للاستيطان في أرض فلسطين، وظل حلمهم يقترب من التحقيق شيئًا فشيئًا، حتىٰ اقترب جداً باحتلالهم لمدينة القدس بعد حرب عام ١٩٦٧م، حيث وقع المسجد الأقصىٰ أسيراً تحت أيديهم، ولكن الأمور لم تكن بالسهولة التي يستطيعون معها في الحال أن يُقدموا علىٰ إنفاذ رغباتهم المحمومة في هدم المسجد الإسلامي وبناء المعبد اليهودي مكانه، فلجؤوا إلىٰ الحيل والمكائد والمؤامرات للوصول إلىٰ ذلك الهدف في الوقت المناسب.

ثانياً: هل يمكن أن ينجح اليهود فعلاً في هدم المسجد الأقصىٰ؟

ليس بين أيدينا نص معصوم يدل علىٰ أن هدم المسجد الأقصىٰ ممتنع قدراً؛ وليس شرطاً أن ترد أحاديث الفتن بكل ما يقع منها؛ فكثير من الحوادث الجسام

---

(١) راجع بتوسع - إن شئت - أبعاد المؤامرة المشتركة بين اليهود والنصارىٰ علىٰ المسجد الأقصىٰ في كتاب (قبل أن يهدم الأقصىٰ) للمؤلف.

وقعت دون أن تذكر في آية أو ترد في حديث، وبعضها أخبر عنه النبي ﷺ ولكن حَفِظَ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه[١].

إن الكعبة نفسها قد هُدمت من قبل - في زمن الحجاج - دون أن يكون لذلك ذكر في محكم آية أو نص حديث. والحجر الأسود قد نُزع من الكعبة - في زمن القرامطة - ونقل إلىٰ البحرين ليظل هناك سنين عدداً قبل أن يُعاد، ولم تأت الإشارة إلىٰ ذلك في كتاب ولا سنة؛ إذن فليس لأحد أن يحتج بعدم الورود علىٰ عدم الوقوع؛ لأن الأمر قد يُسَطَّر في القدر، ولا يُذكر في الكتب.

والذي يحكم الأمور عند ذلك هو قانون الأسباب والمسببات الذي يجري به قدر الله بما يشاء وقوعه.

وعلىٰ حسب مجريات الأمور المشاهدة؛ فإنها شاهدة بدأب اليهود والنصارىٰ وأخذهم بكل الأسباب المادية، في الوقت الذي يريد المسلمون فيه أن يعطلوا قانون الأسباب؛ وفي ظل ذلك لا نظن أن سنن الله - تعالىٰ - ستحابي أحداً؛ فماذا فعل المسلمون في العالم كله وهم يبلغون - عددياً - ملياراً وربع المليار؟ ماذا فعلوا عبر ما يزيد علىٰ ثلاثين عاماً لكي يستنقذوا مقدساتهم من عصابة الملايين الأربعة التي زُرعت بينهم، ثم فرضت وجودها عليهم؟

إن قدر الأسباب لن يحابينا ونحن نجافيه، إلا إن أراد الله أمراً، فقدَّر بسببه شأناً إلهياً محضاً ينقذ المسجد ويعطل أسباب الكيد ضده، كما رد الله كيد أصحاب الفيل لهدم الكعبة قبل الإسلام... ولكن المشكلة أن هذا أيضاً أمر لم يأت به خبر معصوم، فيتكئ عليه المتكئون.

---

(١) كما دل علىٰ ذلك حديث حذيفة بن اليمان قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلىٰ قيام الساعة إلا حدَّث به، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، أخرجه البخاري (القدر ٦٦٠٤)، ومسلم (الفتن/ ٢٨٩١) واللفظ له.

ثالثاً: ماذا لو هدم الأقصى؟

أتصور أن فئاماً من الناس سيفتنون لو وقع الحدث، وسيقولون: كيف هذا والمسجد الأقصى قد نزل بشأنه القرآن، وتواترت بفضله الأحاديث، كيف يُهدم، وكيف يتحول إلى معبد يهودي؟ وينبغي أن يقال لهؤلاء: إن المسجد الأقصى قد مرت عليه السنون في مرحلة من التاريخ وصلبان النصارى مرفوعة فوق مآذنه، أيام كان الاحتلال الصليبي، وقد كان مسجداً إذ ذاك، ولم تنتف عنه صفته الشرعية، ولا خصوصياته المسجدية؛ والذي أصابه لم يتعدَّ التلوث بأوضار التثليث، ثم عاد لأهل التوحيد عزيزاً مطهَّراً، لـمّا عادوا إلى نصرة التوحيد.

فلا بد أن يُعلم أن أرض المسجد مقدسة، ولها أحكامها الشرعية من حيث مضاعفة أجور الصلوات فيها، واستحباب شد الرحال إليها، سواء أكان البناء موجوداً أو غير موجود؛ فالساحة نفسها سُميت مسجداً وقت تنزُّل القرآن بآيات الإسراء، ولم يكن ثمة مسجد مقام. إن المكان أخذ حكم المسجد قبل أن يُبنى مسجداً في الإسلام، وصلى فيه إمام الأنبياء ﷺ بأولي العزم من الأنبياء في أرض فضاء... فحقائق التاريخ وقصص الأنبياء تدل على أن المسجد الأقصى لم يبنَ مرة أخرى بعد هدمه الثاني بُعيد زمان عيسى - عليه السلام - حتى جاء محمد - عليه الصلاة والسلام - ولما تم الفتح، جاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ومعه كعب الأحبار - رضي الله عنهما - ليدله على موضع مصلى داود - عليه السلام - ثم بنى هناك مسجداً متواضعاً من خشب[1]، فلما جاء عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك، أعاد بناءه على الهيئة التي هو عليها الآن. وقد

(١) انظر فتوح الشام (١/ ٢٤٢).

حافظ المسلمون على مر العصور على هذه الأمانة، حتى جاء عصر تضييع الأمانة الذي نعيشه، فوقع المسجد في الأسر، وها هو يتهدد بالهدم.

وهنا أمر تنبغي الإشارة إليه، وهو ما ورد في الحديث الصحيح بشأن منع الدجال من دخول مساجد أربعة، منها المسجد الأقصى، وذلك في قوله ﷺ: «. . وعلامته: يمكث في الأرض أربعين صباحاً، يبلغ سلطانه كل منهل، لا يأتي أربعة مساجد: الكعبة، ومسجد الرسول، والمسجد الأقصى، والطور»[1]. وهذا يحتمل أن يظل المسجد كما هو، بحفظ الله وحده، أو أنه سيُعاد كما كان - إذا أصابه مكروه - لا قدر الله - أو أن المراد بالمسجد أرض المسجد كما في آية الإسراء.

رابعاً: ما الواجب على المسلمين حتى يُعذِروا إلى الله؟

لا أبالغ إن قلت: إن الفتاوى بذلك قد أخذت أكبر حيز من الإجماع في الفتاوى السياسية بين علماء المسلمين في العالم، منذ أن قدم اليهود إلى القدس. فقد بُحَّت أصوات العلماء بالنداء والدعاء لإنقاذ المسجد الأقصى . . ولكن كم أضاع المنافقون من الساسة فرصاً لجمع الأمة وتجييشها ضد عدوها المصيري، لتقاتله في سبيل الله تحت راية القرآن الخالد، كما قاتلها هذا العدو في سبيل الشيطان تحت راية التوراة المحرفة.

والذي يمكن أن يقال الآن للمسلمين - خاصة وعامة - أن يتخففوا من الإثم الواقع عليهم بتدارك الأمر في حدود المستطاع - وهو كثير - لعل الله - تعالى - يبارك في تلك الجهود، ويقمع كيد اليهود؛ فدعمُ الحركات الجهادية الإسلامية

---

١) رواه أحمد في مسنده (٥/ ٣٦٤) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٧/ ٣٤٣) وقال: رجاله رجال الصحيح، وقال ابن حجر: رجاله ثقات فتح الباري (١٣/ ١٠٥).

في فلسطين هو البداية المستطاعة الآن، حتى يأذن الله بأن تدب روح الغيرة في عروق كثير ممن ولاهم الله أمر هذه الأمة المبتلاة.

خامسا: ما هو المتوقع إن وقع المحذور؟

المتوقع أن يبدأ اليهود فوراً في الخطوات العملية ـ المعدة سلفاً ـ في مشروع البناء، بل الإسراع في الانتهاء من إقامة المعبد اليهودي مكان المسجد الإسلامي، ويخطئ من يظن أن اليهود ينتظرون الأقدار ـ مثلنا ـ حتى تتحفهم بحدث سعيد يعيد مجداً ويقيم مُلكاً، لا . . . إن اليهود يحاولون مغالبة السنن، وكأنهم يريدون أن يصنعوا الأقدار صنعاً، ويستخرجوها استخراجاً من مكنون الغيب ومستور القضاء. لهذا تراهم لا يتعاملون مع الأمور بقدريتنا نحن، ولا يتركون شيئاً للمصادفات.

ويشار هنا إلى أنهم قد بدأوا بالفعل في تهيئة الظروف على أرض الواقع تحسباً للحظة المناسبة؛ ففيما يتعلق بأمر المسجد الأقصى خاصة؛ فإن الدلائل تتكاثر على تعاظم الجدية لديهم في الإقدام على مشروع الهدم وما بعده، وهذه أبرز الشواهد على ذلك:

تضاعف أعداد التنظيمات والجماعات الساعية والمتعاونة للهدم ثم البناء:

في الأرض المغتصبة الآن (١٢٠) جماعة، تصنف في داخل (إسرائيل) نفسها بأنها (متطرفة)[١] ومن هذه الجماعات ما لا يقل عن خمسة وعشرين جماعة متخصصة في المساعي الرامية لهدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل.

وتشكل بعض هذه الجماعات تحالفات فيما بينها، ومن أبرزها ما يسمى: (رابطة القدس) التي تضم عدداً من التجمعات اليهودية المتشددة، وكانت هذه

(١) وذلك حسبما نشر في مجلة الأهرام العربي (١٦/ ٥/ ٩٨).

الرابطة هي السبب في إقناع بنيامين نتنياهو رئيس الوزراء السابق بافتتاح (النفق) المار تحت أساسات المسجد الأقصى عام ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

وبات من المعروف أن تلك الجماعات لا تكتفي بالمطالب والمناشدات، بل تلجأ بين الحين والآخر للقيام بأعمال عدائية واستفزازية ضد المسجد الأقصى، يغلب على الظن أنها تريد بها جس النبض لردود الأفعال التي يمكن أن تحدث لو قامت بالعمل الأخير.

وقد قامت تلك الجماعات منذ عام ١٩٦٧م - الذي احتل اليهود فيه القدس - وحتى العام ١٩٩٠م بأكثر من أربعين عملاً عدائياً ضد المسجد الأقصى، وقد يُظن أن ما يسمى بـ (عمليات السلام) بعد هذا التاريخ قد خففت من حدة المشاعر اليهودية العدائية تجاه جيرانهم العرب (المسالمين)، ولكن الحقيقة أن هذا الوهم تكذبه الوقائع؛ فمنذ أن أُبرمت اتفاقيات مدريد وأوسلو، وأعمال الاعتداء تزداد وتيرتها؛ حتى بلغت قريباً من مئة محاولة، منها ٧٢ محاولة منذ توقيع اتفاق أوسلو وحتى منتصف عام ١٩٩٨م.

لقد بدأت الصحف العالمية والإسرائيلية ترصد تلك الظاهرة التي تتحول مع مرور الوقت إلى نمط عنيف متعجل متعجرف لا يريد أن يتوقف، فكشفت مجلة (فورن ريبورت) البريطانية في الأسبوع الأول من سبتمبر عام ١٩٩٨م، أن جهاز الأمن الداخلي الإسرائيلي (الشاباك)، لديه معلومات وثيقة بأن المتعصبين اليهود المنخرطين في تنظيمات سرية يدبرون لاعتداءات قريبة ونهائية على المسجد الأقصى.

ونشرت جريدة (معاريف) (الإسرائيلية) في (٣٠/٨/١٩٩٨م) مقالاً بعنوان: (نقاش طارئ تحسباً لتفجير المسجد الأقصى) جاء فيه: «يجري نقاش

طارئ حول تحذيرات من الاعتداء على المسجد الأقصى، يشارك فيه رئيس الوزراء وكبار قادة الدولة، وجاء اللقاء على أثر أنباء قوية عن احتمالات وقوع مصادمات بين الإسلاميين الفلسطينيين ومتشددين يهود في ساحة المسجد الأقصى تنتهي بعواقب وخيمة».

والسعار اليهودي المتلهف نحو هدم الأقصى ليس مقصوراً على يهود (إسرائيليين)، ولا حتى يهود من الخارج؛ بل إن نصارى متدينين أيضاً يقدمون من خارج إسرائيل للمشاركة في هذه المساعي الحثيثة الخبيثة، ومن ذلك ما أفادت به صحيفة (يديعوت أحرونوت) الإسرائيلية في عددها الصادر في ٣/ ٩/ ١٩٩٨م أن (السلطات الإسرائيلية) ألقت القبض على سائحين إيطاليين (نصرانيين) قدما لـ (إسرائيل) لتنفيذ (مهمة مقدسة) في المدينة الأبدية، قبل أن تبدأ الألفية الثالثة!

وقد نشرت جريدة الحياة في (٢٤/ ١١/ ١٩٩٨م) أن اللجنة الوزارية لشؤون القدس، بحثت الأخطار المتزايدة التي قد تنجم عن شن المتطرفين اليهود هجمات على المساجد الإسلامية، وإمكان اعتداء متشددين (مسيحيين) على المسجد الأقصى ومسجد الصخرة بمناسبة انتهاء الألفية الثانية. وقال (يائير يتسحاقي) قائد الشرطة (الإسرائيلية) في القدس: إن أعضاء من طائفة مسيحية من (دينفر) يطلق عليها: (المسيحيون الجادون) وصلوا إلى إسرائيل بعد أن باعوا مقتنياتهم في بلادهم متوجهين إلى إسرائيل لتنفيذ أوامر من زعيمهم (مونت ميلر) الذي أعلن أنه سيموت في القدس قريباً جداً!!

وأشار الوزير (الإسرائيلي) إلى أن الحكومة (الإسرائيلية) بدأت تتعامل مع

نشاطات مثل تلك الجماعات التي تكثف نشاطها مع اقتراب العام ٢٠٠٠[(١)].

وقد شكل جهاز الشاباك (الإسرائيلي) في الفترة الأخيرة قسماً خاصاً يعكف على العمل ليحول دون وصول التنظيمات السرية اليهودية إلى تحقيق مرادها في التعجيل بهدم الأقصى بمبادرات مستقلة؛ قد تحرج الدولة اليهودية، وفي هذا الشأن كتب الصحفي (الإسرائيلي) (يوسي ليفي) مقالاً في صحيفة معاريف (٢٩/ ٨/ ٩٨م) جاء فيه: (القاعدة التحتية للتنظيمات المتشددة موجودة حسب تقديرات قوات الأمن؛ والمعلومات التي بحوزتها تقول إن الاتصالات بينها تتم بالوسائل والطرق السرية، والتنسيق بينها موجود، والمشكلة القوية التي تواجه أجهزة الأمن هي التغلغل في هذه المجموعات؛ لأنها مجموعات ذات معتقدات أيديولوجية متعصبة مرتبطة بعواطف دينية حادة، بحيث يعرف كل واحد من أعضائها الآخر؛ بما لا يسمح باختراقها).

الحكومات الإسرائيلية تريد إذن أن تستخدم تلك الجماعات بتوازن دقيق، فهي لا تخالفها في الهدف، ولكن ربما تخالفها في الوسائل والبدائل وأوقات التنفيذ.

لكن كل هذا لا يُخفي مباركتها واحتضانها لهذه الجماعات التي يمكن أن توفر لها مخرجاً لإعداد (سيناريوهات) للتنفيذ عند اللحظة المناسبة؛ بحيث تتخفى وراءهم، وكأن الأمر قد خرج من يدها.

وهناك إشارات متفرقة تخرج من (إسرائيل) في الآونة الأخيرة تحاول أن تمهد نفسياً لإمكانية حصول شكل من أشكال تلك (السيناريوهات).

---

(١) هذه المحاولات بالتفصيل نشرتها جريدة البيان الإماراتية في عددها الصادر في ٢٦/ ٥/ ١٩٩٨.

فقد نشرت جريدة (معاريف) في أغسطس ٩٨م مقالاً بعنوان: (ثلاثة احتمالات للتهديدات) ذكرت فيه أن القيام بعمل ضد الأماكن الإسلامية قد يأخذ أحد الأشكال الثلاثة الآتية:

١ ـ انتفاضة شعبية عارمة من مئات ألوف المتطرفين؛ حيث يقومون بسلسلة عمليات شغب عنيفة، لإشاعة جو من الفوضى يتم خلاله تنفيذ ما يريدون[١].

٢ ـ قد يقوم متطرف يهودي واحد دون شركاء، وبدون مساندة أو إعداد سابق بهذا العمل، مثل ما قام به (عامير) في قتل رابين، أو باروخ جولد شتاين في مذبحة المسجد الإبراهيمي[٢].

٣ ـ قد تقوم مجموعة من الأشخاص في خلية سرية بتوجيه ضربتها مستخدمة القنابل أو الصواريخ.

وقد نشرت جريدة (يديعوت أحرونوت) في عددها الصادر في ١/ ٩/ ٩٨م خبراً بعنوان: (يهودي مجنون قد ينسف الأقصى أو قبة الصخرة)، وجاء في الخبر: «يخشى قادة (الشاباك) أن يقوم متطرف من (اليمين الإسرائيلي) بالاعتداء على المسجد الأقصى أو قبة الصخرة بهدف الإجهاز على العملية السلمية نهائياً. وتذكر الصحيفة أن (سيناريو) الاعتداء عُرض على رئيس الوزراء السابق (نتنياهو) في اجتماع حضره وزير العدل والأمن الداخلي والمالية، إضافة إلى رئيس بلدية القدس، ورئيس جهاز (الشاباك) والمفتش العام للشرطة، وأعربت الصحيفة عن تخوفها من أن يؤدي الاعتداء على المسجد الأقصى أو قبة الصخرة إلى إحراق المنطقة كلها.

---

(١) وهذا على طريقة المتطرفين الهندوس الذين هدموا المسجد البابري في الهند عام ١٩٩٤م.

(٢) أو ما فعله (دينس مايكل) النصراني الاسترالي الإنجيلي الذي قام بإشعال حريق كبير في المسجد الأقصى عام ١٩٦٩م.

وهناك (سيناريو) رابع أضيفه من خلال متابعتي للموضوع، وهو إمعان اليهود في المزيد من إضعاف أساسات المسجد وتفريغ الأرض من تحته، ثم الادعاء عند أي هزة أرضية طبيعية أو صناعية، أن المسجد هُدم قضاءً وقدراً!! وهنا تعفي الحكومة الإسرائيلية نفسها وتعفي المنظمات الدينية من مسؤولية الهدم، لتتفرغ للبناء.

وأياً كان الأمر، فالسلطة في (إسرائيل) ليست أقل حرصاً من التنظيمات الدينية السرية والعلنية في الإسراع بهدم الأقصى والصخرة ثم بناء الهيكل على أنقاضهما، وهذا الحرص يصل إلى أعلى مستويات المسؤولية في الحكومات المتعاقبة؛ فمنذ أن قال بن جوريون المقولة المشهورة، ورددها بعده مناحيم بيجن: (لا قيمة لإسرائيل بدون القدس... ولا قيمة للقدس بدون الهيكل) منذ أن قيل ذلك، والمسؤولون الإسرائيليون يدللون بالقول والفعل، على أن هذه قناعة ثابتة لدى الجميع داخل (إسرائيل) ويعبر عن هذه القناعة الحاخام (ماكوفر) بقوله: «لا أشك لحظة في أن الجامع ذا القبة الذهبية والمقام على الصخرة نفسها، التي أقام عليها الملك سليمان مركز العبادة العبرانية في التاريخ القديم.. هذا الجامع سيدمر ليقام مكانه هيكل القدس الجديد الذي سيعاد بناؤه بكل فخامته[1]، وكان أبرز الساسة المجاهرين بالتعاون مع المتدينين لأجل تلك الغاية الخبيثة، بنيامين نتنياهو، ففي عهده المأفون ـ وللمرة الأولى ـ انعقد في القدس المؤتمر السنوي السابع لرابطة (إعادة بناء الهيكل) بمباركة ومشاركة حكومية، والرابطة تضم عشر منظمات كبرى اشتركت في تنظيم المؤتمر الذي عقد في ١٧/ ٩/ ١٩٩٨م وضم آلافاً من اليهود المتدينين من منظمات أخرى

---

(١) الأصولية اليهودية، ص ١٠٢.

يجمعهم قاطبة أنهم أعضاء في منظمات يهودية سرية وعلنية تدعو جهاراً إلى التعجيل بهدم الأقصى وبناء الهيكل.

وتقدر الأوساط الإسرائيلية عدد من حضروا المؤتمر بسبعة آلاف يهودي.

وكان الهدف من المؤتمر - الذي شاركت فيه شخصيات حكومية - تقسيم المهام من أجل الهدف الذي جعلوه عنواناً للرابطة وهو: (إعادة بناء الهيكل)، وقد ألقى نائب وزير المعارف (الإسرائيلي) (موشي بيلد) كلمة أشاد فيها بالحضور، وخاطب المؤتمرين قائلاً: «أدعوكم إلى مواصلة نشر قيم الهيكل وقيم التراث والثقافة اليهودية بين شباب (إسرائيل) في كافة مراحل التعليم». وأردف قائلاً: «إن الهيكل هو قلب الشعب اليهودي وروحه». ثم قام زعيم منظمة (قائم وحي)[1] ليتحدث عن المشاركين فقال: مخاطباً آلاف الحاضرين «هلموا إلى جبل الهيكل.. قاتلوا من أجله، ليس في القاعات ولا بالأقوال سيحرر الهيكل.. نحن الآن مدعوون للتضحية بأنفسنا وأرواحنا» وقال: «مهمة هذا الجيل هي تحرير جبل الهيكل وإزالة الرجس والرجاسة عنه» وتابع سنرفع راية إسرائيل فوق أرض الحرم، لا صخرة ولا قبة ولا مساجد، بل راية إسرائيل فهذا واجب مفروض على جيلنا» وقال متحدث آخر: «إننا نرى دعماً رسمياً، ونأمل بأن يسهم في إعطاء انطلاقة جديدة لقضية إعادة المعبد اليهودي في القدس» (الحياة ١٩/ ٩/ ١٩٩٨م).

---

(١) هذه المنظمة امتداد لمنظمة المتعصب اليهودي الهالك مائير كاهانا الذي قتله شاب مصري في الولايات المتحدة، وكانت منظمته تدعى (كاخ) وتعني صوت البندقية، وأسس ابن كاهانا منظمة (قائم وحي) لتكون امتداداً لمنظمة أبيه.

الخطوات الحكومية الممهدة لتنفيذ المؤامرة:

إذا كانت المنظمات المذكورة - وهي مجرد منظمات - تحمل كل هذا الحماس للتحرك العملي من أجل خدمة المشروع الذي يمثل رمز الوجود اليهودي؛ فما بالنا بالدور الذي يمكن أن تقوم به الدولة نفسها، وهي التي يحمل علمها (النجمة السداسية) الذي يفسره البعض بأنه رمز للهيكل نفسه؟!

لا شك أن لها دوراً يليق بكونها (دولة) وسلطة، فهناك أدوار لا تستطيع المنظمات منفردة ولا مجتمعة أن تقوم بها، بل لا بد من قيام الدولة بالدور الأساس فيها. والذي يظهر من السلوك العام للحكومة؛ أنها تقسم (المشروع) إلى قسمين: قسم للتحضير، وهو يتناول عمليات الإعداد السابقة لبناء الهيكل، بما فيها هدم المسجدين، وهذا القسم تتركه لتلك الجماعات والمنظمات المتعصبة والنشيطة، وقسم آخر لمرحلة التنفيذ، بما تتضمنه من الشروع في البناء ذاته، وتأمين ما يحتاجه من مشاريع وتكاليف ومنشآت وطرق وأنفاق وموظفين وإجراءات نظامية . . . إلخ.

وهناك أمر مهم آخر، وهو: تأمين المرحلة، بمعنى توفير العامل الأمني لتلك المنظمات مجتمعة لكي تقوم بأدوارها - التي لن يقوم بها غيرها - في التحضير لمرحلة البناء وما بعد البناء؛ ليتم ذلك في أسرع وقت دون معوقات. ونشير هنا إلى بعض الإجراءات الحكومية الإسرائيلية التي لها دلالتها البالغة في الإشارة إلى الدور الذي تضطلع به الحكومة الإسرائيلية في المؤامرة الكبرى:

أولاً: **الحفريات تحت المسجد الأقصى**: وقد قطعت الحكومة الإسرائيلية فيها عشر مراحل، وهذه المراحل العشر استغرقت المدة منذ عام ١٩٦٧م وحتى نهاية ١٩٨٠م، ولا تزال أعمال الحفريات تجري بطرق أخرى إلى وقتنا هذا،

وهي تستهدف الوصول إلى غاية من أخبث الغايات التآمرية على المسجد الأقصى، ولا تستطيع المنظمات اليهودية كلها أن تقوم بها وهي: تفريغ الأرض تحت المسجدين، لتركهما قائمين على فراغ، ليكونا عرضة للانهيار السريع بفعل أي عمل تخريبي، أو حتى اهتزازات أرضية طبيعية أو صناعية ـ كما سبقت الإشارة، ولكن الهدف المعلن دائماً هو الكشف عن آثار باقية للهيكل الثاني الذي دُمر عام ٧٠ للميلاد، وقد سمحت الحكومة الإسرائيلية خلال عامي ١٩٩٥، ١٩٩٦م لمؤسستين إسرائيليتين وهما: (شركة الآثار الإسرائيلية) و (شركة تطوير القدس) بإجراء المزيد من الحفريات. وفي ١٨/٨/ ١٩٩٤م، أدلى خبير الآثار الإسرائيلي (جوزيف سيرج) بتصريح قال فيه: «سنقوم بإعادة بناء الهيكل الثالث على أرض المسجد الأقصى الذي تستطيع إسرائيل تصديعه باستخدام الوسائل الحديثة».

ثانياً: شق الأنفاق: وهي عمليات تشترك مع عمليات الحفريات في أنها تهدد أساسات المسجد الأقصى في المرحلة الحالية، وتسهل أو تكمل مشروع بناء الهيكل في المراحل التالية. وكانت قصة الافتتاح الرسمي لنفق (الحشمو نائيم) في سبتمبر عام ١٩٩٦م، بمثابة لفت نظر لتبني الدولة العبرية لمثل هذه المشروعات.

وكان افتتاح النفق في ذلك الوقت إشارة إلى بدء الإجراء العملي (الرسمي) لتحويل المسجد الأقصى إلى معبد يهودي، فبعد أن اكتمل النفق بطول أربعمائة متر في فترة عمل سري؛ افتتحه عمدة القدس (تيدي كوليك) رسمياً في احتفال (علني)، وهذا الافتتاح الرسمي أرادت به الحكومة الإسرائيلية أن تلقي برسالة مفادها أن اليهود أصبحوا شركاء في ساحات الأقصى؛ فالأنفاق تجري من

تحتها، وبداخلها مساحات تصلح لأن تكون كنيساً مؤقتاً، يقيم فيه الراغبون من اليهود صلواتهم (في الدور الأسفل) ريثما يتاح الانتقال إلى الأدوار العليا، وقد وضعت الحكومة الإسرائيلية لوحات إلكنرونية داخل النفق، تظهر البلدة القديمة للقدس بدون المسجد الأقصى أو مسجد الصخرة، ويظهر مكانهما الهيكل اليهودي، وسط طابع معماري جديد للمدينة تغلب عليه الصبغة اليهودية. وأرادت حكومة نتنياهو السابقة أيضاً أن يكون الافتتاح اختباراً، تقاس به ردود الأفعال والأقوال العربية والإسلامية إذا ما تم تنفيذ مشاريع أكبر! ، وقد جاءت ردود الأفعال والأقوال مشجعة لليهود؛ حتى إن نتنياهو لم يجد مانعاً من التفاخر علناً بما تم إنجازه، مشيداً بعهده (الشجاع) الذي شهد هذا الافتتاح بعد أن تأخر كثيراً، وقال: (إنني فخور جداً؛ ومتأثر جداً، فالنفق يمس أساس وجودنا) (الوطن الكويتية ٢٨/ ٩/ ١٩٩٦م)، لقد كان افتتاح النفق سبباً في وقوع أزمة كبيرة هددت مسارات (السلام) وقتها لشدة اعتراض السلطة الفلسطينية التي أربكتها المظاهرات والهتافات، ثم تحولت الاعتراضات إلى مناشدات بإغلاق النفق، ولما لم تجدِ الاعتراضات ولا المناشدات استؤنفت المفاوضات بعدها على كل المسارات! . . . ثم توقفت بعد إصرار اليهود على بناء مستوطنات على جبل أبي غنيم. . ثم استؤنفت حتى جاء الوقت الذي تعاقدت فيه (إسرائيل) مع المنظمة على تحمل (المسؤولية) الأمنية كاملة. . في دمية جديدة من (لعبة) السلام تسمى: (واي بلانتيشن).

ومما يجدر ذكره أن هناك أنفاقاً أخرى ـ لم يُعتَرض عليها ـ يجري الإعداد لها والعمل فيها، والهدف منها أن يأتي وقت تكتمل فيه ممرات وشوارع تحت ساحات الأقصى تسهل التنقل تحته في المراحل القادمة.

ثالثاً: السور العازل بين المسلمين واليهود: اليهود يتهيأون ليوم آتٍ تتأجج فيه المشاعر، وتختلط فيه المسائل، وينفجر بركان الغضب الذي تكتمه أكذوبة السلام؛ فقبل اغتيال إسحاق رابين بعام، طَرحَ مشروعاً رأىٰ أن فيه حلاً نهائياً للفصل بين الشعبين الفلسطيني والإسرائيلي، وذلك ببناء سور ضخم يمتد بطول ٣٦٠ كيلو متراً، وارتفاع ثلاثة أمتار، يفصل الأراضي الخاضعة لسلطة الحكومة الإسرائيلية، والأراضي الواقعة تحت السلطة الفلسطينية. وقد هندس للمشروع (موشيه شاحاك) وزير الشرطة الإسرائيلي، ووافق عليه بيريز، وبدأ تنفيذ المشروع عام ١٩٩٦م.

والمشروع ـ عند التأمل ـ لا ينفصل عن مجمل مساعي (الحكومة الإسرائيلية) للتهيؤ لما تخبئه الأيام من صدام حتمي.. وبما أن جُل الصدامات الشعبية مع اليهود في الأرض المحتلة كان الباعث لها والحادي إليها مآذن المسجد الأقصىٰ.. فماذا يا تُرىٰ يمكن أن يحدث لو استُهدفت تلك المآذن ذاتها، واغتيل المسجد بكامله؟!

لا بد إذن من استعداد...

وقد أعلن في حينه أن السور يهدف إلىٰ منع دخول الفدائيين لتنفيذ عمليات (تخريبية) داخل (إسرائيل)، ولكن الظاهر أن الهدف أكبر وهو تمكين اليهود وحدهم من التخريب دون حسيب أو رقيب. إن المشروع واجه صعوبة في تنفيذه في البداية بسبب ضخامة تكاليفه؛ ولكن ـ وكالعادة ـ لم تقصر الولايات المتحدة ـ حكومة وشعباً ـ في دعم المشروع المريب، بل إنها تعهدت بأن يتم تنفيذه كاملاً بتمويل أمريكي خالص، وقد أقرت له ميزانية منذ عام ١٩٩٣م، وقدم كلينتون القسط الأول منها (مائة مليون دولار) في زيارته لـ (إسرائيل)

عام ١٩٩٦م، وموّلت واشنطن أيضاً عمليات تزويد السور بـ (١٨) معبراً، وطائرات استطلاع بدون طيار تحلق على مدار الليل والنهار فوق السور، وأجهزة لضبط المتسللين وكشف المتفجرات. والسور تقرر تزويده أيضاً ببوابات إلكترونية حديثة تمنع تسرب أي آلة معدنية، وأعلن في الولايات المتحدة عن إرسال معدات تُرَكَّب في الحيز العرضي للسور مع بالونات عسكرية بها أجهزة رصد تصويرية للحركة على امتداد السور، وسيزود الأمريكان إسرائيل أيضاً بـ (٢٠٦) طائرة هليوكبتر من النوع الخفيف لمزيد من المراقبة على الساحات المحيطة بالسور، وسيؤدي السور ـ الذي سيحول المناطق الفلسطينية إلى معتقل كبير ـ إلى حرمان المسلمين في الأرض المحتلة من مجرد التمتع بالنظر إلى أرض المقدسات من وراء الأفق، وسيمكِّن اليهود من منع المسلمين نهائياً ـ عندما يريدون ـ الوصول إلى المسجد الأقصى في يوم الجمعة أو في غيره.

بعض الواهمين يظن أن السور الذي تدعمه أمريكا، يدل على اتجاه إسرائيل نحو الاعتراف بدولة فلسطينية حقيقية؛ لأنه سيضع فواصل حدودية بينها وبين (إسرائيل) ولكن (شيمون بيريز) حمامة (السلام) النووية، بدد هذا الوهم عندما قال: (لن تكون هناك دولة فلسطينية، والسور لا يمثل حدوداً لنا مع هذه الدولة) (العالم اليوم، ٢/ ٣/ ١٩٩٩م). وحتى لو رأى زعماء حزب العمل بعده ألا ضرر من الموافقة على تلك الدولة الصورية، فإن هذا السور سيكرس عزلتها وفصلها بشكل نهائي عن القدس التي ظل عرفات يمني الفلسطينيين عبر سنوات بأنها ستكون عاصمة لدولته، فالسور ليس رسالة سلام إذن، وليس في مصلحة الفلسطينيين يقيناً.

فماذا يمثل إذن؟! إنه يمثل (أسطورة) خيالية، أخرجتها إلى عالم الوجود التكنولوجيا (الأيدولوجية) الجديدة!!

اسمعوا إلى هذه الأسطورة التي تتحول أمامنا إلى واقع: جاء في كتاب (القابلاه): في شرح التوراة: «توصف القدس بـ(الشخيناه) يعني الملكوت الذي سيحكم العالم، وستحيط بها المرتفعات حتى لا تصل إليها قوى الظلام، وستعلو جدرانها حتى يعود التوازن إلى العالم!»(١).

إذن، تحصين القدس وتحويلها إلى قرية محصنة والاستتار خلف أسوارها.. ثم القتال الجبان من خلف جدرانها؛ ليس إلا تعبيراً حديثاً جداً، عن التركيبة العقدية والنفسية العتيقة لأمة اليهود الملعونة على ألسنة الرسل، وصدق الله القائل: ﴿لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾[الحشر: ١٤].

إن وراء خطوة اليهود الرامية إلى هدم الأقصى خطوات أكبر إلى مساع أخطر يمثلها ذلك الإصرار العنيد على بناء الهيكل الثالث.. هيكل سليمان، فما هو... ولماذا يعاد بناؤه... ومتى يريدون الإعادة... وماذا أعدوا لذلك؟

لنحاول التعرف على ذلك فيما يأتي.

---

(١) انظر موسوعة اليهودية والصهيونية، للدكتور عبد الوهاب المسيري(٤/ ١٢٥).

الفصل الثالث

بناء الهيكل الثالث

سباق مع الزمن!

في ظل الفراغ الذي تعيشه أمة الإسلام بعامة، والعرب منهم بخاصة؛ فإن الساحة تظل مهيأة لكل نشاطٍ معادٍ يتحرك في هذا الفراغ الرهيب!

بدخول الألفية الثالثة تقترب دورة الزمان في التاريخ اليهودي من الانتهاء، لتبدأ دورة جديدة، دورة زمان (ملك السلام) الذي يعتقد اليهود أنه سيقضي على كل أعداء (إسرائيل)! وفي رأيهم أنه لا بد من تهيئة عالم الشهادة لقدومه من عالم الغيب.. لا بد من إقامة دولته، وتوحيد عاصمته، وتجهيز منبر دعوته! وموضع قبلته.

أما الدولة فقد أقاموها.. (إسرائيل)، وأما العاصمة فقد وحَّدوها (القدس)، وأما منبر الدعوة وموضع القبلة (الهيكل) فهو مهمة الوقت، وضرورة العصر في الفصل الأخير من الزمن السابق لعهد المخلِّص المنتظر - كما يدَّعون - فهل هناك متسع من الوقت لتجهيز الهيكل لملك السلام؟!

اليهود المتدينون يسابقون الزمن لبنائه، واليهود العلمانيون يستعدون لخلع رداء العلمانية بالمشاركة في إحيائه، ومع هؤلاء وهؤلاء، يراهن النصارى - بمشاركتهم في هذه المساعي - على تنصير اليهود عندما يجيء هذا المخلِّص (فيفاجأون) - أي اليهود - بأنه هو المسيح عيسى بن مريم!! ولعل هذا يفسر جانباً من احتفائهم غير البرئ بهم، واحتضانهم لهم، منذ ابتداء هذا القرن، وتضاعُف ذلك كلما اقترب زمان الألفية الثالثة، التي يعتقدون - هم أيضاً - أنها ألفية المسيح وزمان السلام![1].

تقول الكاتبة الأمريكية (لي أوبرين): «إن المذاهب اللاهوتية لكثرة من المسيحيين البروتستانت، تصف إنشاء دولة إسرائيل بأنه تحقيق لنبوءة توراتية،

---

(١) سيأتي تفصيل الخلفيات المتعلقة بالانتظار لدى أهل الديانتين.

وتعتقد أيضاً أن تجمع اليهود في فلسطين مجرد تمهيد لتنصيرهم قبل المجيء الثاني للمسيح، ولهذا فإن أنصار (السفارة المسيحية الدولية) في القدس[(١)] يشجعون محاولات تنصير أتباع أي ديانة باستثناء اليهود، إذ إنه من المحرم عليهم التبشير بينهم؛ لأنهم سيؤمنون تلقائياً بالمسيح عندما ينزل»[(٢)]! ولكن أين سينزل المسيح في اعتقاد النصارىٰ؟ يقولون أيضاً: سينزل في القدس، وسيمارس دعوته من الهيكل، ولهذا لا بد من مشاركة فعَّالة في بناء الهيكل الذي سيكون رمزاً لتعانق الديانتين: اليهودية والنصرانية معاً، أو بالأحرىٰ اندماجهما معاً! واليهود يرقبون هذه البلاهة بمكر، بل يستثمرونها بذكاء وصبر، وقد قال أحد حاخاماتهم لقسيس نصراني: «إنكم تنتظرون مجيء المسيح للمرة الثانية، ونحن ننتظر مجيئه للمرة الأولىٰ، فلنبدأ أولاً ببناء الهيكل، وبعد مجيء المسيح ورؤيته؛ نسعىٰ لحل القضايا المتبقية سوياً»[(٣)].

ولكن يظل أتباع اليهودية هم الجهة المعنية أولاً ببناء الهيكل فهو عندهم عقيدة... عبادة... تاريخ ووجدان، ولا أظن أن حماسهم سيفتر من أجل إخراجه إلىٰ عالم الوجود بعد أن ظن الناس أنهم أدرجوه في عالم النسيان.

إن الهيكل تسمية قديمة للمكان الكبير المختار للعبادة قبل الإسلام، والهيكل الذي كان موجوداً في الأرض المقدسة يمثل مراحل المسجد الأقصىٰ

---

(١) أنشئت في سبتمبر ١٩٨٠م، وتقف وراءها المنظمات الإنجيلية الأمريكية، وقد أصدرت فور إنشائها نشرة استهلتها بقولها. «ليكن دعاؤكم ضد الروح الإسلامي» وقالت: «إن وجود مسجد إسلامي في أقدس بقعة في القدس وصمة عار للموقع المقدس للهيكل» من كتاب: (المنظمات اليهودية الأمريكية ونشاطاتها في دعم إسراتيل)، ص ٢٨٢، تأليف (لي أوبرين).

(٢) المنظمات اليهودية الأمريكية، ونشاطاتها في دعم إسرائيل، ص ٢٨٦.

(٣) النبوءة والسياسة، ص ٦٢.

فيما قبل الرسالة المحمدية، وقد صح أنه ثاني مسجد وضع في الأرض، فقد بناه إبراهيم - عليه السلام - بعد أن بنى الكعبة بأربعين سنة[١]، وكان الهيكل في القدس قبلة لكل أنبياء بني إسرائيل طيلة عهودهم، واستمر المسلمون يصلُّون إلى بيت المقدس زماناً، حتى تحولت قبلة المسلمين إلى الكعبة، ولكن حادثة الإسراء كانت إيذاناً بانتقال أرض القبلة الأولى إلى إرث الأمة الإسلامية؛ لأنها أرض مقدسة لا يصلح أن تبقى تحت أيدي أهل الملل الكفرية والعبادات الشركية، ولهذا كانت أرض بيت المقدس في مقدمة الأراضي التي اتجهت إليها جهود الفتح، بدءاً من غزوة تبوك، وحتى تم فتحها في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -.

وكما استمدت الأرض المقدسة قداستها من وجود الهيكل قبل الإسلام، فقد استمرت تلك القداسة بعدما تحوَّل الهيكل إلى مسجد عظيم في الإسلام له خصائصه وفضائله المعروفة. واليوم - وبعد نحو ألفي عام من هدم الهيكل الثاني ونحو ١٣٤٤ سنة من بناء المسجد الأقصى في ظل الإسلام - يريد اليهود هدم المسجد وإعادة الهيكل، ليكون هو الهيكل الثالث، بعد أن دُمر الأول في سنة ٥٨٧ ق. م على يد ملك بابل (بختنصَّر)، ودُمر الثاني سنة ٧٠ للميلاد على يد الإمبراطور (طيطس).

إن اليهود كانوا يتبادلون طوال أزمنة الشتات تحية يقولون فيها: «غداً نلتقي في أورشليم»! وبعد أن وصلوا إلى أورشليم أو (القدس) واستولوا على حائط

---

(١) يدل على ذلك الحديث الذي رواه البخاري (٦/ ٤٦٩)، ومسلم (١/ ٣٧٠)، عن أبي ذر - رضي الله عنه، قال: «سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع في الأرض. قال: المسجد الحرام. قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى. قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون عاماً».

(البراق) الذي يسمونه حائط (المبكى)، ابتدع لهم حاخاماتهم دعاءً يرددونه في كل صلاة أمام الحائط، وهو عبارة عن قَسَم وعهد على إعادة بناء الهيكل، ويدعون على أنفسهم باكين بأن تلتصق ألسنتهم في حلوقهم إذا هم نسوه! وأول من ردد ذلك الدعاء والتزم هذا التعهد هم القادة العسكريون عندما دخلوا القدس عام ١٩٦٧م، ووقتها لم يتقدم (موشيه دايان) وزير الدفاع لدخول المدينة المقدسة إلا وراء الحاخام الأكبر للجيش الإسرائيلي (شلومو غورين)!، أما (إسحاق رابين)-رئيس أركان حرب الجيش الإسرائيلي آنذاك والذي تحول بعد إلى «ركن من أركان السلام»-، فقد كتب في مذكراته يصف حرارة لحظات دخول القدس والاقتراب من مكان الهيكل. يقول: «كان صبرنا قصيراً.. كان يجب أن لا نضيع الفرصة التاريخية، كنا كلما اقتربنا من حائط المبكى ازداد الانفعال.. حائط المبكى الذي يميز إسرائيل، لقد كنت أحلم دوماً بأن أكون شريكاً.. ليس فقط في تحقيق قيام إسرائيل، وإنما في العودة للقدس، وإعادة أرض حائط المبكى إلى السيطرة اليهودية.. والآن عندما تحقق هذا الحلم، تعجبت: كيف أصبح هذا ملك يدي!؟ وشعرت بأنني لن أصل إلى مثل هذا السمو طيلة حياتي»![1] هذا رئيس الأركان الذي أصبح بعد ذلك رئيساً للوزراء في الحكومة العمالية (العلمانية)!!.

أما الرئيس الإسرائيلي نفسه (زلمان شازار) فقد تقدم هو الآخر نحو الحائط في ذلك اليوم بخطىً وئيدة وخلفه جموع يهودية صاخبة، ويصف المعلق الصحفي الفرنسي (جان نويل) هذا المشهد فيقول: «دخل «زلمان شازار» رئيس إسرائيل المدينة التي فُتحت، ووقف أمام حائط المبكى، ولأول مرة منذ عشرين

---

(١) الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، لإسماعيل كيلاني، ص ٣٥.

قرناً يقف رئيس دولة عبرية مستقلة أمام معبد سليمان الكبير . . . إن الإسرائيليين الملحدين أنفسهم تأثروا أيضاً بهذه المشاعر الدينية . . إن اليهود لن يُنتزعوا من القدس دون أن تدمىٰ قلوبهم»[(١)] .

ولكن . . هل اليهود وحدهم ، أو النصارىٰ معهم فقط هم المعنيون بإعادة بناء الهيكل ؟! . . لا ، إن هناك جماهير غفيرة من المغفلين أولي الديانات والثقافات المختلفة ، ينجح اليهود في استدراجهم للعمل لحسابهم تحت مظلة الأندية الماسونية العالمية ، تلك الماسونية التي عرّفها المستشرق الهولندي (دوزي) بأنها : «جمهور كبير من مذاهب مختلفة ، يعملون لغاية واحدة هي : إعاة بناء الهيكل الذي هو رمز إسرائيل»[(٢)] .

ويستوي في ذلك ماسون الغرب وماسون العرب ، فقد جاء في النشرة الماسونية الصادرة في نيويورك عام ١٩٠١م : «إن الماسونية الأوروبية ستشيد بناءً حيث يعبد إله إسرائيل إلىٰ الأبد»[(٣)] ويقول إدريس راغب - وهو من أبرز الماسونيين العرب - «إن الاعتقاد بوجوب إقامة الهيكل يقوِّي إيماننا بالوعود المذكورة في الكتاب»[(٤)] .

إن هذا الاعتقاد الذي يؤمن به اليهود ويؤمن به النصارىٰ ، ويسعىٰ إليه الماسونيون ، قد تعدىٰ الآن مرحلة التنظير والتأطير المستمدة من الأساطير إلىٰ مرحلة البدء في العمل والتنفيذ انتقالاً إلىٰ عالم الواقع .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٦ .
(٢) الماسونية في العراء ، محمد علىٰ الزعبي ، ص ١٦٣ .
(٣) جذور البلاء ، لعبد الله التل ، ص ١٢٧ .
(٤) الماسونية في العراء ، لمحمد علي الزعبي ، ص ١٠٥ .

الأحجار أولاً!

كل بناء لا بد له من لَبِنات وأحجار تناسبه؛ ولكن إذا كان البناء (أسطورة) يُراد صنع واقع منها، فلا بد وأن تكون أحجار هذا البناء الأسطوري أحجاراً أسطورية أيضاً. هذا ما فهمه اليهود، وهذا ما يعملون عليه الآن. وبدأت قصة الحجارة - من الناحية العملية - في أواخر الثمانينيات، عندما وقع اختيار إحدى الجماعات الدينية على حجر كبير (مقدس)!! يزن ٣,٥ طن، فقاموا في ١٥/ ١٠/ ١٩٨٩م بوضعه حجر أساس للهيكل الثالث بالقرب من مدخل المسجد الأقصى، وقال وقتها (جرشون سلمون) زعيم جماعة (أمناء الهيكل): «إن وضع حجر أساس الهيكل يمثل بداية حقبة تاريخية جديدة.. نريد أن نبدأ عهداً جديداً من الخلاص للشعب اليهودي» (الشرق الأوسط، ١٦/ ١٠/ ١٩٨٩م).

ولم نكن تلك الحادثة مجرد احتفال بمراسم وضع حجر الأساس، بل كانت تدشيناً لمرحلة لها ما بعدها، ويدل على ذلك أن جمع الأحجار (المقدسة) أصبح عملاً تعبدياً للكثير من المعنيين بالتعجيل ببناء الهيكل، وقد أذاعت وكالة الأنباء الفرنسية تقريراً في أوائل أغسطس من عام ١٩٩٧م جاء فيه: إن المتطرفين اليهود في القدس أعدوا كل شيء وفق طقوسهم لبناء الهيكل، وجاؤوا بأحجار تم قطعها من صحراء النقب وغيرها، ليتم صقلها في القدس، لاستخدامها في بناء الهيكل، وسيحتاج المشروع - وفق التقرير - إلى ستة ملايين حجر، ونبه التقرير إلى أنه لم يعد سراً أن الهيكل تم تصميمه الهندسي في الولايات المتحدة الأمريكية، على يد مستشارين هندسيين من يهود أمريكا، وذكر التقرير أيضاً أن هذا التصميم وضع تحت تصرف الحكومة الإسرائيلية الآن، وتم إعداد فريق متكامل من عمال البناء سيظلون رهن الإشارة للعمل عندما يحين الوقت. (الشرق القطرية، ١٩/ ٨/ ١٩٩٧م).

إن ستة ملايين حجر . . (توراتي) مهمة غير هينة، ولكن كل شيء يهون عند يهود اليوم وهم يرون أنهم الجيل المختار من «الشعب المختار»، لإنجاز العمل الكبير الذي لم يعودوا يصبرون على تأجيله، وقد نشرت الصحف الإسرائيلية أن عائلة (ليفي) اليهودية الثرية التي تملك كسارات حديثة جداً في جنوب الأرض المحتلة، أعدت بالفعل كميات ضخمة من الحجارة التي «لم تلمسها يد إنسان أو إزميل عامل» حسب وصف التوراة[١]، لكي تُنقل عندما تحين الفرصة إلى القدس لبناء الهيكل. (نقلاً عن الخليج ٦/ ١١/ ١٩٩٧م).

وهناك جماعة يهودية أخرى، تخصصت في شراء أحجار معينة، يتم تقطيعها وصقلها في صحراء النقب بأموال يحصلون عليها من التبرعات، ويؤكد أحد زعماء هذه الجماعة ويُدعى (يالوز) أن توفير ستة ملايين حجر من تلك الحجارة الخاصة ليس بالأمر اليسير، ولكنه يؤكد على أنه وجماعته يشعرون بأنهم يقومون بمهمة مقدسة ولا بد من إتمامها، ويقول: «عندما ألمس هذه الحجارة وأحملها، أشعر بأن شيئاً من الجنة يتحرك فيها». (الخليج ٩/ ٨/ ١٩٩٧م).

إن هذا الهَوَس الحجري العنصري، والأجواء الأسطورية التي تعيشها الجماعات الدينية اليهودية، تجعلها تُقْدِم على أمور تبدو للوهلة الأولى أنها أفعال مجانين!! ولكنها ـ للأسف ـ جنون موجَّه تحميه القوانين، وتؤازره السلطة؛ مما حدا ببعض الجماعات إلى قلع الحجارة التي تحفُّ ببعض الأرصفة في القدس عندما اشتمُّوا فيها مسحة توراتية، بل شاركت السلطات نفسها فيما لا تستطيعه الجماعات من ذلك؛ ففي شهر يونيه (حزيران) من عام ١٩٩٧م قررت البلدية الإسرائيلية لمدينة القدس بالتعاون مع وزارة السياحة البدء

(١) عندما نسب شيئاً إلى التوراة، فهذا على حد زعم اليهود، أو نقلاً عما فهموه أو حرفوه منها.

في مشروع اقتلاع الأرصفة بأحد الشوارع الكبرى في القدس، وقد تم تحصيل مبلغ مليون شيكل (قرابة ٣٥٠ ألف دولار) لنزع تلك الحجارة التوراتية العتيقة (الخليج ١٤/ ٦/ ١٩٩٧م)!!

وماذا بعد الحجارة؟

كان المتوقع أن يتم تأجيل كل عمل يتعلق بالبناء حتى يتم الهدم الذي يتعجلون يومه، ولكن الواقع غير ذلك، فالواقع أن اليهود بدافع من ذلك الهوس (الهستيري) يستبقون الأحداث، وقد أذاعت وكالة الأنباء الفرنسية في تقرير لها في شهر أغسطس من عام ١٩٩٧م. أن الاستعدادات تجري لتجديد وإحياء التقاليد والطقوس التي ستمارس في الهيكل، بما فيها من مذابح للحيوانات التي ستقدم ضمن الشعائر اليهودية، وذكرت أن الحاخامات ينشطون الآن في تخريج أجيال تقوم على رعاية تلك الطقوس في (معهد الهيكل) بالقدس.

وأشارت إلى أن هؤلاء ينطلقون من رؤية مفادها أن الهيكل ينبغي أن يكون جاهزاً بشكل تام - وليس مجرد بناية فقط - قبل الأحداث الكبرى التي ستسبق نزول المسيح.

وقد أشار مؤلف كتاب (الأصولية اليهودية)(١) إلى أن هم الأصوليين الأكبر الآن في (إسرائيل) هو استكمال الاستعدادات لبناء الهيكل الثالث.

يقول: «توجد في القدس أكاديمية تلمودية تؤهل طلبتها لمهمة خاصة، هي إعداد الكهنة الذين سيقومون بالخدمة في الهيكل الكبير عند إعادة بنائه، وللاستعداد لهذه الأيام المجيدة، يعكف الحاخامات على دراسة نصوص

---

(١) هو إيمانويل هيمان، وهو يهودي فرنسي.

التوراة لاستخراج أدق التفاصيل لكيفية أداء الطقوس الإلهية كما كانت تمارس في مملكة (إسرائيل) منذ ثلاثة آلاف عام، وبكل الصبر والعناء، يعيدون صياغة أدوات العبادة ويجمعون الأواني النحاسية لتلقي دماء الذبائح وكئوس حفظ السوائل المقدسة وأبواق النداء للطقوس، وعلى بعد خطوات من حائط المبكى، أقيم متحف صغير لعرض أدوات العبادة هذه على الجماهير المتلهفة، ويأمل الحاخام (مناحيم ماكوفر) الأمين على هذه المجموعة أن يقوم بنفسه يوماً بإخراج هذه الأدوات من دواليب العرض الزجاجية لينقلها إلى الهيكل بعد إعادة بنائه، ويقول: «على اليهود أن يقوموا ببناء الهيكل، فهي إحدى الوصايا الإلهية ولا يجب أن ننتظر معجزة إلهية»[1].

ولكن أهل الكتاب مع ذلك يريدون أن يصنعوا من الهيكل معجزة إنسانية، تعبر عنها فخامة البناء وعظمة التصميم والتنفيذ، يقول القس رشاد فكري في تفسير سفر حزقيال شارحاً النبوءة الواردة فيه عن (الهيكل الجديد): «التفسير الصحيح هو أن هذه النبوءة لم تتم بعد، وستتم مستقبلاً وسيكون هذا البناء أفخم وأعظم بناء، فهيكل سليمان في كل عظمته لا يعتبر شيئاً بالنسبة لهذا البناء الجديد[2].

وتعرض في (إسرائيل) في أماكن متفرقة ـ كما نُشر في السياسة الكويتية ٣٠/ ١٠/ ١٩٩٧م ـ عشرات من أنواع الأدوات الدينية التي سيحتاج إليها رواد الهيكل عندما يُبنى، مثل المعدات التي ستستخدم في معالجة الرماد بعد

---

(١) الأصولية اليهودية، ص ١٠١.

(٢) تفسير سفر حزقيال، للقس رشاد فكري، ص ٣٥٩. لاحظ أن نصارى العرب أيضاً يتحدثون عن الهيكل الجديد!

التضحية بالقرابين، والآنية والنبيذ (المقدس) ومفروشات العبادة. . كل ذلك أصبح جاهزاً!

وماذا عن الشمعدان!!

حتى الشمعدان السُّباعي (المقدس)! تجري الآن بشأنه أشياء وأشياء، فهو أعظم رمز ديني عند اليهود، وهو يرمز لأيام الخليقة السبعة في التوراة، التي يعتقد اليهود أنهم سيتوِّجون اليوم السابع منها؛ ولهذا اتُّخِذ رمزاً رسمياً لـ (الدولة الإسرائيلية)، فنراه منقوشاً على العملات، ومطبوعاً على الأوراق، ومُبْرزاً على واجهات المنابر ومنصات المحافل، هـذا الشمعدان يعتقد اليهود أن قداسة (قدس الأقداس) داخل الهيكل لا تكتمل إلا بإيقاده داخله، والآن يريدون تحويل ذلك الرمز الأسطوري الديني التاريخي. . والسياسي أيضاً، إلى حقيقة واقعة!

والشمعدان السُّباعي، ليس واحداً فقط على ما يبدو، ولهذا جرت ولا تزال تجري المساعي، للعثور على القديم، وإنجاز مجموعة أخرى من الشمعدانات الجديدة!

فقد أدلى (باروخ بن يوسف) زعيم منظمة (بناة الهيكل) بتصريح لوكالة الأنباء الفرنسية في أغسطس ١٩٩٧م قال فيه: «إن جماعته انتهت من صنع شمعدان ذهبي ضخم تم صنعه في أمريكا، ونقل بالفعل إلى إسرائيل، وقال إن جماعته بدأت - مع جماعات أخرى - في إعداد حاخامات متمرسين في هذا الشأن لإقامة الشعائر الدينية التي ستقام في الهيكل» (الخليج ٩/ ٨/ ٩٧م).

وهناك مليونير يهودي مصري يدعى (موسى فرج) بدأ عام ١٩٩٠م بمباركة شخصية من صديقه الشخصي (بنيامين نتنياهو) رئيس الوزراء السابق - قبل أن

يصبح رئيساً للوزراء ـ في العمل لإنجاز شمعدان ذهبي آخر في الولايات المتحدة التي استقر بها ذلك المليونير مشتغلاً بتجارة الماس. وقد انتهىٰ من إنجازه ـ كما أكد ذلك (إيهود ألمرت) عمدة بلدية القدس، وانتهىٰ كذلك من إنجاز عمل آخر هو (خيمة الاجتماع) أو (خيمة العهد) التي يعتقد اليهود بضرورة وضعها في الهيكل؛ لأنها ترمز إلىٰ الخيمة التي اجتمع فيها موسىٰ مع الملائكة ـ حسب معتقد اليهود ـ فوعدته بمجد بني إسرائيل! وهذه الخيمة الجديدة التي انتهىٰ من إعدادها المليونير اليهودي، تم صنعها ـ كما ذكرت الأنباء ـ من خيوط الذهب الخالص، وقد أهداها بعد إتمامها إلىٰ بنيامين نتنياهو! وذلك إضافة إلىٰ الشمعدان الذهبي الذي خصص له المليونير مبلغ ١٥ مليون دولار أمريكي. (روز اليوسف ١٨/ ٨/ ١٩٩٧م) أما الشمعدان الأكبر القديم، فيذكر المؤرخون اليهود، أنه نجا من الاحتراق عندما دمَّر (نبوخذ نصر) الهيكل عام ٥٨٦ قبل الميلاد، ولكنه ـ أي الشمعدان ـ فُقد، وظل اليهود يحلمون عبر قرون طويلة بالعثور عليه، ويحدوهم الأمل باسترجاعه تحقيقاً لبعض النبوءات، غير أن ذلك الحلم لم يتحقق، ولكن في هذا العصر ـ عصر تحقق الأساطير اليهودية ـ بدأ اليهود في إعادة البحث عن الشمعدان، حتىٰ إن المخابرات الإسرائيلية نفسها تورطت في الستينيات من هذا القرن في حادث اختراق وتسلل إلىٰ مخازن الفاتيكان بناءً علىٰ معلومة كاذبة تقول: إن الشمعدان يوجد في أحد دهاليز مخازن الفاتيكان(١)! ومرت الحادثة.. ومضت، ولكن اليهود لم ينسوا الشمعدان المفقود؛ ففي شهر سبتمبر (أيلول) من عام ١٩٩٧م، اجتمع وزير الأديان الإسرائيلي (شيمون

(١) يُعتقد علىٰ نطاق واسع أن مخازن الفاتيكان محصنة ضد الضربات النووية، ويؤمن كثير من أهل الكتاب أن بداخل تلك الخزائن بقايا من آثار موسىٰ ـ عليه السلام ـ وحلىٰ بيت المقدس المنهوبة في العصور المختلفة.

شيريت) مع (البابا) يوحنا بولس الثاني، وطلب منه المساعدة في العثور على الشمعدان المقدس القديم الذي يزن (٦٠ كيلو جراماً) من الذهب (السياسة الكويتية ٣٠/٧/١٩٩٧م). ويدعي اليهود أن ذلك الشمعدان أُحضر إلى روما في عهد الامبراطور (طيطس) الذي هدم الهيكل عام ٧٠ للميلاد!

وهكذا.. نرى أن اليهود سيلغمون الأشهر والأعوام القليلة القادمة بقنابل عديدة وموقوته، ولهذا نتوقع أن (يتحفونا) كل حين بمفاجأة من مفاجآتهم (الأسطورية) التي يبدو أنها ستصطف واحدة تلو الأخرى لكي تخرج تتهادى إلى عالم الوجود تباعاً، ومن الآن فصاعداً؛ وذلك لكي يقنعوا العالم بأنهم لا يتحدثون عن خرافات بل عن حقائق ووقائع!

... والتابوت؟!

أسطورة أخرى تتعلق بالهيكل، يدور حولها الآن جدل ومناقشة، إنها أسطورة التابوت! ونقول أسطورة؛ باعتبار ما يردده اليهود عنها اليوم، وإلا فإن التابوت الذي كان موروثاً من زمان موسى ـ عليه السلام ـ والذي حملته الملائكة في زمن النبي (شمويل) لتثبت لبني إسرائيل أحقية (طالوت) بالملك، هذا التابوت المذكور في سورة البقرة حق نؤمن به؛ لأنه مذكور في القرآن[1]، ولكن ما ليس حقاً، أن اليهود يزعمون أنهم سيحصلون عليه مرة أخرى، وسيكون معهم في معاركهم الفاصلة مع أعدائهم، فيكون النصر حليفهم!! من يصدق أن اليهود الآن يتطلعون إلى إخراج هذا التابوت مرة أخرى إلى العالم؟! إن البحث عن التابوت اليوم يمثل عَرَضاً آخر من أعراض حُمّى سنة ٢٠٠٠.

(١) في القصة الواردة في سورة البقرة من الآية ٢٤٦ إلى الآية ٢٥٢ ـ وانظر تفسير ابن كثير (١/ ٢٨٥).

والتابوت - حسب التراث اليهودي - كان موجوداً في الهيكل الأصلي داخل ما يُعرف بـ (قدس الأقداس) وكان يضم قطعاً من ألواح التوراة وبقايا مما ترك آل موسىٰ وآل هارون. والقرآن يصدِّق هذا في قوله - تعالىٰ -: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

ولكن هذا من الأمور التي انتهت بانتهاء أفضلية بني إسرائيل، ولو بقي في التابوت أو الشمعدان أو خيمة العهد أو نحوها فضل - علىٰ فرض بقائها - لانتقلت إلىٰ إرث الأمة المفضلة الأخيرة، أمة محمد ﷺ، كما انتقل إلىٰ إرثها المسجد الأقصىٰ والأرض المباركة حوله. ولكن اليهود لا يعترفون بهذا، ولا يقرون لمحمد ﷺ برسالة أصلاً. ولهذا فإن كل ما كان مقدساً في كتبهم وديانتهم المنسوخة، لا يزال علىٰ صفته عندهم.

وعلىٰ هذا فالهيكل لا بد أن يحتوي - في نظر اليهود - علىٰ تابوت العهد حتىٰ تكتمل صفته الدينية، ولكن أين التابوت الآن؟!

أسطورة أخرىٰ يتحرك شبحها في الأفق البعيد محاولاً المجيء من عالم الغيب السحيق؛ فقد أكدت صحيفة معاريف الإسرائيلية في عددها الصادر في فبراير ١٩٩٧م، أن تابوت العهد موجود الآن في إثيوبيا! ونقلت عن أحد علماء الآثار والتاريخ اليهودي قوله: إن منليك ابن النبي سليمان - عليه السلام - من بلقيس ملكة سبأ، نقله إلىٰ الحبشة بعد وفاة أبيه، ونسب الباحث تلك الوقائع إلىٰ التوراة وأضاف: «إن الهيكل لا يعني أي شيء بدون التابوت، والتابوت ليس موجوداً تحت المسجد الأقصىٰ - كما تظن بعض الجماعات اليهودية - وكل محاولات التنقيب والحفريات التي تُجرىٰ لن تصل إلىٰ شيء يتعلق بهذا التابوت»!

وبعد أن نقلت الصحيفة عن الباحث الإسرائيلي هذه التصريحات، عقَّبت بقولها: «إن تابوت العهد موجود بالفعل في مكان سري في شمال إثيوبيا قرب مدينة (أقسوم) العاصمة القديمة للحبشة أيام حكم بلقيس وسليمان، والتي حكمها منليك بعد أمه مدة خمسة وعشرين عاماً. ثم أردفت الصحيفة قائلة: «لا أحد يعرف مكان التابوت إلا أفراد قلائل من كبار المسؤولين»!!

وهناك رأي آخر في تحديد مكان التابوت، وهو سائد أيضاً بين العديد من الجماعات اليهودية، وهو أنه في مكان مَّا في الطبقات العميقة تحت (قدس الأقداس)، يعني تحت الأرض المقام عليها الآن مسجد الصخرة، وهذا هو الرأي التقليدي الشائع، والذي بموجبه بدأت الحفريات تحت ساحات المسجد الأقصى، والذي من أجله صدرت الفتاوى الحاخامية بحظر دخول اليهود إلى داخل أروقة المسجد خوفاً من أن تطأه الأقدام!! وعلى كلا الرأيين، فلا بد في نظر كلٍ من الفريقين أن يتم العثور على التابوت بما فيه من الألواح والأشياء المقدسة!

وبعد ادعائهم وجود آثار يهودية تحت المسجد الأقصى، نشرت بعض الصحف أن جماعة يهودية بدأت تبث دعاية عن وجود آثار يهودية تحت الأهرامات بمدينة الجيزة بمصر، وتزعم تلك الجماعة أن (مزامير داود) التي نقلها اليهود معهم عندما كانوا بمصر مدفونة تحت الأهرامات التي سُخروا في بنائها! (الخليج ٥/ ٢/ ١٩٩٩م).

لعل هذه التفاعلات المَرَضِية وتداعياتها؛ تقرب القارئ إلى تصور الحد الذي وصلت إليه الأمور اليوم في ذلك الصراع الديني، الذي يُدار دينياً من طرف واحد، ولعل القارئ يدرك بهذا إلى أي حدٍ ارتفعت درجة حرارة الحمى بمرضى الهوس الألفي الذي تتحدث عنه الصحف الرسمية اليهودية، وتتناثر

التصريحات حوله من المسؤولين اليهود داخل (إسرائيل) وخارجها. . والسؤال هنا: أين مثقفونا وسياسيونا (الواقعيون جداً) من هذا الواقع الجديد والتفاعلات المتصاعدة داخل الدولة العبرية؟ هل يعلمون بذلك وهم يَصخُّون الأسماع بالحديث عن السلام الحتمي والتطبيع المصيري؟! أغلب الظن أنهم يطلعون على مثل هذا وأكثر، ولكن لماذا هذا الصمت المريب على كل تلك الصرعات الدينية: اليهودية والنصرانية التي يراد أن يدار بها الصراع في المرحلة القادمة في ظل غيبوبة مفروضة على الأمة؟ لماذا يُسكت عن (الأيديولوجيات) المسيَّسة المولعة بالعودة إلى الوراء آلافاً من السنين، في حين يستمر الضجيج المقذع للتخويف من العودة للإسلام وحده؟! ولمصلحة مَنْ يُطلب من الإسلام وحده أن يكف يده، في حين تمتد كل الأيادي والسواعد (الدينية) للعمل النشط ويُصمت عنها؟! الذي يظهر لي في علة هذا الصمت المصنوع عن الانتعاش الديني لدى اليهود والنصارى؛ هو الخوف من إثارة الغيرة الإيمانية ومشاعر الحنين إلى الدين عند المسلمين، والإعلام العلماني لم يفهم بعدُ أن هذه الغيرة وتلك المشاعر هي روح الأمة التي لو فارقتها لفارقتها الحياة. نعم هناك ما يشبه التهامس بهذه الأمور ولكن سياجاً من التعتيم والتعمية يقام حولها حتى لا تتنبه الأمة وجماهيرها اللاهية إلى ما يراد لها، أو قد تعرض بعض هذه القضايا في شكل جزئي مهمش، او عرض اختزالي مغبش.

وتظل مهمة استخلاص الحقائق من بين براثن الإشارات الصحفية الشحيحة عن هذه الأمور مهمة صعبة.

إن الإعلام العربي (العلماني) يمارس للأسف الشديد، مهمة الاتجار في المخدرات الفكرية، ويعمل على ترويجها حتى تصاب الأمة كلها بحالة من إدمان الترف المعرفي التائه، أو التجاهل والتشاغل الذاهل.

قارِنْ مثلاً بين مساحة الاهتمام التي أعطيت لقضية اليهودية العاهرة (لوينسكي) أو قصة النصرانية العاشقة (ديانا) - أو هذا الفنان أو تلك الغانية أو ذاك الرياضي - قارن بين ذلك وبين كثير من القضايا الكبار التي تواجه الأمة مصيرياً، فبتلك المقارنة تدرك بُعد الشُّقَّة. ومع هذا فإن إجراء عملية (ترشيح) للقليل المنشور في مثل هذه القضايا المهمة المهملة، يوصل إلى مؤشرات ترسم معالم الحقيقة في الموضوع المراد. ومن معالم الحقيقة في موضوع مقالنا؛ أن القضية وصلت إلى أعلى مستويات المعرفة والمواجهة بين المسؤولين العرب والمسؤولين اليهود، فقد ذكرت بعض الصحف أن ياسر عرفات زعيم السلطة الفلسطينية، عرض صوراً مما درجت الحكومة الإسرائيلية مؤخراً على نشرها للهيكل في تصميمه الأخير المعتمد؛ حيث تظهر مبانيه وهي تحتل مكان المسجد، وممن عرض عليهم ذلك أعضاء مجلس الجامعة العربية، وأعضاء «لجنة القدس»، وذكرت مجلة (روز اليوسف) في عددها الصادر في ٥/ ٥/ ١٩٩٧م، أنه - أي عرفات - عرض ذلك أيضاً على الرئيس حسني مبارك، وقال الصحفي المصري، عادل حمودة: إن ياسر عرفات التقى أيضاً في إحدى زياراته للقاهرة بعدد من الصحفيين، وشرح لهم تفاصيل المخطط الإسرائيلي لهدم الأقصى، وقال للصحفيين: إن يهود العالم تبرعوا في السنوات الأخيرة بما يقرب من مليار دولار من أجل مشروع واحد، وهو بناء الهيكل الثالث!

وذكرت صحيفة الحياة في (٧/ ٣/ ١٩٩٧م) أن الرئيس حسني مبارك واجه بنيامين نتنياهو عندما زار القاهرة في (٥/ ٣/ ١٩٩٧م) برسوم وتصميمات هندسية تسربها إسرائيل عن الهيكل الثالث، وقالت الصحيفة نقلاً عن مصادر مصرية مطلعة: «إن نتنياهو لم ينفِ أمام الرئيس مبارك مخططات إحياء هيكل

سليمان في موقع مسجدي الأقصى والصخرة في القدس الشريف عندما واجهه بالتصميمات الهندسية للهيكل»!

وكان نتنياهو قد أهدى مجسَّماً يمثل الهيكل الثالث لأسقف الروم الأرثوذكس (ماكسيموس شالوم) بمناسبة عيد الميلاد عام ١٩٩٧م، وكان المجسم موضوعاً على خريطة فضية بدت فيها معالم المدينة المقدسة خالية من المسجدين.

ولما اعترض الفلسطينيون، قال ناطق باسمه لوكالة (رويتر): «نعتذر عن هذا الخطأ، إننا لم نلاحظ أن المسجد الأقصى لم يظهر في النموذج المجسم»!! (الحياة ١٣/ ١/ ١٩٩٧م).

وهكذا تمضي الأحداث، مسجلة كل يوم خطوات إلى الأمام على درب المخططات اليهودية، بينما لا تزال تتعثر خطواتنا في مجرد استيعاب أخبار مخططاتهم!

يبقى أن أشير إلى نقطة أخيرة فيما يتعلق بالمشروع المؤامرة، وهي: أن ما يطلق عليه اليهود المذبح المقدس، والذي يُعد في الحقيقة من أهم ما يتعلق بالطقوس داخل الهيكل، هذا المذبح قد أنجز بالفعل، فقد انتهت منظمة (حركة إعادة الهيكل) من بناء هذا المذبح في منطقة قريبة من البحر الميت، وقد أعد بطريقة تسمح بنقله في الوقت المناسب ليمثل مكانه في قلب مباني الهيكل، وقد نشرت جريدة الخليج في (١٦/ ١١/ ١٩٩٧) أن الشركة الإسرائيلية للصناعات المعدنية في الأرض المحتلة شاركت في المشروع، وتولت إعداد التجهيزات المعدنية بداخله بطول ثلاثين متراً على نفس الهيئة التي كان عليها المذبح القديم، وذكرت الصحيفة نقلاً عن وكالات الأنباء أن المذبح الموجود الآن في

منطقة قريبة من البحر الميت كان قد تقرر عرضه في صالة واسعة تابعة لمعهد دراسات الهيكل في القدس، إلا أن مخاوف أمنية، جعلت الإسرائيليين يرجئون فكرة عرضه، وتم التحفظ عليه في مكان أمين بمحاذاة الحدود مع الأردن!

أقول: لماذا المذبح الآن؟ ولماذا عُجِّل به قبل بقية البناء؟ وماذا سيذبح فيه؟!

إن الجواب المعلوم ـ إجمالاً ـ لكل متابع، أن اليهود يُعِدُّون المذبح لكي يكون مسرحاً لرواية أسطورية أخرىٰ، من كبريات أساطير سنة ٢٠٠٠، وهي أسطورة (البقرة الحمراء... العاشرة)!

فما هي البقرة العاشرة؟ وما قصتها القديمة، وآخر حلقاتها الحديثة؟ متىٰ وجدوها؟ ومتىٰ يذبحونها؟ وكيف سيتحول الشعب اليهودي كله بعد ذبحها إلىٰ شعب (أصولي) شديد التمسك باليهودية؟

هذا ما سنعرض له في الفصل التالي.

الفصل الرابع

البقرة العاشرة.. أخرجوها،
فمتى يذبحونها؟!

البقرة العاشرة .. أخرجوها فمتى يذبحونها؟!

يربط غلاة اليهود الآن مصير المنطقة بمصير بقرة.. !

ولا أدري بالضبط ما هي حكاية اليهود مع البقر؛ فقد اتخذوا في بواكير عهدهم مع موسىٰ إلهاً من عجول البقر، كما جاء في القرآن: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ﴾ [الأعراف: ١٤٨].

ولهم مع البقر قصة أخرىٰ، نزلت باسمها أكبر سورة في القرآن، وهي سورة البقرة التي سميت بهذا الاسم لتدل علىٰ سوء الفهم وخبث الطوية لدىٰ بني إسرائيل في أمر تعنُّتهم في البقرة التي أُمروا بذبحها، واستمرار هذا التعنت في شؤونهم كافة، بما استحقوا معه أن يُنتزع منهم الاصطفاء، ويتحول إلىٰ الأمة الخاتمة، أمة محمد ﷺ، كما دل علىٰ ذلك محور السورة وهدفها الرئيس.

ولكن بني إسرائيل من يومها ظلوا يعيشون في وَهْم الاصطفاء والاختيار والتميُّز، مهما اقترفوا من خطايا وارتكبوا من موبقات، زاعمين أنهم ﴿أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨]، أما الشريعة التي أنزلها الله ـ تعالىٰ ـ لهم، فقد بدلوها وغيّروا فيها بما يُبقي عندهم الشعور الزائف بأنهم لا يزالون علىٰ دين صحيح مقبول. والحق أن ما بقي لديهم من الديانة، إما مفتقر إلىٰ الصحة أو مفتقر للقبول، فهو إما باطل مخترع، أو حق منسوخ، من الأوامر أو النواهي التي كانوا متعبدين بها.

وهناك أساطير كثيرة لا يزالون يتداولونها تدخل ضمن هذا السياق، فهي باطل مخترع أو حق منسوخ، وقد تابَعَتْهم علىٰ بعضها طوائفُ من النصارىٰ، ولهذا فهم جميعاً يتقلبون بتلك المعتقدات الباطلة بين وَصْفَي: (المغضوب عليهم، والضالين).

وقد مر معنا في فيما مضى كيف أن اليهود يحاولون إعادة إحياء كل الأساطير البائدة المستمدة من التوراة المحرفة، وكأنهم بذلك يريدون الجمع بين الخصوصية الزمانية (زمن الخلاص) والخصوصية الإنسانية (شعب الله المختار) والخصوصية المكانية (الأرض المقدسة).. ولكن هيهات هيهات أن تغير الأساطير ما قضت به المقادير؛ فقد كتبت عليهم اللعنة إلى يوم الدين على ألسنة المرسلين.

أسطورة لها خوار:

في عام ١٩٢٠م، وعندما بدأت المباحثات بين الاتحاد الصهيوني والإنجليز من أجل التوصل إلى صيغة لتسليم فلسطين لليهود بعد انتهاء الانتداب، كان من بين الموضوعات المطروحة للبحث: (ملكية جبل الهيكل). وطرح الجانب الإنجليزي في المباحثات سؤالاً: هل هذا المطلب مطلب عاجل أم آجل؟ وما مدى اجتماع الشعب اليهودي حول هذا المطلب؟ فأجابهم الحاخام (راف كوك) قائلاً: «يؤمن الشعب اليهودي كله إيماناً لا يتزعزع أن هذا المكان المقدس، وكل جبل الهيكل هو مكان العبادة الأبدي للشعب اليهودي، ورغم أنه في حكم غيرنا الآن، إلا أنه في النهاية سيقع تحت أيدينا، ويوم تقع أرض الهيكل في أيدينا، ستأتي إشارة من الرب (البقرة الحمراء) وبعدها نبدأ فوراً في البناء؛ حيث تنبأ بذلك أنبياء بني إسرائيل». (الشرق القطرية ١٣/ ٥/ ١٩٩٧م) نقلاً عن صحيفة معاريف الإسرائيلية).

والنبوءة التي أشار إليها الحاخام، هي معنى ما ورد في الإصحاح التاسع عشر من سفر العدد بالتوراة، ونصها: (وكلم الرب موسى وهارون قائلاً: هذه فريضة الشريعة التي أمر بها الرب قائلاً: كلِّم بني إسرائيل أن يأخذوا إليك بقرة

حمراء صحيحة لا عيب فيها، ولم يعْلُ عليها نَير[١] فتعطوها (ألعازار) الكاهن فتخرج خارج المحلة، وتذبح قدامه، ويأخذ ألعازار الكاهن دمها بأصبعه، وينضح من دمها في وجه خيمة الاجتماع سبع سنوات، ويحرق البقرة أمام عينيه، يحرق جلدها ولحمها ودمها مع فرثها، ويأخذ الكاهن خشب أرز وزوفاً وقرمزاً، ويطرحهن وسط حريق البقرة، ثم يغسل الكاهن ثيابه . . . » ثم بيَّن النص العلة من ممارسة هذا الطقس: (. . تكون البقرة لبني إسرائيل وللغريب النازل في وسطهم فريضة دهرية).

ولكن: لماذا حوَّل اليهود تلك (الفريضة) إلى نبوءة و (إشارة) من الرب؟! في الواقع أنهم يربطون بين تنفيذها وبين إعادة بناء الهيكل؛ فالفريضة . . أو النبوءة. . أو البقرة الحمراء، ستكون علامة عندهم على أن الزمن الذي ظهرت فيه هو نفسه زمان الهيكل الثالث بعد إعادة بنائه. ولعل هذا يفسر لنا استمرار غياب الكلام عن مثل تلك الطقوس خلال أزمنة اليهود الخالية التي لم يكن لهم فيها تمكين. ويعتقد اليهود المتدينون أنه قبل ألفي عام مضت، في حقبة المملكتين اليهوديتين، الأولى والثانية؛ تم مزج رماد بقرة حمراء صغيرة ذبحت في عامها الثالث، وخلط دمها بالماء، واستخدم في (تطهير) الشعب اليهودي، ليصبح مهيأً للدخول إلى الهيكل المقدس، ويعتقدون أيضاً أنه لم تولد طوال التاريخ اليهودي بقرة بتلك الأوصاف منذ دمر الهيكل الثاني عام ٧٠ للميلاد، وعلى حسب التاريخ الديني اليهودي، فإنه قد جرت التضحية ببقرة حمراء واحدة في زمن الهيكل الأول، وبثماني بقرات في زمن الهيكل الثاني . . واليوم، يستعدون لمرحلة الهيكل (الثالث) وزمان البقرة (العاشرة).

---

(١) النير: هو الخشبة التي توضع على عنق الثور للحراثة، انظر لسان العرب (٨/٤٥٩٣).

البحث عن البقرة:

لم يعد سراً تزايد حرص اليهود على المزيد من الخطوات العملية ـ المتفاعلة الآن ـ من أجل إعادة بناء الهيكل بعد الانتهاء من هدم مسجدي الأقصى والصخرة، وبما أن الهيكل لن يعمره بالعبادة إلا أناس (مطهرون) من النجس، وبما أن هذا النجس لن يزول إلا برماد البقرة، وبما أن البقرة لم تكن موجودة إلى عهد قريب، فإن جهود اليهود اتجهت للبحث عن بقرة تطل بقرنيها على مشارف القرن الجديد. . فلا بد من ظهورها أو إظهارها، ولو اقتضى الأمر استحداث بيئات وظروف تستخرج تلك البقرة استخراجاً من بين ملايين البقر!! وهذا ما كان؛ فمنذ عدة سنوات، تعهد كاهن أمريكي يُدعى (كلايد لوت) ينتمي إلى جماعة (حركة الهيكل الثالث) الإنجيلية الأصولية بأن يوقف جهوده للعثور على بقرة بالمواصفات الدقيقة الواردة في العهد القديم، ونذر نفسه للمساعدة في أي مشروع يتعلق بإعادة تأهيل الهيكل للعبادة، وقد جرت اتصالات ومقابلات عام ١٩٨٩م بين هذا الكاهن وبين الحاخام الإسرائيلي (حاييم ريتشمان) الذي يعمل في معهد (الهيكل المقدس) حيث اقترح ريتشمان فكرة إنشاء مزرعة لإنتاج وتربية الأبقار من سلالة (ريدنفوس) الضاربة إلى الحمرة، فاقتنع الكاهن، وأنشأ بالفعل تلك المزرعة في ولاية ميسيسيبي الأمريكية، وقد أنشأ هذا الكاهن فيما بعد فرعاً لمزرعته في مدينة حيفا، تحسباً ليوم تولد فيه البقرة المنتظرة!

إعلان العثور على البقرة.. وماذا يعني؟

أخيراً. . . وبعد ما يقرب من ألفي عام، ادعى اليهود أنهم وجدوا ضالتهم! لقد ظهرت البقرة!! ففي شهر أكتوبر من عام ١٩٩٦م، تم الإعلان عن ميلاد بقرة حمراء مطابقة للمواصفات الواردة في التوراة، وأعلن أنها ولدت في مزرعة (كفار حسيديم) وعلى الفور ذهب وفد من الحاخامات لمعاينة حالة مولود

العصر، ومقارنته بالأوصاف المذكورة في التوراة، ثم أعلنوا وقتها مطابقة المولودة للمواصفات بعد أن باركوها، وأمروا بفرض حراسة مشددة حولها! [جريدة الأخبار المصرية، ٢٥ إبريل ١٩٩٧م].

لقد كان الإعلان عن العثور على البقرة بداية لمرحلة جديدة ومثيرة من الهوس الألفي عند اليهود وأنصارهم من البروتستانت المتهودين في أمريكا وبريطانيا، وتناولت وسائل الإعلام الحدث بتغطية متلفعة بالتكهنات والتوقعات والحذر؛ فقد نشرت صحيفة الأوبزرفر البريطانية في عددها الصادر في (٩/ ٧/ ١٩٩٧) أخبار الحدث قائلة: «سيكون الذبح الطقسي للبقرة الحمراء بعد ثلاث سنوات من ميلادها، بداية العد التنازلي للعودة الكبيرة لليهود إلى موقع عبادتهم السابق، وتبشيراً بمجيء المسيح المخلِّص، بيد أن محاولة تحقيق هذه العودة ستؤدي إلى بداية لا تُنسى للألف الثالثة»!

لقد توافد الآلاف من اليهود (متدينين وغير متدينين) إلى مزرعة (كفار حسيديم) في إسرائيل لمشاهدة هذا الكائن (الأسطوري). ولحسم الفوضى التي يمكن أن تنشأ عن هذا التدافع، لجأت الجهات اليهودية المهتمة بهذا الشأن إلى تنظيم الزيارات والرحلات لزيارة البقرة!! لقد نجح الشيطان - لعنه الله - في استثمار ضعف الإنسان حيال الغيب المجهول، فأحدث بين اليهود حالة من النشوة، محفوفة بهالة من الرهبة وممزوجة بالرغبة في اقتحام المزيد من أستار الغيب المجهول، ورأى كبار زعماء الجماعات الدينية الفرصة سانحة لضخ الدماء في عروق التعصب لمزيد من التأهب لمغامرات المستقبل القريب، ونظروا إلى البقرة التي أطلقوا عليها اسم (ميلودي) على أنها أحدث إشارة بدنو العصر الأخير، وتوقع الكثيرون منهم أن تستخدم دماء تلك البقرة عينها في

احتفالات (تطهير) الشعب اليهودي، الذي لا يمكن أن يمارس العبادة في الهيكل إلا بعد أن يتم تطهيره برمادها وفقاً لقول التوراة التي بأيديهم: (كل من لم يتطهر فإنه ينجِّس مسكن الرب)(١) ورأىٰ آخرون أن هذه البقرة التي ظهرت هي حلقة الوصل المفقودة والمطلوبة للوصول السريع إلىٰ زمن إعادة الهيكل؛ حتىٰ إن اليهودي الأصولي المتعصب (يهودا اتزيون) الذي كان متهماً رئيساً في محاولة تفجير قبة الصخرة عام ١٩٨٥م، أعلن بعد ظهور البقرة ابتهاجه بهذا الحدث (التاريخي) وقال: «إننا ننتظر منذ ألفي سنة ظهور إشارة من الرب، والآن أرسل لنا البقرة الحمراء، وظهورها يعتبر أحد أهم الدلائل علىٰ أننا نعيش في زمن مميز، ولهذا فلا بد من الإسراع بإزالة مسجدي الأقصىٰ والصخرة من جبل الهيكل، ونقل بقاياهما إلىٰ مكة»! [السياسة الكويتية، ٣٠/ ١٠/ ٩٧].

وبدأ المتعصبون اليهود علىٰ الفور في استثمار الحدث، لإنشاء واقع جديد من خلاله، فدعا عديد من زعماء الجماعات الدينية (الطليقة) في طول البلاد وعرضها في (إسرائيل) إلىٰ إلغاء الفتوىٰ الحاخامية القديمة التي تحظر علىٰ اليهود دخول ساحات المسجد الأقصىٰ، ووقعوا توصية بذلك في المؤتمر السابع لحركة (إعادة بناء الهيكل). [الحياة، ١٦/٩/١٩٩٨م]. وبالفعل، قررت لجنة من ٦٠ حاخاماً تجاوز الحظر الذي كان معمولاً به، وشجعوا اليهود علىٰ الصعود إلىٰ ما يسمونه (جبل الهيكل) حيث يوجد المسجد الأقصىٰ ومسجد الصخرة، واحتج هؤلاء بأن لديهم مسوغات كافية تجعل من حق اليهود أن يصعدوا إلىٰ هناك لكي يتسنىٰ لهم البدء في الاستعدادات الخاصة بإعادة بناء الهيكل، وقال المتحدث باسمهم: «إن الحظر العام علىٰ الصعود لم يكن يأخذ

---

(١) سفر العدد، الإصحاح التاسع عشر.

في اعتباره في السابق الاكتشافات الأخيرة، وأبرزها اكتشاف البقرة الحمراء، ونحن الآن بانتظار الخلاص، وإعادة بناء الهيكل التي يجب أن تبدأ بسرعة في أيامنا هذه». [الأنباء الكويتية، ٩/ ٧/ ١٩٩٨م].

وبدأت مجموعة من الحاخامات منذ سنوات في دعوة عائلات الكهان لإرسال أولادهم لكي يتم إعدادهم في حجْر (العزل الطاهر) ليكونوا جاهزين للعمل في الطقوس المتعلقة بالبقرة، واستجابت أربع عائلات كهنوتية للتبرع بأولادها من أجل هذا الغرض. [الرأي العام، ٥/ ٣/ ١٩٩٨م].

ويبدأ الحاخامات منذ فترة ـ بالاتفاق مع الجهات الحكومية ـ بتحصيل نسبة ١٪ من مجموع الإنتاج داخل إسرائيل، ليوضع في حساب (خدمات الهيكل) الذي دخلت مهماته مرحلة التنفيذ بظهور البقرة، وتحصيل هذه النسبة يجري الآن وفقاً لتشريع ديني يقضي بأن يقدم الشعب اليهودي عُشر العشر ليوقَف على الهيكل، وقد وُضِعَ عنوان خاص لاستقبال تلك الإسهامات وتنظيم إنفاقها على المشاريع المتعلقة بالهيكل.

لقد ظهرت مع ظهور البقرة الحمراء حالة من الحماس الديني بين الجماعات اليهودية التي تنافس الحكومة بأنشطتها (١٢٠ جماعة)، وبدأت في اكتساب أنصار جدد من أولئك الذين لم يكونوا يأبهون بشعارات الجماعات الدينية، وقد علق (مناحيم فريندمان) الخبير في الشؤون الدينية في جامعة (بارالان) على هذه الظاهرة الجديدة بقوله: (إن ولادة هذا الحيوان الطارئة، أوجدت حالة من الحساسية في إسرائيل؛ إذ أصبح الناس يبحثون في أمر هذه العلامة ويتحدثون عنها بدقة). [السياسة، ٣٠/ ١٠/ ١٩٩٧م].

البُعد السياسي لعهد (البقرة):

لم يكن المتدينون وحدهم المحتفين بضيفة (إسرائيل) الجديدة، بل اهتبل السياسيون مناسبة حلولها في ذلك التوقيت، لتحقيق أغراض سياسية وحزبية، مستغلين تصاعد المد الديني في (إسرائيل) وربط كثيرون بين ظهور البقرة وظهور نتنياهو، الذي تُوجت في عهده أنشطة الجناح الديني في السياسة الإسرائيلية.

لكن هناك فريق من الإسرائيليين لم يشاركوا جمهور اليهود في الابتهاج بالعجل الجديد، وهم شرائح من العلمانيين الذين شعر كثير منهم بالانزعاج والتخوف من مضاعفات هذا الاكتشاف ونتائجه التي قد يصيبهم شرها وشررها. ورأىٰ بعضهم أن «قضية» البقرة، قد تفتح باباً لدوامة من العنف لا نهاية لها بين المسلمين واليهود داخل فلسطين، وأيضاً بين المتدينين وغير المتدينين من اليهود، وذلك ما أكده الصحفي الإسرائيلي (ديفيد لانرد) حيث قال: «إن الأذىٰ المحتمل من جانب الحديث عن ظهور البقرة الحمراء، يفوق بكثير ما يمكن أن ينتج عن الخصائص التدميرية لقنبلة نووية دينية».

خيبة أمل.. عارضة:

بعد أن راحت الأحلام تسبح باليهود المتدينين في سواحل الخيال.. والخبال، طرأ ما يعكر أجواء هؤلاء الحالمين، فقد شكك بعض الحاخامات في أن تكون (ميلودي) هي البقرة الحمراء المنتظرة، وأوردت صحيفة معاريف الإسرائيلية الصادرة في (٢٩/ ١٠/ ١٩٩٧م) عن الحاخام (شمار ياشوف) تصريحاً أدلىٰ به من المزرعة التي تقيم فيها (ميلودي) قال فيه: «قد لا تكون هذه البقرة هي الحقيقية بسبب بعض الشوائب»! وأخرج الحاخام عدسة مكبرة،

ولاطف البقرة، وصوَّب العدسة نحو ذيلها وقال: «انظروا . . هنا تجدون بعض الشعيرات البيضاء»! ثم اتجه إلىٰ رأسها، وصوَّب النظر نحو عينيها قائلاً: «لاحظوا . . إن رموشها ـ تبدأ حمراء ـ وتنتهي سوداء»!

وقد شكك آخرون في هذا التشكيك، كما نقلت ذلك الأوبزرفر في ٩/ ٧/ ١٩٩٧م فهوَّن (يهودا اتزيون) الناشط الصهيوني من شأن تلك التحفظات التي أبداها الحاخام المذكور، وسارع إلىٰ طمأنة القلقين وقال: «هذه الشعيرات التي شوهدت ستختفي بمضي الوقت، وحتىٰ إذا لم تختفِ، فإن الكتاب المقدس يقول: إن شعرات قليلة لا تنفي الطبيعة المقدسة للبقرة إذا كانت كلها حمراء».

إن مشاعر التعجل لدىٰ متعصبة اليهود، لا تريد أن يخرج الناس من أجواء الأوهام الألفية الخلاصية، فهم يجنون أنضج الثمرات من تأجيج أحاسيس الدنو القريب لعصر النهاية (السعيد) ولا يدري هؤلاء البؤساء، أنهم سيخرِّبون بيوتهم بأيديهم وبأيدي المؤمنين في نهاية المطاف، ولكنهم مصروفون عن هذا، ومصرون علىٰ النفخ في كير الحرب الدينية القادمة، حتىٰ إن (اتزيون) المذكور آنفاً، وغيره من المتعصبين، يعتقدون ـ كما نقل عنه في التصريح السابق ـ أن رماد البقرة الحمراء سيحول مجموعات اليهود المتدينين القلائل إلىٰ حركة جماهيرية واسعة الانتشار!

هل لنا موقف من (البقرة)؟

نحن بطبيعة الحال، لا يعنينا من شأن تلك البقرة شيء، سواء في شكلها أو وصفها أو سنها، أو زمان ومكان خروجها، ولكن الذي يعنينا هو ما تمثله تلك البقرة من كابوس يمكن أن يثير من الأحداث ما يتعاظم علىٰ السيطرة، وقد عودنا

اليهود ـ خلال الخمسين عاماً الأخيرة ـ أنهم أكفأ البشر في تسويق الأحلام واستثمار المصائب لصالحهم. قد يتشبث اليهود بتلك البقرة بالذات ليكملوا نسج بقية الأسطورة بين يديها أو قرنيها، وقد يستبدلونها بعد حين بأخرىٰ أكثر مطابقة للمواصفات التي تليق بأمة متنطعة تريد أن تكرر حديث الصفات النادرة عن البقرة الصفراء الفاقع لونها، مع البقرة الحمراء الخالص حَمَارها.

أما المعتقد الأصلي في البقرة، والموجود الآن في نسخ التوراة المتداولة، فلا نصدقه ولا نكذبه ـ فقد يكون من الشرائع المنسوخة ـ وذلك تسليماً بالهدي النبوي المذكور في الحديث الشريف: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بما أنزل إلينا وما أنزل إليكم»(١). ولكن المقطوع به أن تلك (الفريضة الدهرية) كما وصفوها.. لا تمت إلىٰ الدين المقبول بصلة، بعد بطلان الشرائع بشريعة النبي الخاتم ﷺ.

وهنا أمر أود الإشارة إليه، وهو أنني لا أستبعد أن يكون ظهور بقرة حمراء مطابقة لما يتطلع إليه اليهود، من تلاعب الشيطان، فيكون هذا من قبيل الاستدراج لهم، فقد تأتي الأقدار لهم بالبقرة التي يريدون، إمداداً لهم في الغي، فيظنون أنهم قد وصلوا إلىٰ عتبة عصر (الطهارة) وينتهي الأمر بهم إلىٰ مزيد من الانصراف عن الحق، كما قال ـ سبحانه ـ: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

ويمكن أن يكون هذا التلاعب الشيطاني بهم مثيلاً لتلاعبه بهم في شأن انتظار نبي خاص بهم من نسل داود، جعلهم يكفرون بعيسىٰ ويكفرون بمحمد ﷺ مصرين علىٰ انتظار هذا النبي الموعود.

---

(١) أخرجه البخاري في الشهادات (٢٩) والاعتصام (٢٥) والتوحيد (٥١).

البقرة.. ونجاسة الشعب (المختار):

من أعجب أمور اليهود، أنهم لا يزالون يؤمنون عن يقين بأنهم (شعب الله المختار) حتى تقوم الساعة! والأعجب من ذلك أنهم يعتقدون بالقدر نفسه من اليقين بأنهم شعب (نجس) منذ عشرات القرون، لماذا؟ لأنهم قارفوا نجاسات عديدة لا يمكن التطهر منها حسب شريعتهم إلا برماد البقر الأحمر، ضمن طقوس لا تمارس إلا في الهيكل، وبما أن الهيكل غائب منذ ألفي عام، وعقمت معه الأبقار أن يلدن واحدة حمراء خالصة، فإن (النجاسة) ظلت ملازمة للشعب اليهودي بكامله. جاء في توراتهم: في سفر العدد-الإصحاح ١٩: «هذه هي الشريعة. . إذا مات إنسان في خيمة، فكل من دخل الخيمة وكل من كان في الخيمة يكون نجساً. . . كل إناء مفتوح ليس عليه سداد بعصابة فإنه نجس، وكل من مس على وجه الصحراء قتيلاً بالسيف أو ميتاً أو عظم إنسان أو قبراً يكون نجساً. .» «والذي مس ماء النجاسة يكون نجساً. . وكل ما مسه النجس يتنجس، والنفس التي تُمس تكون نجسة»!!.

فَمَنْ إذن من الشعب (المختار) بقي طاهراً؟! المشكلة هنا ليست في النجاسة-فكل الكفار والمشركين نجس-ولكن المشكلة أنهم يعتقدون أن هذا النوع من النجاسة لا يزول إلا برماد البقرة المحظية في نهاية الألفية، جاء في الموسوعة الدينية اليهودية: «إن البقرة الحمراء يجب سحبها خارج القدس، وبعد ذبحها يجب حرقها بكاملها بعد إضافة خشب الأرز وأعشاب أخرى، ويشرف على هذه الطقوس حاخام أو كاهن، ويستخدم الرماد في التطهر وطرد الأرواح الشريرة التي يمكن أن تنتقل إلى اليهود من الموتى لو مسوا جثمانهم».

والظاهر أن نجاسة اليهود من أكثر ما يؤرقهم، حتى إن التلمود الذي وضعه

الحاخامات تفسيراً للتوراة يدور سدسه تقريباً حول كيفية التطهر من النجاسات، وجاءت البقرة ـ أو هكذا ظنوا ـ لتكون فاتحة لعهد من الطهارة يستقبلون به عصراً من الأمجاد، والله يعلم أن جميع البقر الأحمر والأبيض والأسود، لو صُيِّر رماداً، ثم خلط بماء البحر الأحمر والأبيض والأسود، ثم أغرقت فيه أمة اليهود كلها، لما تطهر واحد منهم من نجاسة الكفر، إلا إذا دخل في دين التوحيد وآمن برسالة خاتم الرسل وسيدهم محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ـ قال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

أما هؤلاء، فإنهم لا يزالون في أسر الآصار التي كانت عليهم، لا يبغون عنها فكاكاً، وقد نقلت صحيفة الرأي العام الكويتية عن إحدى الصحف الإسرائيلية في (٥/ ٣/ ١٩٩٨م) أن حواراً أجري مع واحد من أبرز الحاخامات الإسرائيليين ويدعى (البويم) حول العديد من الأسئلة الحائرة الدائرة حول البقرة، فكان من ضمن الأسئلة: هل تكفي بقرة واحدة لخمسة ملايين يهودي ملوثين بالنجاسة؟ فأجاب: «أجل، ولسنوات كثيرة أيضاً، لقد دُوِّن في التوراة أن البقرة الحمراء الأولى أعدت على عهد موسى، أما الأبقار التالية فقد أعدها عزرا، فخلال فترة الهيكل الثاني أعدوا ثماني بقرات، إذن فالعدد كله تسع بقرات، ونحن الآن في زمان البقرة العاشرة» إذن، فأمر البقرة ـ سواء كانت هي تلك التي أعلنوا عنها أو غيرها مما يمكن أن يعلنوا عنه، ليس بالأمر الهامشي في حياة اليهود في هذه الأيام؛ خاصة أنهم يرون أنفسهم قد قطعوا من الطريق أطوله

نحو عهد الهيكل الثالث، وعلماً بأن ما يقرب من ٩٥٪ من الطقوس العبادية اليهودية التي تؤدى في الهيكل، يحول بين اليهود وبين ممارستها ما يسمونه بـ (نجاسة الموتى)، بل إن بعض الحاخامات يتحدثون عن استحالة افتتاح الهيكل للعبادة بأيدي (أنجاس) واستحالة تمكُّن هؤلاء من القيام بشؤونه وطقوسه قبل تطهُّرهم برماد البقرة!! ولله في خلقه شؤون! كيف إذن سيبنون وكيف يجهزون وهم أنجاس؟ الله أعلم!

أما عن كيفية التخطيط العملي لهذه (الطهارة) الجماعية، فهذا سؤال توجهت به صحيفة (هآرتس) الإسرائيلية في (٢/ ٣/ ١٩٩٨م) إلى أحد الحاخامات الكبار فقال: «سنحرق البقرة قبالة موقع الهيكل من جهة الشرق، وبالإمكان أن نضيف إليها بعض الأشجار، وبعد ذلك نخلط الرماد بعضه ببعض، ومن ثم يتم وضع الرماد في أنابيب، وتوزع في أرجاء البلاد»!! شيء قريب من توزيع مياه الشرب أو الغاز.. إنها ألغاز!! فماذا إذن عن الملايين العشرة الباقين من اليهود خارج البلاد؟! الظاهر أن الرماد سيصدَّر إليهم في مغلفات معقمة من قوارير، أو أنه سيكون مدعاة قوية لهجرات جديدة إلى أرض الميعاد... والرماد!

موعد الميلاد.. وموعد الذبح:

الموعد الذي ولدت فيه البقرة سيحدد بدقة الموعد الذي ستذبح فيه، فعلى حسب المفاهيم اليهودية لا بد أن تذبح البقرة بعد أن تتم ثلاث سنوات، وهناك اختلاف معلن في تحديد الموعد الذي ولدت فيه، فالبعض داخل (إسرائيل) يقول إنها ولدت في شهر أغسطس من عام ١٩٩٧م، وهناك من يقول إنها ولدت في يناير من العام نفسه، وعلى هذا؛ فهي ستتم عامها الثالث إما في يناير من عام

٢٠٠٠م، أو في أغسطس من العام نفسه، وعلى هذا يكون العام ٢٠٠٠م، عاماً مصيرياً في عمر البقرة وفي عمر اليهود، حيث تتوقع جماعاتهم الدينية أن عصراً جديداً سيحل في الأرض المقدسة بعد ذبح البقرة في بيت المقدس، أو في (أورشليم) كما يسمونها!

ومع (أورشليم) التي يجري إعدادها أيضاً لعهدها الجديد قبل العام ٢٠٠٠م سيكون حديثنا في الفصل التالي.

الفصل الخامس

عمران بيت المقدس ومصير الحل النهائي

عمران بيت المقدس ومصير الحل النهائي

يبدو أنه سيكون لمدينة القدس مع الألفية قصة، فهي الآن محتلة من اليهود، ومستهدفة من النصارىٰ وشبه ميئوس منها من العلمانيين و (الواقعيين) العرب، وليست هذه كل المشكلة بل المشكلة الآن في الترتيب الذي يربط ـ ولا ندري من ربطه ـ بين الألفية وبين صيغة الحل النهائي لمصير القدس.

ـ فاليهود يريدون من العالم أن يحسم اختياره المتردد لصالح اختيارهم الحاسم بالابتلاع (الأبدي) للقدس عاصمة موحدة لدولتهم.

ـ والنصارىٰ يريدون من خلال منظماتهم الإنجيلية أن تنفذ الولايات المتحدة الأمريكية قرار الكونجرس الملزم بنقل السفارة الأمريكية إلىٰ القدس قبل انتهاء عام ٢٠٠٠م.

ـ أما العرب، فلابد أن يروا مع بداية الألفية المصير الذي ستؤول إليه القدس بعد انتهاء الفترة الانتقالية ونتائج مفاوضات (الحل النهائي).

ستشهد الألفية الثالثة في بدايتها حسم هذه المسائل الثلاث، سلباً أو إيجابياً. والسلب والإيجاب هنا، ليس من قبيل المصادفات؛ ولكنه السلب والإيجاب الذي يحكمه قانون الأسباب، بمعنىٰ آخر: فإن الأسباب المبذولة من كل طرف لنصرة قضيته ودعمها بعد فهمها هي التي ستوجه المؤشرات نحو هذا الحل أو ذاك. ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤].

إن هذا الأمر يدعونا إلىٰ أن نطرح سؤالاً كبيراً يحوي أسئلة ثلاثاً وهي: ماذا تعني (القدس) بالنسبة لليهود، وماذا عملوا من أجلها علىٰ مدىٰ خمسين عاماً؟

وماذا تعني (القدس) بالنسبة للنصارىٰ، وماذا عملوا من أجلها علىٰ مدىٰ تلك الخمسين وما قبلها؟ وماذا تعني (القدس) بالنسبة للعرب والمسلمين؟ وماذا عملوا من أجلها خلال ما مضىٰ من عمر القضية؟! أي عبر خمسين عاماً أيضاً؟

مَنْ مِن هذه القوىٰ يملك خياره؟ بل مَنْ منها سيفرض خياره؟

ماذا تعني القدس عند اليهود؟

هم يطلقون عليها (يورشلايم) أو (أورشليم)، أي: مدينة السلام، التي سيقودون العالم منها تحت قيادة (ملك السلام)! هكذا نسبوا للتوراة. ففي التوراة كمٌّ كثيف من الحديث عنها؛ حيث ذُكرت فيها نحواً من ستمائة وثمانين مرة، ويطلق اليهود علىٰ القدس أيضاً (صهيون) نسبة إلىٰ الجبل الموجود فيها والمسمىٰ بهذا الاسم الذي انتسبت إليه الحركة الصهيونية، ويطلقون علىٰ القدس أيضاً ـ كما في التوراة ـ (مدينة الإله) و (مدينة العدل) و (مدينة الحق) و (مدينة الشعب المختار) وأيضاً يطلقون عليها (أريئيل) يعني: أسد الله. وكل هذه المعاني تشير إلىٰ مغزىً واحد، وهو ارتباط تلك المدينة بالعقيدة والشريعة اليهودية؛ حيث فرضت تلك الشريعة علىٰ اليهود أن يحجوا إليها ثلاث مرات في العام، وأن يتوجهوا إليها دون أرضٍ غيرها في العالم.

وحيث شُرِّد اليهود عن تلك الأرض، ودُمِّر المعبد المُتخَذ قِبلةً فيها دون أن يستطيعوا العودة إليها أو إعادة معبدها عبر ألفي عام؛ فهل يسهل عليهم بعد أن عادوا إليها أن (يتنازلوا) عنها كلها أو بعضها لقوم آخرين يريدون أن يتخذوها عاصمة؟ هل سيقدِّم اليهود هذه المدينة التي انتزعوها بالدم والدمع كما يقولون لقوم أضاعوها ـ وهم العرب ـ في أيام، بعدما حفظها أجدادهم طيلة قرون؟!

إن المدينة التي يحتفل اليهود منذ فترة بذكرىٰ مرور ثلاثة آلاف عام[١] علىٰ بنائها، لا تقبل في تصورهم أن تقسم بينهم وبين غيرهم ما دامت قد وقعت في قبضتهم.

والذين يتصورون أن اليهود سيفرِّطون في القدس أو في أحد شطريها، لصالح العرب، يعيشون وهماً كبيراً، وهم مخدوعون أو مخادعون! فالقدس في معتقد اليهود كل لا يتجزأ، فهم لا يعترفون بتقسيمها إلىٰ غربية لليهود وشرقية للعرب، بل هي مدينة واحدة موحدة، تقبل الزيادة ولا تقبل التجزئة، وفي التلمود أن «القدس ستتوسع في آخر الزمان حتىٰ تصل إلىٰ دمشق، وسوف يأتي المنفيون ليقيموا خيامهم فيها»[٢]. وقد لمح رئيس الوزراء السابق نتنياهو إلىٰ نية الدولة اليهودية في توسيع القدس في تصريحات نشرتها الصحف في ١٦/ ٣/ ١٩٩٩م.

إن للقدس مكانة مستقبلية في التراث الديني اليهودي؛ فهي ستكون عاصمة لمسيح الخلاص الآتي من نسل داود ـ كما يزعمون ـ، ولهذا يطلقون عليها (الشخيناه) أي: الملكوت الذي سيتنعم منه العالم أو سيحكم منه العالم. جاء في (الأجاداة)[٣]: «سيأتي اليهود إلىٰ القدس وسيأخذونها، وستمتلئ حدودها بالثروة». وفي تفسير التوراة صَوَّرت (القبالاة)[٤] (أورشليم) وكأنها المكان الذي سيفيض بالخير من السماء، ومنها يوزع علىٰ بقية العالم!

---

(١) لأن داود ـ عليه السلام ـ قد بناها قبل ميلاد المسيح بألف عام.
(٢) انظر الكنز المرصود في أسرار التلمود.
(٣) الأجاداة هي: الجانب القصصي الشفوي في التلمود، في مقابل الجانب التشريعي المدون.
(٤) القبالاة هي: مجموعة التفسيرات الباطنية للتوراة، باعتبار أن كل كلمة منها وكل حرف ونقطة تحوي سراً داخلياً عندهم، لا يمكن فهمه إلا بالتأويلات الباطنية.

ومن اللافت للنظر - أيضاً - أنهم يعتقدون بمقتضى (القبالاة) أن القدس ستعلو أسوارها حتى لا تصل إليها (قوى الظلام)[1]! وستكون مكاناً مناسباً لتهيئة اليهود وإعادتهم إلى التقوى!!

ماذا فعل اليهود من أجل القدس؟!

لقد برهن اليهود، ولا يزالون يبرهنون على أن المعاني العقدية لا بد أن تترجم إلى وقائع عملية. وفيما يتعلق بالقدس، كان تحويلها إلى مدينة يهودية خالصة هدفاً ماثلاً أمام كل القوى - على اختلاف توجهاتها - قبل إقامة الدولة وبعد إقامتها، ووجدت فكرة (القدس اليهودية) من يحفرها على جدران الواقع الهش، وسط أمة لم تحسن فهم الواقع فضلاً عن التعامل معه.

لقد تقرر اتخاذها عاصمة (دائمة) قبل أن تُتَّخذ (تل أبيب) عاصمة مؤقتة، وبُدئ في تهويدها بالفعل منذ قيام الدولة في عام ١٩٤٨م، وفي الرابع والعشرين من شهر يونيو من العام نفسه أعلن بن جوريون في الكنيست أن مسألة إلحاق القدس بإسرائيل ليست موضع نقاش، وقد تم بالفعل إعلانها عاصمة للدولة في ٢٣ يناير ١٩٥٠م.

وقامت (إسرائيل) بنقل كل الوزارات إلى القدس (الغربية) ريثما يتم الاستيلاء على القدس الشرقية، وفي حرب يونيو ١٩٦٧م، وبعد يومين فقط من بدء الحرب، اجتاح الجيش الإسرائيلي القدس الشرقية محققاً الانتصار على مجموع الجيوش العربية التي دخلت الحرب دون استعداد! ووقتها دخل (موشي ديان) وزير الدفاع الأسبق ليعلن في تصريح أمام حائط المبكى، ما يُظهِر أن

(١) الغريب أن هذا التعبير التوراتي، استعاره الإعلام المشبوه في بعض الدول العربية ليصف به الإسلاميين!

القدس الشرقية كانت هدفاً رئيساً للحرب، قال: (لقد أعدنا توحيد المدينة المقدسة، وعدنا إلى أكثر أماكننا قداسة، ولن نغادرها أبداً»[1] وقد يقول قائل: إن مثل تلك التصريحات تقال في أزمنة الحرب من أجل حشد الطاقات ورفع المعنويات، أقول: قد قالها بعد ديَّان (رابين) في أحد مؤتمرات السلام والتطبيع، ففي مؤتمر الدار البيضاء، وفي ضيافة الدولة المضيفة لـ (لجنة القدس) قال رابين: (إن القدس الكبرى الموحدة، ستظل عاصمة لإسرائيل لأبد الآبدين) [صحيفة هاتسوفيه الإسرائيلية (١٢/ ١١/ ١٩٩٤م)].

أما نتنياهو فإن قضية القدس (الموحدة) كانت بالنسبة له وهوفي الوزارة قضية حياة أو موت، وقد وقف أمام أعضاء الكونجرس الأمريكي في أول زيارة له بعد فوزه في الانتخابات عام ١٩٩٦م وجهر بعبارة محددة ورددها ثلاث مرات، وكأنه يردد قَسَماً، قال:

أورشليم هي عاصمة إسرائيل الموحدة إلى الأبد. .

أورشليم هي عاصمة إسرائيل الموحدة إلى الأبد. .

أورشليم هي عاصمة إسرائيل الموحدة إلى الأبد. .

ومع تعالي نبرات صوته كلما كرر العبارة، كانت تتعالى أصوات التصفيق الحاد، لتغطي على صوت الميكروفونات، حتى دوَّت القاعة كلها بتصفيق متواصل، وازداد حماساً بعدما وقف جميع أعضاء الكونجرس الأمريكي لتحيته! وفي أول لقاء له مع بيل كلينتون في حديقة البيت الأبيض، أعلن نتنياهو إلغاء كل القيود على الاستيطان في القدس.

---

(١) الخلفية التوراتية، ص٣٥.

أما (يهوذا البرق) أو إيهود باراك فكان أول تصريح له بعد فوزه أن أعلن تمسكه بالقدس عاصمة موحدة وأبدية للشعب اليهودي، ولم تمض على انتخابه أيام حتى استؤنفت أعمال الاستيطان اليهودية في القدس. وقد استرضاه الأمريكيون قبل أول زيارة له لواشنطن بعد تولي الوزارة بتصريح على لسان السيدة الأمريكية الأولى (هيلاري كلينتون) قالت فيه إنها تؤمن بحق إسرائيل في اتخاذ القدس عاصمة موحدة لها.

فالقدس أمر لم يختلف بشأنه زعماء اليهود في يوم من الأيام، ولا أظن أنهم سيختلفون بشأنه إلا إذا قيض الله لهم من تختلف أضلاعهم على أيديهم.

إن العبارة التي قالها بن جوريون وكان يرددها بعده مناحيم بيجن: (لا قيمة لإسرائيل بدون القدس، ولا قيمة للقدس بدون الهيكل). هذه العبارة، تتناسب منطقياً مع النظرة الدينية اليهودية للقضية، وتدل على أنهم يَعُون ويعنون ما يقولون، وإلا، فماذا يصنع اليهود بدولة يعقوب (إسرائيل) دون مدينة (داود)؟ وماذا يستفيدون من مدينة داود، دون معبد (سليمان) الذي ترتبط به صلواتهم وحجهم ومجمل ديانتهم (المنسوخة)؟

إن العلمانيين العرب لم يفهموا، أو لم يريدوا أن يفهموا هذه الأبعاد الدينية؛ ولذا فإنهم كانوا ولا يزالون يتخبطون في فهم القضية والتعامل معها، وليتهم إذ عجزوا أو تعاجزوا عن فهم المعنى الديني.. أقبلوا على فهم المغزى التاريخي، فإنه يعطي - خاصة في سياقه الحديث - إشاراتٍ فصيحة تنبئ عن ثبات الخُطا اليهودية تجاه السيطرة التامة على القدس غربيةً وشرقيةً.

قصة الابتلاع:

بعد أن حاز اليهود القدس الغربية بعد حرب عام ١٩٤٨م، ونالوا من الأمم المتحدة صكوك ملكها في حماية (الشرعية الدولية) اتجهت أنظارهم نحو

(القدس الشرقية) وكانت الحرب، وكانت النكسة، وكان الاحتلال، ولم تشأ الشرعية الدولية أن تضفي شرعيتها على هذه (المخالفة) لقرار التقسيم، فأُطْلق على القدس الشرقية وصف: الأرض المحتلة، ومن دون أن تتخذ هذه (الأمم) أي إجراء مضاد لهذا الاحتلال يوقف المحتلين عند حدهم بعقوبات أو حصار أو تحالف دولي!

أما اليهود: فقد سارعوا إلى فرض واقع جديد في طبيعة الأرض التي استولوا عليها، والتي لم يقدموا من أنحاء العالم إلا من أجلها؛ فبعد أقل من عشرين يوماً من دخولها، صدر قانون يقضي بإخضاع القدس الشرقية لنظم الدولة في إسرائيل، وبدأ ضمها الفعلي بدءاً من عام ١٩٦٨م، وفي ٣٠ يوليو ١٩٨٠م صدر قانون بضمها بشكل نهائي واعتبارها عاصمة رسمية موحدة للدولة ومقراً لحكومتها وبرلمانها ومكتب رئيسها. وقد أطلق على هذا القانون: (مشروع القدس الكبرى) وقد تم ذلك لإعطاء قضية توحيد القدس بُعداً عالمياً في المجتمع الدولي الذي أسهم فعلياً في تسهيل مهمة اليهود في ابتلاع الشطر الأول، تاركاً لهم مهمة تدبير شأنهم مع الشطر الثاني.

ولم يكن على اليهود ـ بعد أن سيطروا على القدس الشرقية ـ حيث مقدساتنا الإسلامية ـ إلا أن يتفرغوا لفرض واقع جديد، يتم تنفيذه على مراحل: سياسياً وقانونياً وديموغرافياً؛ فالواقع الديمغرافي المتعلق بالهوية والسكان، كان يميل بشدة إلى جانب العرب المسلمين في فلسطين عندما احتُلت القدس الشرقية، ولكن الكفة ظلت تميد وتميل إلى جانب اليهود، وفق تصور مبيت وتدبير مقصود. لقد كان سكان القدس من الفلسطينيين عام ١٩٦٧م يمثلون نسبة ١٠٠٪، ولكن هذه النسبة ظلت تنخفض بشكل خطير، ضمن مخطط يهدف إلى

إيصالها إلى أدنى حد لها بحلول العام ٢٠٠٠م، وذلك عن طريق مشروع (القدس الكبرى عام ٢٠٠٠م) وهو مشروع يهدف باختصار إلى تقليص وتنقيص الأرض وسكانها عربياً، وإنمائها وزيادتها إسرائيلياً؛ حيث تقرر - بحسب المشروع - أن توسع القدس لتمتد غرباً باتجاه تل أبيب، وجنوباً باتجاه الخليل، وشمالاً إلى ما وراء رام الله وحتى حدود أريحا شرقاً.

ولتنفيذ هذا المخطط (الذي يهدد ثلاثة أرباع الضفة الغربية) شرَّد اليهود حوالي ٦٠ ألف فلسطيني، وصادروا أملاكهم. أما الأرض الفلسطينية (المحتلة بحكم الأمم المتحدة): فقد أكلتها القوارض اليهودية في هدوء أمام صمت الأمم المتحدة، حتى إنه في حقبة التسعينات، لم يعد الفلسطينيون يسيطرون إلا على ٢١٪ فقط من مساحة المدينة، تصل - بعد التخفيض - إلى ٤٪ فقط؛ لأن بقية النسبة تتشكل من مناطق وعرة لا تصلح للسكنى والعمران[١].

لقد حدثت في المقابل طفرة في إسكان اليهود بالقدس الشرقية، وخاصة في عهد نتنياهو، وكان أول ما بدأ به استكمال مشروع (البوابات) حول القدس - ٢٦ بوابة - وهو مشروع كان (شارون) قد بدأه في عهد (شامير) ليستكمل به تطويق المدينة بأحياء سكنية يهودية.

سكان متدينون لعاصمة دينية:

ليس في دولة (إسرائيل) الدينية، عاصمة دينية وأخرى علمانية، بل فيها عاصمة واحدة موحدة، يرون أنها عادت بالدين ومن أجل الدين، ولهذا فلا

---

(١) من المضحكات المبكيات أن بعض (الواقعيين) العرب يروِّجون الآن لصيغة (حل وسط) لضمان كون (القدس) عاصمة للدولة الفلسطينية - كما يتعهد عرفات - وذلك باقتطاع جزء من خارج القدس التاريخية بشقيها، واتخاذها عاصمة بعد أن يُطلق عليها اسم (القدس)!! ولكنها في الحقيقة قرية (أبوديس)!

ينبغي أن يسكنها إلا المتدينون؛ وهل في هذا الأمر غرابة؟! إن الغرابة في عكس هذا الأمر، وهو أن تقع المدينة المقدسة في أيدي اليهود بعد قرابة ألفي عام ثم يتركها المتدينون لسُكنى الفلسطينيين! أو حتى العلمانيين الإسرائيليين؟!

إن تسكين اليهود (المتدينين) لمدينة القدس يسير أيضاً وفق نسق ديني، يرسم معالمه المتشددون من حاخامات وكهنة وطلاب علوم دينية، وتقوم على تحقيقه الجهات المتنفذة من سياسيين وعسكريين.

ولماذا الدينيون المتشددون؟! لأنهم وحدهم الذين سيعرفون لها منزلتها في الديانة اليهودية، وهم وحدهم الذين سيُخلِصون في تكثير سوادها[1] وتعمير مرافقها، وأهم من ذلك؛ فهم وحدهم الذين سيتصدون للدفاع عنها وعن المشاريع اليهودية الدينية المستقبلية فيها وعلى رأسها (بناء المعبد الثالث)؛ حيث سيكونون طليعة المستقبلين للملك القادم على كرسي داود ـ كما يروج لذلك الحاخامات ـ الذين ينسبون إلى التوراة على لسان سليمان ـ عليه السلام ـ: (أيها الرب إله إسرائيل، احفظ لعبدك داود أبي ما كلمته به قائلاً: لا يُعدم لك أمامي رجل يجلس على كرسي إسرائيل إن كان بنوك إنما يحفظون طرقهم، حتى يسيروا أمامي، كما سرت أنت أمامي)[2] فلا بد ـ وفق هذا النص ـ أن يكون جيل الخلاص مخْلصاً لليهودية متمسكاً بها، حافظاً لطرقها، أما المفرطون من العلمانيين واليساريين والاشتراكيين والليبراليين الإسرائيليين، فلا مكان لهم في الأرض المقدسة إلا إذا انضموا إلى ركب المتدينين!

---

(١) تذكر الإحصاءات أن معدل الولادة بين يهود القدس أعلى بكثير من معدلاتها في سائر دولة اليهود.

(٢) سفر الملوك، الإصحاح الثامن.

إننا نشهد في السنوات الأخيرة عملية حشد وحشر كبيرة للمستوطنين اليهود في المدينة المقدسة، ولا بد أن نتذكر، أن الاستيطان يقترن دائماً بالتدين والتسلح، وليس الحديث المستفيض في وسائل الإعلام عن الاستيطان اليهودي في القدس إلا ترجمة لهذا الاتجاه. والمراقب للأمر يمكنه أن يرصد أن إسكان القدس للمتدينين أصبح هدفاً تلتقي حوله القوىٰ صاحبة القرار والتأثير في دولة اليهود، وقد اختصر نتنياهو عندما كان في السلطة هذا الموقف بتصريح أدلىٰ به أمام شركائه في الائتلاف الحاكم؛ حيث قال بالنص: «أنا مستعد للذهاب إلىٰ أبعد الحدود، ولو وصل الأمر إلىٰ التضحية بتأييد العالم من أجل تنفيذ وصية التوراة بتسكين القدس لليهود وإعمارها وتحرير أنفاقها» وقال: «كل حلمي هو أن أبني القدس وأعمرها بالمستوطنات» [يديعوت أحرونوت، ٢٨/ ٧/ ١٩٩٧م]. وهو - بالطبع - يقصد القدس الشرقية؛ لأن الغربية قد عُمرت بالناطحات لا بمجرد المستوطنات! وقد وفىٰ اللئيم بوعده وكرس عهده كله لخلق واقع جديد في القدس، جعل المهمة يسيرة علىٰ من يأتي بعده.

وللحقيقة فإن مساعي إسكان اليهود المتدينين للقدس لم تبدأ بنتنياهو - وإن كانت قد تضاعفت في عهده - وإنما بدأت قبل مجيئه؛ فإضافة إلىٰ الحرص الذاتي لدىٰ المتشددين اليهود لسكنىٰ القدس، فقد كان هناك تشجيع رسمي لإحلالهم فيها، وقد نقلت صحيفة (هاآرتس) الإسرائيلية في (٦/ ٨/ ١٩٩٥م) أن وزارة الإسكان في ظل حكومة العمل أعدت خطة لإسكان المتدينين في القدس، تشمل ١٢٠ ألف وحدة سكنية منها ٦٥٠٠ وحدة بالقرب من مدخل القدس. ومما يدل علىٰ أن مشاريع الإسكان هذه لا تقل أهمية وخطورة عن مشاريع الحرب - أن اليهود أوكلوا إلىٰ الدموي (أرييل شارون) الذي كان وزيراً

للحرب منصبَ وزير الإسكان[١]، ليحوِّل شراسته في الحرب إلىٰ شراهة في التهام وتكثير المستوطنات وتعميرها باليهود. وقد أثارت هذه الحُمَّىٰ الإسكانية انتباه المراقبين في الإعلام الدولي حتىٰ إن صحيفة (الفيجارو) الفرنسية الصادرة في (١٦/ ٦/ ١٩٩٧م) رصدت الظاهرة، وكتبت تقول تحت عنوان: (غزو حقيقي للقدس): «إن اليهود المتدينين يقومون بنشاط محموم بالتحالف مع الأحزاب الدينية والحاخامات، لجعل القدس مدينة محكومة بتعاليم التوراة فقط»، وذكرت الصحيفة أن غزو المتدينين اليهود (الحريديم)[٢] للمدينة ظهرت له آثار عديدة، فقد حصلوا علىٰ حق إغلاق العديد من الأحياء في المدينة في وجه حركة المرور في يوم السبت تمشياً مع تعاليم التوراة التي تحظر أي نشاط ـ غير العبادة ـ في يوم السبت، كما أن هناك فِرَقاً مسموحاً لها بأن تأمر النساء بالاحتشام وتنكر علىٰ النساء العلمانيات اللاتي يرتدين ملابس غير لائقة، وذكرت الصحيفة أن هؤلاء المتدينين يتلقون الإعانات والتبرعات من يهود الشتات، ويتفرغون للتعليم الديني، ولا يشاركون في دفع الضرائب، وتعفيهم السلطة من الخدمة في الجيش إذا أرادوا، وقد قدمت لهم البلدية إحدىٰ عشرة ومائة قطعة من الأرض مجاناً ليقيموا عليها سبعة وثمانين معبداً يمارسون من خلالها أنشطتهم في أنحاء المدينة.

وذكرت صحيفة نيوزويك في عددها الصادر في (٩/ ٥/ ١٩٩٦م) أن مدينة القدس، أصبحت معقلاً للتطرف اليهودي، وأشارت إلىٰ أن عدد اليهود غير المتدينين الذين يغادرون المدينة في ازدياد؛ حيث أصبحت المدينة مكاناً غير

---

(١) قبل أن يتحول إلىٰ وزير للخارجية في حكومة نيتنياهو.

(٢) وصف يطلق علىٰ الجماعات المتشددة في التدين إلىٰ حد عدم الاعتراف بالدولة.

مقبول بالنسبة لهم، نظراً للطابع الديني والقيود التي يضعها المتدينون اليهود على الحياة هناك.

والتمدد الديني بدأ يتسرب إلى باقي أجزاء الدولة اليهودية؛ ففي كتاب أصدرته الجامعة العبرية في القدس بعنوان: (إسرائيل عام ٢٠٠٠) قدَّر مؤلفا الكتاب نسبة المتدينين والقابلين للتدين في إسرائيل حتى عام ١٩٩٦م بـ٥٨٪، وألمح المؤلفان في معرض كلامهما إلى ظاهرة المخاوف من تحول القوى الدينية من قوى مؤثرة إلى قوى مسيطرة على الساحة: «يمكن أن نخمن أن تدفع ظروف مختلفة جماعات معينة من بين شباب الاستيطان إلى التمرد على الوضع الحالي، ومن جانب آخر، ستواصل الجماعات الدينية السياسية المتشددة نموها، ومن الصعب أن نضمن المدى الذي يمكن أن تصل إليها تلك الظواهر، كما أنه يصعب التنبؤ بتأثير التطورات السياسية على الحالة المزاجية في إسرائيل، وعلى التدين وعلاقة الدين بالدولة»[١] لقد نجح المتدينون الذين تسلموا سبع حقائب وزارية في وزارة نتنياهو، وجاءوا في المرتبة الثانية بعد حزب باراك في الانتخابات الأخيرة، نجحوا في أن يكثفوا الدعوة إلى التطبيق الشامل لـ(الشريعة اليهودية) وقدموا مقترحات رسمية لإغلاق كافة المصالح التجارية والترفيهية اليهودية يوم السبت، إلى جانب إغلاق الشوارع الرئيسة في المدن الكبرى الثلاث: القدس، وحيفا، وتل أبيب أمام حركة المرور، وإغلاق مطار اللد في هذا اليوم أمام حركة الطيران الدولية!! وامتثالاً لمطالب المتدينين - أيضاً - حظرت الحكومة على كافة العاملات في البرلمان (الكنيست) ارتداء الملابس القصيرة والسراويل. [مجلة المجلة العدد ٨٥٥ - ١/٧/١٩٩٦م].

---

(١) نقلاً عن دورية قراءات إسرائيلية (٣١/ ٤٨) مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية.

ويبدو أن الدولة اليهودية حريصة علىٰ تشجيع هؤلاء المتدينين بما يعينهم علىٰ التفرغ لمهامهم الدينية فهناك الآن نحو ٦٠٪ من المتدينين غير منشغلين بعمل ويتلقون نفقاتهم من الدولة في مقابل ١٢٪ من العلمانيين، والدولة تنفق ١١٦ ألف شيكل علىٰ الطالب المتدين في مقابل ٣٦٠٠ شيكل علىٰ الطالب العلماني! وهناك ٦٢٪ من المتدينين يتلقون إعفاءات ضربية من الدولة في مقابل ١٠٪ من العلمانيين. [جريدة الحياة، ٢١/ ٢/ ١٩٩٩م].

وفي عملية استعراض للقوة قام نحو ٢٥٠ ألف يهودي أرثوذكسي متعصب بمظاهرة ضد بعض الإجراءات القضائية العلمانية، وساروا كسحابة سوداء بكامل ملابسهم الدينية التقليدية وكان ذلك في منتصف شهر فبراير ١٩٩٩م، وكانت الموضوعات التي جرىٰ بشأنها الاحتجاج والتظاهر من هذا العدد الضخم، سماح ما يسمىٰ بـ (محكمة العدل العليا) في (إسرائيل) لبعض المحلات بفتح أبوابها يوم السبت، وصدور قرارات تحد من المخصصات المالية للحركات الأصولية في وزارة التربية والتعليم.

فهل هناك (تدليل) للجماعات الدينية بهذا الشكل في أي مكان في العالم؟!

إنهم دُلِّلوا إلىٰ الحد الذي جعل منهم القوة أصبحت تهدد قيم (الديمقراطية) نفسها في إسرائيل. والقلق يتزايد في أوساط العلمانيين من نشوب حرب أهلية في القدس بين المتدينين والعلمانيين؛ حتىٰ إن صحيفة (معاريف) كتبت تقول في عددها الصادر في ١٤/ ٧/ ١٩٩٦م: «إذا استمرت الأحوال علىٰ ما هي عليه فإن العلمانيين لن يستطيعوا المعيشة بالقدس وقد يضطرون إلىٰ المواجهة» ونقلت الصحيفة عن وزير البيئة في الحكومة العمالية (يوسي ساريد) تخوُّفَه من استسلام العلمانيين للأمر الواقع؛ حيث قال: (إنني مُحبَط من أن جمهور

العلمانيين تركوا الساحة في الواقع في أيدي الدينيين)! وأظهر استطلاع أجراه معهد (جيئوقرتوجرافيا) أن نصف سكان إسرائيل يعتقدون بإمكانية قيام حرب أهلية بين المتدينين والعلمانيين» (صحيفة هاتسوفيه الإسرائيلية (٢٣/ ١٢/ ١٩٩٦م).

إن بعض (الواقعيين) العرب، بدأوا يراهنون ـ كعادتهم ـ على هذا الخطر على دولة (إسرائيل) وبدأوا ينسجون الأوهام حول احتمال أن تنفجر إسرائيل بالحرب الأهلية الداخلية، بعد أن أخفق العرب في إخضاعها بالحروب الخارجية. وهذا التصور، فوق أنه (احتمال) لا ينبغي أن تُبنىٰ عليه المواقف والآمال، فهو احتمال نستبعده، لأمرين:

الأول: أن اليهود المتدينين يعتبرون اليهود غير المتدينين مخزوناً استراتيجياً بشرياً لهم، ويراهنون علىٰ أن قطاعات كبيرة منهم ستصهرها حرارة الأحداث القادمة في بوتقة اليهودية (الأصولية).

الثاني: أن اليهود العلمانيين لن يكرههم أحد ـ وهم علمانيون دنيويون ـ علىٰ البقاء داخل القدس، بل داخل إسرائيل، إذا داهمهم خطر الحرب والقتل والدم.

بل فوق هذا وذاك لا بد من ملاحظة أن يهود العالم يعِدون (الأصولية) اليهودية والنصرانية ـ أيضاً ـ لتكون سلاح ردع في وجه (الأصولية) الإسلامية، التي ينظرون إليها علىٰ أنها العدو الأول والأخطر، وهم قد أدركوا تماماً أن جندية: (أمجاد يا عرب أمجاد) المناضلة تحت راية القومية العربية الفاشلة، قد بدأ يتجاوزها الزمان، بعد أن بدأت تلوح في الأفق إرهاصات القدوم المظفر لجندية (الله أكبر) المقاتلة تحت راية الإسلام الخالد.

الثالث: أن القوى الدينية إذا ضيق عليها الخناق، فمن غير المستبعد أن تلجأ للقوة من أجل التغيير لصالحها، كما حدث عندما اغتالت هذه القوى رئيس الوزراء الأسبق رابين بحجج دينية، وجاءت بنتنياهو مكانه، ولا أستبعد شخصياً أن تلجأ إلى مثل هذا التصرف مع باراك، إذا حاول مجاملة العلمانيين على حسابهم، وإن كنت أرجح أنه سوف يتلائم مع مطالبهم لأنها في النهاية تمثل روح اليهود الذين ينتمي إليهم (يهوذا) الجديد!

فعلى طريقة: (لا يفل الحديد إلا الحديد) يبدو أن اليهود عازمون على تصدير غلاتهم ومتشدديهم في صف المواجهة الأول مع مشروع الإسلام الجهادي التحريري في بيت المقدس وما حوله. وما يتناثر من تصريحات اليهود هنا وهناك، يصبُّ جميعه في هذا الاتجاه. قال شمعون بيريز- رئيس الوزراء السابق- في مقال كتبه لصحيفة (هاآرتس) الإسرائيلية في ١٧/ ١/ ١٩٩٧م: «إن الشرق الأوسط يقف عند مفترق طرق خطير، لا شيء فيه يمكن أن يبقى كما كان، الوضع يتغير بسرعة، وعلينا أن نختار بين التحول باتجاه سلام يصبح لنا فيه اقتصاد جديد، وبين تحول إلى التطرف والأصولية، يصبح له سلاح جديد. إنني أرى بوضوح قوة التحول إلى غير المرغوب؛ إن التحوُّل الأصولي الإسلامي الذي يستهدف النصرة من شريحة عملاقة من السكان في العالم الإسلامي تقدر بمليار و٣٠٠ مليون رجل وامرأة، تحوُّل لا يعتمد على المنطق، بل على التقديس وقصص الأساطير والمعجزات والوعود بنعيم الجنة، وعلى رأس هذا التحول يقف رجال دين منظمون، ومنظمات إرهابية في كافة أرجاء العالم، إضافة إلى دول ترعى الإرهاب وتسعى للتزود بأسلحة صاروخية ذات رؤوس غير تقليدية، وتستعد لحيازة رؤوس نووية.. إذن؛ أردنا أم لم نرد، فإننا مضطرون للاختيار- مع القرن القادم- بين السلام، أو مواجهة تعصب القرون

الوسطى»! وأردف بيريز قائلاً: «حتى سنة ٢٠٠٠م، سيكون الشرق الأوسط مسلحاً من أخمص قدميه إلى رأسه بالصواريخ ذات المسافات المتنوعة وبأسلحة غير تقليدية، وفوق هذا.. بأصولية عطشى وجائعة، ومن شأن ذلك أن يغري بخوض حرب جديدة، والأكثر من ذلك ربما - وإلى أن تحل سنة ٢٠٠٠م - تتصاعد من جديد المنافسة على زعامة العالم؛ حيث ستصبح المنطقة ساحة واسعة لمن يحسم الصراع لصالحه»!

وقد أجرت صحيفة (هاآرتس) حديثاً في (٢٢/ ١١/ ١٩٩٦) مع بنيامين نتنياهو وسأله الصحفي عن المخاطر الرئيسة التي تواجهها إسرائيل فقال: «إن عالم القرن القادم سيكون متعدد الأقطاب وغير مستقر، وسنتعرض إلى خطرين رئيسين: الخطر الأول: يأتي من داخل الفلسطينيين، أما الخطر الثاني: فسيتمثل في التهديد الإسلامي من خارج فلسطين، ويتمثل الحل بالنسبة للتهديد الأول في أن نخلِّص الفلسطينيين من حلمهم، فمن الضروري أن يتحرروا من فكرة (الخلاص)، وفيما يتعلق بالخطر الثاني فلا أرى أنه يوجد حل سهل، واعتقد أن حل هذه القضية بعيد عن إسرائيل، ومع هذا فإني شديد التفاؤل خاصة وأني واثق من أن دولة إسرائيل ستصبح أكثر قوة مما هي عليه حالياً خلال السنوات القليلة القادمة، وستتحول إسرائيل إلى جهة بالغة القوة في عالم ما بعد الصناعة الذي نقتحمه»!

ورغم محاولة نتنياهو تغليف خوفه من (الخطر الإسلامي) بالتفاؤل، إلا أننا نلحظ أنه لم يسجل للأنظمة العلمانية خطراً يذكر على إسرائيل؛ فالإسلام داخل فلسطين، والإسلام خارج فلسطين هو فقط الخطر الذي يؤرق أحلام اليهود.

لأجل هذا الرعب والذعر المتنامي عند كبار زعماء اليهود من (الخطر الإسلامي) فإنهم يعمدون إلىٰ استنهاض الهمم اليهودية والنصرانية المتشددة؛ إلىٰ ما يمكن تسميته بـ (توازن الرعب) فإلىٰ جانب أسلحة الردع النووية والكيماوية والبيولوجية التي تتترس بها دولة اليهود، فإنها تريد أيضاً حيازة ترسانة بشرية من السلاح (الأصولي) لتخزينه في الأرض المقدسة، ليستخدم عند الحاجة ضد ما أسموه (الأصولية الإسلامية)!

وما نعتقده، أن (الحشر) اليهودي إلىٰ بيت المقدس، ومجيئهم إليه لفيفاً، وعمرانهم إياه بالبناء والسكنىٰ، ليس إلا مقدمة ليوم تحتشد فيه قوىٰ الإيمان في مقابلهم، مصداقاً لقول الصادق المصدوق ﷺ: «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون علىٰ أبواب دمشق وما حوله، وعلىٰ أبواب بيت المقدس وما حوله، لا يضرهم من خذلهم، ظاهرين علىٰ الحق إلىٰ أن تقوم الساعة»[1].

وبين (الأصوليتين) المتواعدتين قدراً للقاء محتوم علىٰ أبواب بيت المقدس، هناك أصولية ثالثة، تتحسس خطاها، وتستحث أتباعها للقدوم إلىٰ الأرض المقدسة؛ حيث ولد المسيح عيسىٰ ـ عليه السلام ـ، وحيث سيعود. إنهم لا يرون للمسلمين حقاً في هذه الأرض ـ بشهادة تاريخ النصارىٰ القديم والحديث ـ بل لا يرون لليهود حقاً فيها إلا باعتبارهم أداة قدرية تهيئ الدنيا لمقدم هذا المسيح العائد لتعميد اليهود والبشرية كلها في الأرض المقدسة.

فمع تفصيل أكثر عن هذه الأصولية الثالثة، المتهيئة والمتحفزة لاستقبال الألفية الثالثة في الأرض المقدسة وفي احتفالات (بيت لحم ٢٠٠٠م).

---

(١) رواه أبو يعلىٰ، وقال الهيثمي: رجاله ثقات، انظر مجمع الزوائد، ١٠/ ٦٣.

الفصل السادس

ألفية بيت لحم

أضخم تجمع نصراني... ماذا وراءه؟!

ألفية بيت لحم

أضخم تجمع نصراني.. ماذا وراءه؟!

حلول الألفية الثالثة مستجد تاريخي كبير، يتحسب له أكثر سكان الأرض، ولكن المعنيين به بوجه خاص هم النصارىٰ، وهم أكثر أهل الملل اليوم من أصحـــاب الديانات السماوية (مليار ونصف) فالألفية مقترنة بالمسيح ـ عليه السلام ـ وهو نبيهم المرسل إليهم، وإذا كان قد قدم مُرسلاً منذ ألفي عام، فإن النصارىٰ ينتظرون ألفاً أخرىٰ يعيشون فيها في كنفه وتحت قيادته لدىٰ مقدمه الثاني؛ فالألفية ليست ذكرىٰ ميلاد فقط، وليست خصوصية زمان فحسب، بل هي بوابة عبور إلىٰ مرحلة جديدة لعصر جديد تعتقد طوائف من النصارىٰ أن الأرض كلها ستخضع فيه لدين المسيح.

ولكن المسيح العائد؛ لن يعود إلىٰ روما أو واشنطن أو باريس، إنه سيعود إلىٰ الأرض التي في أحضانها وُلد، وفي رباها تربىٰ، وفي مناكبها سعىٰ ودعا. إنها القُدس، فكم تساوي القدس لدىٰ النصارىٰ؟ وماذا تعني عندهم أرض المهد والعهد واللحد[1]؟! إنها تعني الكثير.

إن أتباع عيسىٰ ـ عليه السلام ـ ظلوا ينظرون تاريخياً إلىٰ اليهود علىٰ أنهم أعداء المسيح، المنكرون لدعوته والساعون في أذاه، واعتبر النصارىٰ أنفسهم أوْلىٰ برسالة موسىٰ ـ عليه السلام ـ التي جاء عيسىٰ ـ عليه السلام ـ مصدقاً بها ومتمماً لها، وآلت إليهم بمقتضىٰ ذلك المقدساتُ التي دعت التوراة والإنجيل

---

(١) هم يعتقدون ـ باطلاً ـ بأن المسيح مدفون هناك!

إلىٰ تقديسها، أما اليهود فلم يعترفوا لهم بذلك بل كفَّروهم كما كفّر النصارىٰ اليهود. ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ١١٣].

وما يعنينا هنا، أنه نشأ ارتباط وجداني وعقدي بالأرض المقدسة عند النصارىٰ، جعلهم ينظرون إليها علىٰ أنها إرث المسيح لأتباعه، بعد أن دنسها اليهود وتسببوا في هدم هيكلها بإفسادهم مرتين ـ كما دلت علىٰ ذلك سورة الإسراء.

بل إن النصارىٰ رفضوا أن يُطلق علىٰ القدس (صهيون اليهودية) بل أسموها مدينة العهد الجديد، واعتبروها (الوطن المقدس) الذي ورَّثه المسيح لهم، واستودعهم إياه حتىٰ يعود ثانية.

وقد برهنوا تاريخياً علىٰ هذا الارتباط عبر عشرين قرناً مضت، اختلفوا خلالها في كل شيء ـ حتىٰ في ذات الإله ـ ولكنهم لم يختلفوا علىٰ تقديس بيت المقدس وما حوله خاصة مدينة (بيت لحم) التي فيها ولد المسيح، و (الناصرة) التي فيها ترعرع، ومكان قبره ـ المزعوم ـ في القدس.

تاريخ من الضلال:

كان من المفترض أن يسارع أتباع عيسىٰ ـ عليه السلام ـ للدخول في دين النبي الذي بشر به عيسىٰ ـ عليه السلام ـ ـ تعظيماً واتباعاً لعيسىٰ نفسه ـ فيسلِّموا للرسول محمد ﷺ بالنبوة والرسالة كما طالبوا هم اليهود بذلك لعيسىٰ ـ عليه السلام ـ، ولكنهم آثروا العناد فوقعوا في الضلال، وبسبب ضلالهم هذا فإنهم لم يعترفوا بأن المقدسات التي ورِّثت لهم قد أورثها الله لقوم آخرين كانوا أحق

بالحق منهم، ولم يعوا هذه السنة الإلهية التي سطرت في الكتب ونزل بها الوحي الخاتم على لسان موسى ـ عليه السلام ـ: ﴿إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، ولهذا؛ فقد ناطحوا الأمة الخاتمة في أرض بيت المقدس وما حوله منذ وقت مبكر من عمر الإسلام، بدءاً من غزوة مؤتة وتبوك في عصر الرسالة، ومروراً بعصر الخلفاء الراشدين في أجنادين واليرموك، وصعوداً إلى عصور الخلافة المتوالية، وخاصة في زمان الحروب الصليبية التي أثبتت أحداثها العظام أن القدس كانت هدفها الأول والأخير، وانتهاء بما حدث في احتلال فرنسا لمدينة دمشق حيث وقف الجنرال اللّنبي على قبر صلاح الدين الأيوبي قائلاً: «ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين!».

ولكن الحروب الصليبية كانت أبرز المعالم التاريخية الدالة على مركزية القدس في وجدان النصارى. نعم! فلأجل تلك المدينة خاضوا حروباً متواصلة تحت راية الصليب؛ لاستعادة القدس من أيدي أمة محمد ﷺ، وكان هذا الصدام من أكبر الحروب في التاريخ كله؛ إذ استهدف توحيد أوروبا دينياً تحت زعامة البابوات، وتشكيل تحالف من كل عروش أوروبا للوقوف في وجه المسلمين في عُقر ديارهم. وقد بدأت تلك الحروب في أواخر القرن الخامس الهجري/ وأوائل القرن الحادي عشر الميلادي، واستمرت حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، أرسل الغرب خلالها أكثر من خمس عشرة حملة صليبية كبيرة إلى بلاد المسلمين، واشتركت فيها كل أوروبا النصرانية، ونجح الصليبيون خلالها في الاستيلاء على بيت المقدس وأقاموا مملكة فيها وسيطروا على المسجد الأقصى ورفعوا الصلبان على مآذنه نحو ثمانين سنة، ولم تخمد تلك الحروب إلا بعد أن تأكد للغرب، أن استمرار السيطرة على الأرض المقدسة أمر مستحيل في أرض محفوفة بالمسلمين من كل جانب.

ثم طوىٰ الزمان ـ عبر قرون ممتدة ـ أحلام أهل الصليب في التمكين للوثنية النصرانية في الأرض المقدسة، وانكفأت أوروبا في شواغلها وصراعاتها حتىٰ جاء القرن السادس عشر الميلادي.

انقلاب جديد في النصرانية:

حدث هذا الانقلاب في القرن السادس عشر باسم الإصلاح والتجديد في الديانة النصرانية وعرف بـ (الحركة البروتستانتية)، وغيَّر هذا الانقلاب معالم الديانة النصرانية ـ الدائمة التغيُّر ـ ولكن التغيير جاء هذه المرة لصالح اليهود، وكانت إطاحة هذه الحركة البروتستانتية بحق الكنيسة في احتكار تفسير الكتاب (المقدس) مفتاحاً للولوج إلىٰ التفسيرات الحرفية للنصوص التوراتية فيما يتعلق باليهود، بل بدأت النصرانية تُخترق بالمفاهيم اليهودية وتختلط بها بعد أن ضم البروتستانت التوراة إلىٰ جانب الإنجيل مصدراً أولياً وحرفياً للتلقي، خلافاً لما كان عليه الأمر خلال خمسة عشر قرناً خلت من عمر الديانة.

ولم يأت القرن السابع عشر، حتىٰ ظهرت نظرة غربية جديدة لليهود ـ أعداء الأمس ـ فقد دعا الحرفيون البروتستانت إلىٰ ضرورة احتضان اليهود والتمكين لهم في العودة إلىٰ الأرض المقدسة، علىٰ اعتبار أن مساعدتهم في ذلك سوف يعجل بمجيء المسيح عيسىٰ بن مريم إلىٰ الأرض مرة أخرىٰ؛ فالتفسيرات الحرفية للتوراة والإنجيل ـ بعيداً عن تأويلات الكنيسة ـ أظهرت لهم أن خلاصة اليهود سوف يدخلون في ديانة المسيح عندما يعود، وبقيتهم من غير المؤمنين به سوف يقتلون مع باقي أعداء المسيح، أما أتباع المسيح من النصارىٰ ومن يلحق بديانتهم فسوف يعيشون مع المسيح في القدس مدة ألف عام قبل يوم القيامة، جاء في الإنجيل في سفر رؤيا يوحنا: «ها أنا آتي سريعاً، تمسك بما عندك لئلا

يأخذ أحد إكليلك، من يغلب فسأجعله عموداً في هيكل الله، ولا يعود يخرج إلىٰ خارج، واكتب عليه اسم إلهي واسم مدينة إلهي: أورشليم الجديدة»[١] وجاء فيه: «مبارك ومقدس من له نصيب في القيامة الأولىٰ، هؤلاء ليس للموت الثاني سلطان عليهم، بل سيكونون كهنة لله والمسيح، وسيملكون معه ألف سنة، ثم متىٰ تمت الألف سنة، يُحل الشيطان من سجنه»[٢] يعني يرتفع السلام عن الأرض، ويعود الشيطان للإفساد بين البشر.

أما عن إيمان أعداد من اليهود بالمسيح عند مقدمه الثاني فيقول الإنجيل المتداول: «نادىٰ الله الحي بصوت عظيم إلىٰ الملائكة الأربعة الذين أعطوا أن يضروا الأرض والبحر قائلاً: لا تضروا الأرض ولا البحر ولا الأشجار حتىٰ تختم عبيد الإله علىٰ جباههم، وسمعت عدد المختومين مئة وأربعة وأربعين ألفاً مختومين من كل سبط بني إسرائيل»[٣].

إذن فالعودة ـ حسب هذه العقيدة النصرانية ـ ستكون في (أورشليم الجديدة) وسوف تكون علىٰ رأس ألفية جديدة، وسوف تكون في زمان لليهود فيه وجود في الأرض التي سيعود إليها المسيح، فلا بد أولاً من عودة اليهود.. لكي يعود المسيح!

عودة أم إعادة؟!

تأييد نصارىٰ الغرب لليهود في العصر الحديث، يرجع إذن إلىٰ جذور في بنية التكوين الثقافي بعد حركة التغير البروتستانتي؛ بل لا يكون المرء مبالغاً إذا

---

(١) رؤيا يوحنا، الإصحاح، ٣/ ١٢، ١٣.

(٢) رؤيا يوحنا، الإصحاح، ٢٠/ ٥ـ٧.

(٣) سفر رؤيا يوحنا، الإصحاح، ٧/ ٣، ٤.

قال: إن الفكرة الصهيونية الحديثة ذاتها، ولدت في أحضان النصرانية البروتستانتية قبل أن يرفع هرتزل لواءها بقرون. قال (كينين) ـ وهو أحد أبرز قيادات اليهود في أمريكا ـ في كتابه (خط الدفاع الإسرائيلي): «إسرائيل كانت أنشودة مسيحية، قبل أن تصبح حركة سياسية يهودية» فالبروتستانت النصارىٰ هم الذين أقاموا الحركة الصهيونية، وشجعوا اليهود للالتفاف حولها، وحتىٰ عندما تردد (هرتزل) في اختيار فلسطين وطناً تبدأ منه الدولة اليهودية، أرسل إليه المبشر النصراني البروتستانتي (وليم بلاكستون) نسخة من التوراة موضح عليها المواضع التي تشير إلىٰ أن اليهود سيعودون في آخر الزمان إلىٰ الأرض المقدسة، فاقتنع هرتزل[1].

وعندما عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل بسويسرا عام ١٨٩٧م كان من أبرز المشاركين فيه القس البروتستانتي (وليام هشلر) وقد دخل إلىٰ قاعة المؤتمر بصحبة هرتزل وهتف بحياته قائلاً: «يحيا الملك يحيا الملك»!

وعندما جاء دوره في إلقاء كلمته خاطب الصهاينة المجتمعين قائلاً: «استفيقوا يا أبناء إسرائيل، فالرب يدعوكم للعودة إلىٰ وطنكم في الأرض المقدسة».

وبقية القصة معروفة بعد بازل؛ حيث استلمت بريطانيا (البروتستانتية) فلسطين بعد الحرب العالمية الأولىٰ، ثم أعطىٰ وزير خارجيتها (بلفور) (البروتستانتي) لليهود وعداً بوطن قومي في فلسطين امتثالاً لنظرة العطف من حكومة صاحبة (الجلالة) (البروتستانية)، ثم تخلت بريطانيا عن فلسطين بعد أن

---

(١) ولهذا احتفظ اليهود بتلك النسخة من التوراة، ووضعوها إلىٰ جوار ضريح هرتزل في القدس، انظر النبوءة والسياسة، تأليف جريس هالسيل، ترجمة محمد السماك، ص٩.

هيأتها لليهود خلال فترة الانتداب، ثم ساندتها حتى تم إعلان الدولة! فلماذا كل هذا الحماس الإنجليزي لإعادة اليهود إلى الأرض المقدسة؟ يجيب الزعيم اليهودي حاييم وايزمان عن هذا في مذكراته فيقول: «إذا سأل سائل: ما أسباب حماسة الإنجليز لمساعدة اليهود وشدة عطفهم على أماني اليهود؟ فالجواب على ذلك أن الإنجليز هم أشد الناس تأثراً بالتوراة، وتدين الإنجليز هو الذي ساعدنا في تحقيق آمالنا؛ لأن الإنجليزي المتدين يؤمن بما جاء في التوراة من وجوب إعادة اليهود إلى فلسطين، وقد قدمت الكنيسة الإنجليزية في هذه الناحية أكبر المساعدات»[١]. وإيمان الإنجليز وغيرهم بالتوراة، وإيمانهم بوجوب إعادة اليهود إلى فلسطين لا يعني بالضرورة أنهم يحبون اليهود لذواتهم، بل الحقيقة أنهم يحبونهم باعتبار (المصلحة) كما سيأتي بيانه.

أمريكا وعدوى البروتستانت:

انتقلت تلك الحُمى إلى أمريكا مع الأنجلو ساكسون المهاجرين إليها، ومع تصاعد القوة الأمريكية في هذا القرن، تصاعد المد البروتستانتي، وتحول في العقود الأخيرة من عقيدة مذهبية إلى عُقد أصولية[٢]، وفي أواخر السبعينات الميلادية، شهدت الساحة الأمريكية بروزاً لتيار أكثر تشدداً داخل أتباع المذهب البروتستانتي الحرفي، وأطلق على هذا التيار: (الحركة الصهيونية المسيحية) ويُطلق عليهم أحياناً: (الإنجيليون اليمينيون)، وانتساب هؤلاء إلى الصهيونية ـ رغم نصرانيتهم ـ، ليس غريباً على قوم يدينون بالتوراة التي تقدس جبل صهيون وما كان عليه من مقدسات، ولهذا فإنهم يتبنون الدعوة إلى الدعم المطلق لدولة

(١) نقلاً عن مقارنة الأديان (اليهودية) لأحمد شلبي، ص ١٠٦.

(٢) مصطلح (الأصولية) نشأ في الغرب أصلاً لكي يطلق على المتشددين البروتستانت في مقابل التقليديين من أتباع المذاهب الأخرى.

اليهود من أجل تحقيق الطموحات الإسرائيلية أو التنبؤات التوراتية في الشرق الأوسط، ويأتي على رأسها السعي لتحقيق مشروع (إسرائيل الكبرى) و (القدس الكبرى) وإعادة بناء الهيكل؛ لأنه بكل بساطة سوف يكون مكاناً لدعوة المسيح في القدس التي ستصبح عاصمة له ـ في معتقدهم ـ.

لقد بلغ التحول التاريخي في الغرب النصراني من اليهود ذروته في العقود الثلاثة الأخيرة ووقع هؤلاء في فتنة استدراج محكمة منذ أن احتل اليهود القدس في عام ١٩٦٧م، فقد صور لهم الشيطان هذا الحدث على أنه أعظم دليل على أن التوراة حق؛ لأنها أخبرت عن عودة اليهود إلى القدس، وأن الإنجيل حق؛ لأنه أخبر بعودة اليهود إلى القدس . . . وما داموا قد عادوا إليها كما أخبرت الكتب؛ فلا بد أنهم سينتصرون في النهاية كما أخبرت أيضاً.

يقول: (هول ليندسي) في كتابه: (كوكب الأرض، ذلك العظيم الراحل): «قبل أن تصبح إسرائيل دولة، لم يكشف عن شيء، أما الآن وقد حدث ذلك، فقد بدأ العد العكسي لحدوث المؤشرات التي تتعلق بجميع أنواع النبوءات. واستناداً إلى النبوءات فإن العالم كله سوف يتمركز على الشرق الأوسط، وخاصة إسرائيل في الأيام الأخيرة».

أما الصراع الدموي التاريخي بين اليهود والمسيحية، فقد مسحته تلك النبوءات والأحلام المتحققة، وتحول أعداء المسيح إلى حلفاء، بعد أن برئوا من دمه. وإلى أصدقاء بعد أن أصبحوا علامة على قرب مقدمه.

لقد تنامى هذا التيار (الصهيوني المسيحي) بشكل جارف في سنوات معدودة؛ فبعد نحو خمس سنوات من ظهوره في أواخر السبعينيات الميلادية، كانت الإحصاءات تشير إلى ظهور نحو ٢٥٠ منظمة إنجيلية موالية لإسرائيل من

مختلف التخصصات والواجهات، تعكس آراء ورغبات نحو ٤٠ مليون أمريكي إنجيلي، وقد نجحوا في توسيع رقعة التأييد الشعبي المطلق لليهود ـ إضافة إلى التأييد الرسمي ـ وذلك عن طريق تنظيم المهرجانات للتضامن مع اليهود وتجمعات ما يسمى بـ (الوعي بإسرائيل) التي تقيمها الكنائس الإنجيلية، وبعض هذه المنظمات تنظم الجولات للأرض المقدسة، وبعضها يعد المطبوعات ويعقد المؤتمرات، وبعضها ينغمس في الدعم السياسي والمالي المباشر لدولة اليهود، ويقوم بمختلف عمليات الضغط سواء عن طريق استكتاب الرسائل، أو عن طريق وسائل الإعلام التي يعبرون فيها بقوة عن تأييدهم لإسرائيل.

لقد غدا تحقيق أهداف (إسرائيل) من علاقتها بالغرب، هدفاً لهذه المنظمات، ولم يقصر الأمريكيون من النصارى الصهاينة في دعم دولة اليهود بكل مستطاع، حتى إن بنيامين نتنياهو عندما كان سفيراً لدولته في الأمم المتحدة خاطب جموعاً منهم في (٦ فبراير ١٩٨٥م) وقال لهم معترفاً بجميلهم وجميل كل النصارى تجاه اليهود: «لقد كان هناك شوق قديم في تقاليدنا اليهودية للعودة إلى أرض إسرائيل، وهذا الحلم الذي ظل يراودنا منذ ٢٠٠٠ سنة، تفجر من خلال المسيحيين الصهيونيين» وقال: «المسيحيون ساعدونا في تحول الأسطورة الجميلة إلى دولة يهودية»، وأضاف: «إن الذين يستغربون مما يظنون أنه صداقة حديثة بين إسرائيل ومؤيديها المسيحيين، يجهلون أمر اليهود أو المسيحيين، إن هناك روابط روحية تشدنا بإحكام وثبات، إنها شراكة تاريخية أدت وتؤدي دورها بشكل جيد لتحقيق الأحلام الصهيونية»[١]. وما دام النصارى

---

(١) نقلاً عن: النبوءة والسياسة، ص ١٤٠.

يساعدون في تحقيق (الأحلام الصهيونية) فلماذا لا يصادقهم اليهود أعداء المسيح؟ إنها المصالح المزدوجة!

لقد تبنىٰ الكونجرس الأمريكي الذي يسيطر عليه اليمينيون بشكل كامل النهج الإسرائيلي فيما يتعلق بالقدس؛ فقد وافق في قراره رقم ٥٧٠ في ٢٤/ ١٠/ ١٩٩٥م علىٰ مشروع القانون الذي تقدمت به وزارة الخارجية لتخصيص مبلغ مائة مليون دولار لنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلىٰ القدس، وكانت الموافقة بأغلبية ٤٠٦ أصوات مقابل ١٧ صوتاً، واشترط الأعضاء أن يتم نقل السفارة في موعد أقصاه يوم ٣١/ ٥/ ١٩٩٩م، مع إعطاء الرئيس حق التأجيل لمدة لا تزيد علىٰ ستة أشهر «أي حتىٰ بداية عام ٢٠٠٠م» بشرط أن يكون ذلك أمراً تتطلبه دواعي الأمن القومي الأمريكي! ولم ينتظر المحمومون بألفية القدس حتىٰ يحل موعد نقل السفارة، بل ظلت أصواتهم تعلو بهذا المطلب حتىٰ لا يبرد أثر القرار؛ فقد نشرت صحيفة نيويورك تايمز في منتصف إبريل من عام ١٩٩٧م إعلاناً عجيباً موقعاً بأسماء عدد من كبار القساوسة الأمريكيين من أعضاء ما يسمىٰ بـ(الاتحاد المسيحي نحو القدس الموحدة) جاء فيه: «إن الاتحاد يدعم سيطرة إسرائيل الكاملة علىٰ القدس، ويعتبرها العاصمة الروحية والسياسية لليهود وحدهم خلال ثلاثة آلاف عام خلت بحكم الإنجيل والتوراة» وطالب الإعلان بالمشاركة في «معركة القدس» التي قد بدأت (مع من؟) والتي يجب الوقوف مع اليهود فيها، وطالب الإعلان الأمريكيين بإمطار البيت الأبيض والكونجرس برسائل تطالب بنقل السفارة الأمريكية إلىٰ القدس دون إبطاء.

وبالفعل رضخت الحكومة الأمريكية لهذا الضغوط وأقرت في شهر مايو ١٩٩٩م نقل منزل السفير الأمريكي في القدس، ريثما تتم الترتيبات لنقل السفارة نفسها، ومعروف أن منزل السفير بمثابة سفارة وله كل الصلاحيات الدبلوماسية والحصانة التي تعطىٰ للسفارة، ونظراً لأن هذه الخطوة جاءت جزئية علىٰ سبيل (جس النبض) لدىٰ العرب، ونظراً لأن النبض العربي لا يمكن جسه لشدة ضعفه، فالمتوقع أن تقدم الحكومة الأمريكية علىٰ خطوات أوضح فيما يتعلق بنقل السفارة قبل عام ٢٠٠٠م أو في بدايته.

وماذا عن الفاتيكان .. الذي كان؟!

يعكس موقف الفاتيكان مواقف الكنائس الكاثوليكية التي كانت تعتقد بأن المسيح مدفون في الأرض المقدسة بعد أن صلبه اليهود! ولهذا؛ فقد ظل الكاثوليك يرفضون تاريخياً سيطرة اليهود علىٰ بيت المقدس ولا يشجعون عودتهم[١]، فلما عادوا، أعاد الكاثوليك النظر في نظرتهم العدائية لليهود، وصدر في عام ١٩٦١م بيان من المجلس العالمي للكنائس يدين العداء للسامية ويعفي اليهود من المسؤولية التاريخية في صلب المسيح، ثم أتبع ذلك بتبرئة رسمية، ثم حذفت سائر الأدعية والصلوات التي كانت تتضمن إدانة لليهود في عبادات الكنيسة الكاثوليكية، ثم حصل لقاء تاريخي بين (البابا) وشمعون بيريز رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق، وكان ذلك في بداية الثمانينات وقد بدا (البابا) في الصور منحنياً أمامه ليصافحه، وفي عام ١٩٩٣م، اعترف الفاتيكان رسمياً بدولة اليهود إلا أنه ظل إلىٰ الآن متحفظاً علىٰ (التنازل) عن القدس عاصمة لهم،

---

(١) يشارك الكاثوليك في هذا الموقف القبط، وهم من الأرثوذكس، و(بابا) النصارىٰ في مصر يمنع أتباع كنيسته من زيارة القدس ما دامت في يد اليهود وحدهم.

والذي يظهــر أن الفاتيكان زعيم الكاثوليكية فـي العالم لــن يقـر بحيازة اليهـود ولا المسلمين للقدس في دولة إسرائيل أو فلسطين أو غيرها؛ فالقدس هي القدس عند الكاثوليك والأرثوذكس: عاصمة المسيح والمسيحيين، لا الفلسطينيين والإسرائيليين، أما قرار الاتحاد الأوروبي بتأييد قيام دولة فلسطينية، فليس فيه إشارة إلى أن تكون القدس عاصمة لها.

ونصارى فلسطين؟!

يمكن معرفة موقفهم من المذكرة التي أعدها البطاركة وزعماء الطوائف النصرانية في القدس، والتي نشرت في ١٤ نوفمبر ١٩٩٥م، فقد طالبوا فيها بتحويل القدس إلى «عاصمة للجنس البشري»!! وأكد أصحاب المذكرة أن الرب اختار القدس مكاناً لسكنه ـ تعالى الله عن زعمهم ـ وأن القدس هي مكان الخلاص، وفيها ولدت الكنيسة، ولفتت المذكرة النظر إلى أن سِفْر الرؤيا قد بشر بمجيء المسيح إلى «القدس الجديدة»، المدينة التي سيمسح فيها الرب كل الدموع! وقالت المذكرة: إن القدس بالنسبة لكل مسيحي هي منبع الحياة؛ فكل مسيحي يُولد في القدس، والوجود في القدس يعني الوجود في بيت الرب!

وإجمالاً؛ فإن نصارى العالم يتخذون موقفاً موحداً برفض سيطرة المسلمين على القدس، وينقسمون على أنفسهم في شأن السماح لليهود في اتخاذها عاصمة.

وقد عبرت (السفارة المسيحية الدولية) ـ وهي بروتستانتية ـ عن موقفها الداعم لليهود والذي كُشف عن بعضه في كتاب صدر عام ١٩٩٣م بعنوان: (بابل أو القدس) لمؤلفه (يان فيلان دارهوفن) جاء فيه: «تعارض السفارة مطالب المسلمين في البيت المقدس، وتطالب بالتسامح تجاه اليهود الذين يطالبون بالصلاة فيه، وتؤكد على حق (إسرائيل) في جعل القدس عاصمة

موحدة لهم» ثم قال مؤلف الكتاب: «إن المسيحيين الدوليين واثقون أنه على الرغم من أن الرب ترك القدس زمناً طويلاً، فإنه سيعود إليها في صورة ابن الملك داود، الملك المسيح الذي سيحكم من المدينة. وعندئذ ستجتذب القدس إليها جميع شعوب المنطقة وحكامها! وهذا الواقع الجديد سيكون تحقيقاً لرؤيا آخر الأيام التي سينتج عنها سلام وعدل عالميين، والمسيحيون يؤمنون بهذه الرؤيا، لذلك؛ فهم يعتقدون أن الصلاة من أجل مصير القدس معناها صلاة من أجل خلاص الكرة الأرضية جمعاء»!

في بيت لحم يجتمعون:

(بيت لحم ٢٠٠٠) عنوان لذاك المهرجان العالمي النصراني؛ حيث تتواتر الأخبار عن حشد متحفز، وتسابق مستنفر لحضور تلك الاحتفالات؛ حيث قدرت بعض المصادر عدد من سيحضرون إلى القدس في أواخر هذا العام الميلادي وأوائل العام بعده بنحو مليون ونصف، ثم زادت التقديرات إلى مليونين، وبعد أن تأكد حضور (البابا) لتلك الاحتفالات قدرت بعض الأوساط القادمين بثلاثة ملايين [الوسط، ٤/ ١/ ١٩٩٩م]. في حين بالغت مصادر أخرى فأوصلتهم إلى ستة ملايين [المجتمع، ٢/ ٣/ ١٩٩٩م]. ومهما يكن من أمر، فإن تلك الجموع القادمة للاحتفاء بالألفية قد تخرج عن نطاق السيطرة إذا ما حاولت بضع (مئات) أو (عشرات) من تلك الملايين استغلال المناسبة استغلالاً سيئاً، خاصة أن بيت لحم واقعة الآن تحت حكم السلطة الفلسطينية، فلا حاجة لـ (إسرائيل) بمهد المسيح في بيت لحم التي كانت جزءاً من القدس حتى زمان الانتداب البريطاني.

ومن المقرر أن يشارك العديد من القادة والزعماء العالميين في إحياء تلك الذكرىٰ الألفية، وعلىٰ رأسهم بابا الفاتيكان، والرئيس كلينتون، والرئيس الروسي بوريس يلتسين الذي انضم هو الآخر إلىٰ هيئة رئاسة الاحتفالات الدينية، ونسي الشيوعية الإلحادية!!

وقد رُصد للاحتفالات مبلغ ٣٢٢ مليون دولار، وسيشارك الأردن في تلك الاحتفالات لوقوع منطقة (المغطس) الذي عُمِّد فيه المسيح في أراضيه في المنطقة المحاذية لنهر الأردن، وكذلك ستشارك مصر، ولكن السلطة الفلسطينية هي المنظِّمة الأولىٰ لهذه الاحتفالات!

ولكن كيف ينظر الإسرائيليون لهذا القدوم أو الهجوم النصراني الذي لم يشهدوه من قبل؟! إنهم بلا شك سيحاولون استغلاله لصالحهم، ولكنهم مع ذلك لا يخفون مخاوفهم وعدم تفاؤلهم بهذه المناسبة؛ لأنهم يعلمون أن للنصارىٰ - رغم تأييدهم لإسرائيل - حساباتهم الخاصة، وخاصة طوائف الإنجيليين النشطة الذين ينظرون إلىٰ (إسرائيل) علىٰ أنها (مرحلة) ممهدة وأخيرة قبل زمن المسيح. وقد ظهرت بواكير تلك المخاوف قبل بدء الألفية بشهور طويلة.

فقد نشرت صحيفة (كول عمير) الإسرائيلية، أن هيئة مكافحة الإرهاب في مكتب رئيس الوزراء السابق (نتنياهو) تنظر إلىٰ الألوف من الحجاج المسيحيين الذين سيأتون إلىٰ الأراضي المقدسة بمناسبة الاحتفالية الألفية الثالثة علىٰ أنهم أشخاص خطرون علىٰ الأمن، وذكرت الصحيفة أن الاستعدادات تجري لمواجهة مخاطر يمكن أن تنجم عن وصول أكثر من مليوني سائح وزائر في احتفالات بيت لحم ٢٠٠٠.

وذكرت الصحيفة أن الأوساط الإسرائيلية رغم انفتاح شهيتها لهذه الطفرة السياحية، تتوقع وصول مجموعات (راديكالية) من المنظمات الأصولية المسيحية الناشطة في أمريكا وأوروبا، وقد تقوم بأعمال إرهابية بدافع تصوراتها التي ترى أن سنة ألفين ستكون بداية النهاية للعالم، مما يحدو بطوائف منها إلى (طلب الموت) في الأماكن المقدسة قبل نهاية الزمان، وأظهرت السلطات الإسرائيلية أيضاً مخاوفها من أن تقوم منظمات إسلامية متشددة بضرب أهداف إسرائيلية وسط هذه المعمعة.

إن لهؤلاء الإنجيليين رؤيتهم الخاصة للأوضاع العالمية الراهنة؛ فحسب تقديرهم؛ فإن الزمان يسرع الخطا نحو نهايته بطريقة قدرية لا تحكمها عوامل سياسية ولا اقتصادية، وإنما تجره إليها عوامل قدرية نحو الفصل الأخير، فصل الصراع (الدرامي) والدامي بحروبه المهلكة التي ستتمخض كما يعتقدون عن جيل الخلاص الذي سيشهد زمان السلام ومسيح السلام.

ولكن؛ أي سلام يتحدث عنه أولئك القسس المدججون بآلة الحرب؟ إنه السلام الدامي الذي تتقاطر فيه عبرات الدمع من حبات الزيتون، وقطرات الدم من شموع الميلاد.

سألت الكاتبة الأمريكية (جريس هالسيل) المتتبعة لنشاط هذه الطائفة، أحد هؤلاء الإنجيليين عن معتقدات طائفته فيما يتعلق بالأرض المقدسة في هذه المرحلة من الزمن فقال: «إننا نؤمن أن التاريخ يطوي الآن للوصول إلى مرحلته السابعة، وهي مرحلة الذروة، مرحلة إقامة مملكة المسيح؛ حيث يحكم المسيح من القدس لألف سنة؛ إن كثيراً من اليهود سيتحولون إلى المسيحية،

وسوف يساهمون في مملكته الألفية، وهي مملكة حقيقية على الأرض، تكون القدس مركزها الرئيس».

وسألته الكاتبة عن الأحداث التي ستسبق هذه المرحلة فأجاب:

أولاً: عودة اليهود إلى الأرض المقدسة.

ثانياً: إقامة دولة لهم فيها تكون عاصمتها القدس، وقد حدث هذا لأول مرة بعد ألفي عام!

ثالثاً: وصول رسالة الإنجيل إلى جميع الأمم بما في ذلك الشعب الإسرائيلي.

رابعاً: عودة الكنيسة إلى أداء دورها في العالم.

خامساً: وقوع الفتن والكوارث والمعاناة في أنحاء الأرض.

سادساً: اندلاع حرب عالمية نووية[١].

وهذه العلامة السادسة هي ثالثة الأثافي، فالمسيح - في زعمهم - سيعود إليهم بعد حرب، وتلك الحرب يرونها عالمية، ويريدونها نووية ويفضلونها (شرق) أوسطية و(شمال) أطلسية و(جنوب) متوسطية فماذا يريد هؤلاء (المجانين) أن يفعلوا بأرضنا الإسلامية؛ بل بكرتنا الأرضية مع حلول الألفية؟

---

(١) النبوءة والسياسة، ص ٩٤.

الفصل السابع

الألفية الثالثة

وهواجس الحرب الثالثة

الألفية الثالثة

وهواجس الحرب الثالثة

هل أصبحنا نعيش عصر (الأيام الأخيرة) أيام ما قبل النهاية؟!

وهل صحيح أن حرباً عالمية ثالثة لا بد أن تنشب مع بدايات القرن الجديد فتكون علامة بارزة من علامات الساعة؟

نحن ـ المسلمين ـ نقول: العلم عند الله؛ لأنه ﴿لا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، فللساعة أماراتها الكبرىٰ التي لا يعلم إلا الله متىٰ تبدأ، والتحديد والقطع جرأة علىٰ الغيب، نربأ بأنفسنا عنه ونبرأ إلىٰ الله منه، خاصة إذا تعلق بعلم الساعة التي ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، أما تحقق أماراتها الصغرىٰ كلها في عصرنا هذا فأمر يدور بين الظن الراجح والظن المرجوح.

لكن العتاة الغلاة من طوائف النصارىٰ يعتقدون بجزم ويعملون بحزم لهذه الأيام (الأخيرة) التي يربطونها بقدوم الألفية الثالثة؛ حيث يتوقعون أن تبدأ فيها نهاية أيام (العامة)، لتأتي بعدها أيام (الخاصة) أتباع المسيح القادم للخلاص.

ونحن ـ المسلمين ـ لا يهمنا من جزمهم أو حزمهم في معتقدهم هذا إلا ما يمكن أن يترتب عليه من سياسات وخطوات يمكن أن يقدموا عليها بزعم التهيئة لتلك الأيام الأخيرة[١] استدعاءً لعلاماتها واستجلاءً لأماراتها.

---

(١) الأيام الأخيرة في المصطلح العبري (أحريت أياميم) وتعني مرحلة أخيرة من الزمان تقع داخل الزمان وتمهد لنهايته الذي يأتي بعده (يوم هدِّين) يعني بالعبرية يوم الدين.

ففي مسيرة منتظمة في طريق الاستدراج منذ بداية القرن الميلادي الحالي، نراهم يزعمون أنهم نجحوا في (إنجاز) علامات مهمة من أشراط الأيام الأخيرة، يأتي في طليعتها ما يعدونه أولى وأبرز العلامات وهي: إعادة اليهود إلى أرض بيت المقدس! ولكن تلك العلامة ستتبعها في معتقدهم علامات أخرى، وهم يعملون أيضاً لإنجازها وإخراجها إلى حيز الوجود، وقد ظهر لنا من خلال الفصول السابقة مدى مساعيهم لهدم الأقصى وتسارعهم لبناء الهيكل، وإعلانهم لظهور البقرة الحمراء، وتصميمهم على إسكان القدس بالمتشددين الدينيين وغير ذلك.

ولكن تبقى هناك علامة أخرى تبرزها مصادرهم العقدية ويؤمنون بحتمية حدوثها عندما تبدأ الأيام الأخيرة في التوالي، وتتمثل في (إقامة) قيامة صغرى تهيئ للقيامة الكبرى! وتأويل هذا يجيء باشتعال أو إشعال حرب مدمرة تهلك فيها غالبية سكان الأرض، ففي (الأيام الأخيرة) - في اعتقادهم - لا بد أن تقوم حرب بسبب (إسرائيل) وعلى أيدي أحباب (إسرائيل) وعلى أرض (إسرائيل)! ومن أجل (إسرائيل)!

تقول التوراة التي في أيديهم: (في الأيام الأخيرة، عندما تتجمع إسرائيل من الأمم، سوف تتسبب في أمر ما، هذا ما سوف يحدث. إني سوف أضع صنارة في أفواه القوى المؤتلفة) وجاء فيها أيضاً: (بعد أيام كثيرة تُفتقد في السنين الأخيرة، تأتي إلى الأرض المستردة من السيف، المجموعة من جبال إسرائيل التي كانت خربة للذين أخرجوا من الشعوب وسكنوا آمنين كلهم، وتصعد وتأتي كزوبعة، وتكون كسحابة تغشى الأرض أنت وكل جيوشك وشعوب كثيرون معك).

وهذه الجيوش الكبيرة المعادية لـ (إسرائيل) وحلفائها يطلق عليهم في التوراة «جوج وماجوج»، وهم سيأتون إلى الأرض المقدسة في يوم من الأيام

الأخيرة من جهة الشرق كما تتحدث التوراة: (ويكون في ذلك اليوم يوم مجيء جوج على أرض إسرائيل، يقول السيد الرب: إن غضبي يصعد، وغيرتي في نار سخطي، تكلمت أنه في ذلك اليوم يكون رعش عظيم في أرض إسرائيل، فيرعش أمامي سمك البحر وطيور السماء ووحوش الحقل، والدابات التي تدب على الأرض، وكل الناس الذين على وجه الأرض، وتندكُّ الجبال، وتسقط المعاقل، وتسقط كل الأسوار إلى الأرض، وأستدعي السيف عليه في كل جبالي، يقول السيد الرب: فيكون سيف كل واحد على أخيه، وأعاقبه بالوباء وبالدم، وأمطر عليه وعلى جيشه وعلى الشعوب الكثيرة الذين معه مطراً جارفاً وحجارة بَرَد عظيم وناراً وكبريتاً)(١).

أما التلمود الذي فسر به الحاخامات القدامى نصوص التوراة فقد جاء فيه ما يدل على أن (الأيام الأخيرة) ستشهد أحداثاً يكون اليهود محورها؛ فقد جاء فيه: «قبل أن يحكم اليهود نهائياً، لا بد من قيام حرب بين الأمم، يهلك خلالها ثلثا العالم، ويبقون سبع سنين يحرقون الأسلحة التي اكتسبوها بعد النصر» وحتى البروتوكولات التي خُطت في العصور المتأخرة تردد ذاك الصدى: «إننا نقرأ في شريعة الأنبياء أننا مختارون من الله لنحكم الأرض، وقد منحنا الله العبقرية كي نكون قادرين على القيام بهذا العمل، إن كان في معسكر أعدائنا عبقري فقد يحاربنا، ولكن القادم الجديد لن يكون كفؤاً لأيد عريقة كأيدينا. . إن القتال المتأخر بيننا سيكون ذا طبيعة مقهورة لم ير العالم لها مثيلاً من قبل، والوقت متأخر بالنسبة إلى عباقرتهم»(٢).

---

(١) سفر حزقيال، الإصحاح الثامن والثلاثون.

(٢) بروتوكولات حكماء صهيون ترجمة خليفة التونسي بروتوكول الخامس، ص ١٢٣.

هكذا تتحدث مصادر اليهود عن معركة الأيام الأخيرة. أما النصارى؛ فإن الإنجيل الذي بأيديهم يزيد في التفصيل عن هذه المعركة، بل ينفرد عن المصادر اليهودية بتحديد مكانها الذي ستقع فيه، إنه سهل (مَجِدُّو) بفلسطين حيث ستنشب أكبر معركة في التاريخ في وقت العودة الثانية للمسيح.

ففي سفر الرؤيا (الإصحاح ١٦/ ١٥)، جاء على لسان عيسى ـ عليه السلام ـ وهو يصف وقت مجيئه المفاجئ: «ها أنا آتي كلص، طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه لئلا يمشي عرياناً فيروا عُريته، يجمعهم إلى الموضع الذي يدعى بالعبرانية (هَرْمَجِدُّون)».

وهكذا نرى أن الاعتقاد بوقوع تلك المعركة، هو اعتقاد مشترك بين اليهود والنصارى؛ فاليهود يؤمنون بها وبأن خلاصهم سيأتي بعدها، أما النصارى فيؤمنون بالمعركة ذاتها ولكن على أن خلاصهم هم سيأتي بعدها، ولكن هذا (الخلاص) الموهوم عند الأمتين الضالتين، لن يتم للأسف ـ كما يعتقدون ـ إلا بالتخلص من جُل سكان الأرض عن طريق تلك الحرب المدمرة: الهرمجدون.

وأصل كلمة (هَرْمَجِدُّون) عبرية، ومعناها الحرفي: جبل مجيدو، فكلمه (هار) تعني في العبرية: جبل، فإذا أضيفت إلى اسم الوادي صار (هارمجيدو) التي دمجت في النصوص القديمة إلى (هرمجدون).

وأرض مجدو تبعد ٥٥ ميلاً عن تل أبيب، وهي في موقع يبعد ٢٠ ميلاً شرق حيفا، على بعد ١٥ ميلاً من شاطئ المتوسط، وترتبط في الاعتقاد القديم بأنها الأرض التي كان الفاتحون القدامى يعتقدون أن أي قائد يسيطر عليها يمكنه

أن يصمد أمام أعدائه مهما كانت أعدادهم، ويعتقد اليهود والنصارىٰ أن جيوشاً من مئتي مليون جندي[1] سيأتون إلىٰ مجدو للبدء في خوض حرب نهائية، ونصوصهم تدل علىٰ أن هذه المعركة سوف تتورط فيها كل الأمم، أي ستكون حرباً عالمية ولكن أوارها سيشتعل أولاً في منطقة الشرق الأوسط وفي فلسطين بالذات. والنصارىٰ يعتقدون أيضاً أن تلك الحرب سوف تستغرق مدة سبع سنين، وهي مدة كافية تعطي لليهود فرصة كي يروا بأنفسهم كيف ينتقم الله من أعداء المسيح مما يدل علىٰ صدقه فيؤمنوا به. ويعتقدون أيضاً ـ بمقتضىٰ الإنجيل ـ أنه ستمر سبعة أشهر حتىٰ يتمكن (بيت إسرائيل) من دفن جثث الضحايا وينظفوا الأرض منها.

وتبقىٰ طائفة النصارىٰ الإنجيليين أو (المسيحيين الصهيونيين) المتزايدة النفوذ في أمريكا اليوم، تبقىٰ هي صاحبة الاهتمام الأول بمعتقد (الهرمجدون) والمجيء الثاني الوشيك للمسيح.

الإنجيليون وجيل النهاية:

بعد قرون طوال من تبديل المحرفين المخرفين للتوراة والإنجيل، جاء جيل من المخربين ليدَّعوا أنهم جيل النهاية الذي سيشهد (نهاية التاريخ) وهؤلاء تمثلهم في الأساس جماعات الإنجيليين في أمريكا وكندا وإنجلترا، والذين يقدر عددهم في الولايات المتحدة وحدها بنحو ٩٠ مليون نسمة. إن الشيطان لم يعثر علىٰ صنف من أتباعه أنسب من غلاة طائفة البروتستانت الإنجيلية النصرانية أدعياء التمسك الحرفي بالتوراة والإنجيل؛ فهؤلاء يرون أنهم سيعدُّون

---

(١) الحرب العالمية الثانية شارك فيها نحو ٨٥ مليون جندي، وفني في تلك الحرب نحو ٥٠ مليوناً من البشر.

مسرح الدنيا لتمثيل الفصل الأخير من عمرها؛ فالهرمجدون أو (الهولوكست النووي) أو الحرب العالمية الثالثة هي المعركة المنتظرة التي يؤمن الإنجيليون النصارىٰ بحتمية بل بضرورة وقوعها؛ ولهذا يروِّجون لها علىٰ أوسع وأعلىٰ المستويات في الغرب، وقد أقنعوا بها الرئيس الأسبق ريجان نفسه حتىٰ تكاثرت التصريحات الصادرة عنه التي تدل علىٰ إيمانه بحتمية وقوعها قبل انقضاء هذا الجيل؛ فقد نشرت مجلة (سان رييجو مجازين) في أغسطس من عام ١٩٨٥م مقالاً لـ (جيمس ملز) الذي كان رئيساً لمجلس شيوخ ولاية كاليفورنيا قال فيه: إن ريجان قال له أثناء مأدبة عشاء حضرها: «إن كل النبوءات التي يتعين تحقيقها قبل معركة مجدو قد حدثت، والفصل ٣٨ من سفر حزقيال يقول: إن الله سيأخذ إسرائيل من وسط الكفار بعد أن يكونوا مشتتين، ثم يلم شملهم مرة أخرىٰ في أرض الميعاد، وقد حدث هذا بعد قرابة ألفي سنة، ولأول مرة في التاريخ فإن كل شيء مهيأ لمعركة مجدو والمجيء الثاني للمسيح»!

وكلما اقترب قدوم الألفية الثالثة ازدادت وتيرة الصياح عن الحرب العالمية الثالثة؛ فقد صدرت في السنوات الأخيرة العديد من المؤلفات التي تتحدث عن هذه الحرب، ولاقىٰ بعضها إقبالاً منقطع النظير، منها كتاب: (دراما نهاية الزمن) لمؤلفه (أو ترال لوبرتس) وبيعت منه ملايين النسخ، وكتاب: (الكرة الأرضية، ذلك الراحل العظيم) من تأليف (هال لندسي) وقد بيعت منه نحو ١٨ مليون نسخة، ومؤخراً صدر كتاب علىٰ الشاكلة نفسها بعنوان: (أسرار نهاية العالم)، وقد ألفه عدد من العلماء، وهم الدكتور الفرنسي (لرجان بير) المتخصص في سيمولوجيا الانثربولوجي والدكتور الإنجليزي (ديفيد) المتخصص في مجال المعلومات، والدكتور اليوناني (ديمتري) المتخصص في علم اللغويات، والدكتورة (ميريام) الإسرائيلية المتخصصة في دراسة

اللاهوت، وقد استنبطوا من سفر يوحنا في الإنجيل مادة كتابهم، وجاء في مقدمة الكتاب: «إن حضارتنا هذه ستكون ضحية مرة أخرىٰ لجنون حرب عالمية ثالثة لن تستغرق كثيراً؛ لأن الأسلحة الموجودة الآن نووية، وستحرك هذه الحرب (يأجوج ومأجوج) الذين تمثلهم الصين في هذا العصر بما تملك من ترسانات نووية موجهة نحو الغرب»، ويتوقع أن يفوق هذا الكتاب ما سبقه من كتب في شدة الإقبال وذيوع الصيت. وإلىٰ جانب ذلك تُقدِّم السينما في الغرب كل مدة أفلاماً مرعبة تصور ما يمكن أن يحدث للعالم إذا نشبت الحرب العالمية الثالثة، منها فيلم: (الشتاء النووي) الذي عُرض في بداية التسعينات وأثار رعباً واسع النطاق. أما في نهاية التسعينات فقد نشرت صحيفة نيوزويك الأمريكية في منتصف مايو ١٩٩٩م، أن دور السينما الأمريكية بدأت في عرض ما أطلق عليه (فيلم القرن) وهو بعنوان: (الشبح... ظاهرة نهاية القرن العشرين) وقالت الصحيفة: إن ميزانية الفيلم قدرت بـ ١١٥ مليون دولار، وتوقعت الصحيفة أن يُحْدث الفيلم دوياً غير مسبوق في تاريخ السينما! وقد أظهر استطلاع أجرته مجلة «تايم الأمريكية» قبل عرض الفيلم أن ٣٣٪ من الشعب الأمريكي - أي قرابة ٨٣ مليون شخص، يعتزمون مشاهدة الفيلم. [الخليج، ٢٣ / ٥ / ١٩٩٩م].

ولا ندري هل هذا الزخم الإعلامي الضخم هو المسؤول عن اللوثات الدينية (الأخروية) في أمريكا، أم أن تلك اللوثات هي التي تصنع ذلك الزخم؟

علىٰ أي حال فإن التيار الإنجيلي البروتستانتي الذي يطلق علىٰ نفسه: (التحالف المسيحي الصهيوني) أصبح يقود حركة مد ديني متنامٍ في الولايات المتحدة، وبات لا يكتفي بالتدخل في السياسة؛ بل يطمع في توجيهها، ويطمح إلىٰ الإمساك بزمامها. وللتذكير؛ فإن هذا التيار هو الذي انتخب الكونجرس

الأمريكي عام ١٩٩٤م وسيطر على أغلبيته لصالح الحزب الجمهوري، ولما تباطأ هذا الحزب في التنفيذ الشامل لكل برامجهم الموجهة أعلنت كتلتهم المسماة بـ(الائتلاف المسيحي) احتجاجها، وحذرت الحزب بأنه لن يحظى ثانية بتأييدهم في انتخابات الكونجرس القادمة، وأمام هذا التهديد أذعن الحزب الجمهوري لمطالب (الائتلاف المسيحي) الذي سحب تهديده. وقد ظهر أثر وقوفه مع الحزب مرة أخرى في انتخابات نوفمبر من عام ١٩٩٨م التي فاز بها الجمهوريون بأغلبية ساحقة كان سببها التأييد القوي من الائتلاف المسيحي الصهيوني، ويكرر هذا الائتلاف لعبته، فيتوعد الحزب الجمهوري بالتخلي عنه في انتخابات عام ٢٠٠٠م إذا لم يضع برامجهم الدينية موضع التنفيذ، بل هدد أحد زعماء الائتلاف بنسف الحزب الجمهوري انتخابياً إذا تخلى عن برنامج الأصوليين (الإصلاحي)!

والائتلاف المسيحي - كما يبدو للمتابع - لن يدع فرصة انتخابات عام ألفين تفوته؛ فانتخابات الألفية لا بد أن يحصد ثمرتها (الألفيون) ولهذا؛ فإن مؤسس الائتلاف المسيحي (بات روبتسون) قد بدأ قبل بدء الحملة الانتخابية بوقت مبكر في إعداد حملة ضخمة لضمان سيطرة الأصولية الأمريكية على انتخابات القرن الحادي والعشرين التي ستأتي بالحكومة الأولى في الألف الثالثة، وقد سبق لروبتسون أن قاد حملة الحزب الجمهوري عام ١٩٨٨م، وهو من الأصدقاء الشخصيين لكل من ريجان وبوش، بل إن تكتل الأصوليين الذي يتزعمه هو الذي جاء بالرئيس ريجان ليضعه على رأس أكبر دولة في العالم، وكان الائتلاف مسانداً قوياً لجورج بوش من بعده، وعندما حصلت الانتخابات التي جاءت بكلينتون مرشح الحزب الديمقراطي، كان منافسه فيها (بوب دول) مرشح

الحزب الجمهوري، ولكن (دول) لم يفلح في كسب تأييد الأصوليين الإنجيليين فتخلوا عنه فسقط[1]، وجاء كلينتون الذي أثبت أنه أصولي أكثر من الأصوليين في تأييده للإسرائيليين رغم انتمائه للديمقراطيين.

ويستعد الإنجيليون مبكراً لخوض حملة رئاسية عنيفة وفاصلة من أجل تسليم زمام السلطة في أمريكا إلى رئيس أصولي إنجيلي أو تابع للأصوليين الإنجيليين في انتخابات عام ٢٠٠٠، وقد بدأ زعيم (الائتلاف المسيحي) روبتسون هذه الحملة باستعدادات وصفها المراقبون بأنها (أسطورية)!

فقد نشرت صحيفة لوس انجيلوس تايمز في ١٢/ ٣/ ١٩٩٩م، أن القس الأمريكي (بات روبتسون) تعهد بإطلاق حملة ميزانيتها ٢١ مليون دولار لتوجيه الناخبين الأصوليين ودفعهم إلى مراكز الاقتراع في انتخابات عام ٢٠٠٠ للرئاسة ومجلسي الكونجرس، وتقضي خطته الانتخابية بتجنيد مليون و٥٠٠ ألف حركي لضمان صب أصوات ١٥ مليون ناخب في خانة المرشحين الأصوليين اليمينيين، وفي سياق إعلانه عن الحملة ذكر القس الأمريكي أن الحركيين التابعين لتحالفه سيُكلَّفون بتوزيع ٧٥ مليون دليل انتخابي خلال الحملة المقبلة، وسيتحركون سياسياً في ١٠٠ ألف كنيسة. أما عن المسائل ذات الاهتمام التي سيركز عليها في حملته فقد قال القس: إن الائتلاف المسيحي مهتم أساساً بالمسائل الدينية التي تواجه أمريكا، وخارجياً فإن أشد ما يزعجه هو حصول

---

(١) بالمناسبة، فإن السيناتور (بوب دول) هو الذي وضع مشروع القانون الذي يطالب الحكومة الأمريكية بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس بهدف كسب تأييد الأصوليين الإنجيليين في معركته ضد كلينتون، وأقر الكونجرس ذلك المشروع في ٢٤ أكتوبر ١٩٩٥م، ثم عاد فأكد القرار في يونيو ١٩٩٧م.

الصين[١] على أسرار تكنولوجية نووية أمريكية.

وقد سبق أن عزم ذلك القس على ترشيح نفسه في الانتخابات الرئاسية عام ١٩٨٦م، وبالرغم من أنه لم يكن يمتلك ما يمتلكه اليوم من إمكانات، فقد علقت صحيفة نيويورك تايمز وقتها على الفرص الكبيرة المتوافرة أمامه للفوز إذا مضى في عزمه فقالت: «إن هناك ٢٤ مليون مشاهد للمحطة التلفزيونية المسيحية التي يسيطر عليها (بات روبتسون)، وإن احتمال ترشيحه يستند إلى لوائح كبيرة من المساهمين والممولين، وكذلك على إقبال كبير من المشاهدين يفوق عددهم عدد قراء صحف التايم ونيوزويك ونيويورك تايمز ولوس أنجيلوس تايمز والواشنطن بوست مجتمعة»! وهذا (الملك) النصراني غير المتوج يؤمن إيماناً مطلقاً بإسرائيل، وبأنها المحور الذي تدور حوله أحداث (الأيام الأخيرة) يقول: «إن إعادة ميلاد إسرائيل، هو الإشارة الوحيدة إلى أن العد التنازلي لنهاية العالم قد بدأ، كما أنه مع مولدها؛ فإن بقية التنبؤات ستتحقق بسرعة»[٢].

الإنجيليون والهرمجدون:

الإنجيليون حرفيون، ولهذا فهم يؤمنون حرفياً بحديث التوراة والإنجيل عن معركة النهاية بكل ما فيها من تفصيلات مكانية وزمانية وما يتعلق بها من وقائع وأسماء أشخاص وزعماء وبلدان وبحار وأنهار وأشجار؛ فليس هناك في اعتقادهم معنى ظاهر وآخر باطن في نصوص الكتابيْن، ولهذا؛ فإن حديث التوراة والإنجيل عن محاربة أنصار المسيح لأعدائهم بالسيف والرمح والخيل

---

(١) الصين على وجه التحديد هي أول من يمثل معسكر (جوج وماجوج) في اعتقاد الإنجيليين!
(٢) النبوءة والسياسة، ص ٤٩.

لايدل على شيء آخر غير فناء الحضارة المادية المعاصرة وعودة الناس إلى الحياة البدائية أو قريب منها!!

والنصوص الدينية التي استعرضنا بعضاً منها، تمثل هواجس دافعة، تؤز بها شياطين الجن أتباعها من شياطين الإنس ليرسما سوياً معالم الصورة المأساوية لإنهاء خلافة الإنسان في الأرض؛ والمطلع على تصريحات رموز وأعضاء هذا التيار الإنجيلي (المتدين) يشعر بأنه يسمع الشياطين تتحدث على ألسنة البشر؛ فعندما سألت الكاتبة الأمريكية (جريس هالسيل) أحد هؤلاء الإنجيليين عن السبب في أن إله الرحمة والسلام يحب - كما يزعمون - أن تقوم حرب نووية مدمرة قال: (يجب أن نتذكر أن الله هو الذي عرَّف الإنسان بصناعة وإنتاج هذه القوة المدمرة؛ فهي ليست جديدة على الله، ولن تستعمل دون مشيئته»[1].

ويقول (هال ليندسي) في كتاب له بعنوان: (العالم الجديد القادم): «فكِّروا فيما لا يقل عن ٢٠٠ مليون جندي من الشرق، مع ملايين أخرى من قوات الغرب يقودها أعداء المسيح. . . إن عيسى المسيح سوف يضرب أولاً أولئك الذين دنسوا مدينة القدس، ثم يضرب الجيوش المحتشدة في (هرمجدون) فلا غرابة أن يرتفع الدم إلى مستوى ألْجِمَة الخيل مسافة ٢٠٠ ميل من القدس، وهذا الوادي سوف يملأ بالأدوات الحربية والحيوانات وجثث الرجال والدماء»!! وأضاف: «إن الأمر يبدو وكأنه لا يصدق! إن العقل البشري لا يستطيع أن يستوعب مثل هذه اللاإنسانية من الإنسان ضد الإنسان، ومع ذلك فإن الله يُمكِّن طبيعة الإنسان من تحقيق ذاتها في ذلك اليوم»!

---

(١) النبوءة والسياسة، من المقدمة لمحمد السماك.

إذن؛ فالحرب الثالثة عندهم ليست مجرد أمل ينتظر، وإنما هي قدر لا بد من الرضى به، بل والسعي إليه في نظر هؤلاء المهاويس، أما ما يسمى بـ (المساعي الدولية للتعايش السلمي) فإنها في نظر الإنجيليين ضرب من تحدي الإرادة الإلهية.

ألقى (جيمي سواجارت) القس الأمريكي الإنجيلي الشهير موعظة في ٢٢ سبتمبر ١٩٨٥م تحدث فيها، ـ وكأنه يقوم بمشهد تمثيلي ـ فقال: «كنت أتمنى أن أستطيع القول بأننا سنحصل على السلام، ولكني أؤمن بأن هرمجدون مقبلة، إن هرمجدون مقبلة، وسيخاض غمارها في وادي مجيدو، إنها قادمة، إنهم يستطيعون أن يوقِّعوا على اتفاقيات السلام التي يريدون، ولكن ذلك لن يحقق شيئاً. هناك أيام سوداء قادمة... إنني لا أخطط لدخول جهنم القادمة، ولكن الإله سوف يهبط من عليائه... يا إلهي!! إنني سعيد من أجل ذلك... إنه قادم ثانية، إن هرمجدون تنعش روحي»!.

ولكن ما هو سبب هذا (الانتعاش) الروحي المستمد من روائح الدم وأدخنة الخراب؟!

إنه فصل معاصر من فصول الحقد التاريخي اليهودي على البشر الذي انتقلت عدواه إلى النصارى الذين كانوا يوماً مًّا من المغرمين بالحديث عن السلام تحت شعار: (الله محبة)! فعقدة (الجويم) أو الكفار أو العامة أو (الجنتيل) الذين خلقهم الله لخدمة اليهود، ولكن خلقهم على هيئة البشر لئلا يستوحش منهم اليهود. هذه العقدة يشارك البروتستانت اليهود فيها، ولهذا؛ فإن الحديث عن فناء (العامة) من غير اليهود وأشباههم من البروتستانت هو من الأحاديث المنعشة لأرواحهم والمسعدة لأسماعهم. قال القس الإنجيلي البارز

(جيري فالويل) في محاضرة ألقاها في ١٢ ديسمبر ١٩٨٤م عن أحداث هرمجدون: «ما أعظم أن نكون مسيحيين؛ إن أمامنا مستقبلاً رائعاً، نشكر الله أن هذه المعركة سوف تكون نهاية أيام العامة (الجنتيل)؛ لأنها بعد ذلك سوف تعد المسرح لقدوم الرب المسيح بقوة وعظمة»!

وأحباب (الهرمجدون) لا يقفون عند حد الأماني (الوردية) بقرب مجيء أيامه الحمراء أو السوداء، ولكنهم يصنعون سيناريوهات (واقعية) يمكن أن تجر الدنيا لمجيئه؛ فقد أجرت صحيفة لوس أنجيلوس تايمز حديثاً مع القس المذكور (فالويل) في ٤ مارس ١٩٨١م، وسأله الصحفي عن تصوره لكيفية حصول الحرب النووية العالمية فقال: «أعتقد أن روسيا ستحدث بها أزمات، وعلى رأسها أزمة في النفط وسينفد احتياطيها منه، وعندها سوف تتحرك إلى الشرق الأوسط وأيضاً نحو إسرائيل، وعندما يحدث ذلك ستنفتح أبواب جهنم»!

وقد أصدر ذلك القس بعد ذلك بعامين كتاباً بعنوان: (الحرب النووية والمجيء الثاني)، عقد فيه فصلاً عن الحرب الي ستشنها روسيا، وتكهن فيه بأنها ستخوض حرباً في الشرق الأوسط ينتج عنها إبادة خمسة أسداس جنودها كما تنبأ بذلك سفر حزقيال، وقال (فالويل): «بذلك سوف يبدأ الاحتفال الأول بقرب عودة الرب، ثم يأتي الاحتفال الآخر بعد انتهاء معركة الهرمجدون»!

ولكن لماذا روسيا بالذات؟! في الحقيقة إن روسيا - مع دول أخرى - يزعم هؤلاء الإنجيليون أن أسماءها قد وردت بالنص في طليعة المشاركين في حرب الهرمجدون؛ ففي التوراة التي بأيديهم وفي سفر حزقيال على وجه التحديد في الفصل ٣٨، ٣٩ يرد اسم (روش) وهي كما يقولون: روسيا! و (ماشك)

التي يقولون: إنها موسكو، و (توبال) التي يعتبرون أنها مدينة (تيبولسك) الكبيرة في روسيا، ويذكر السفر أيضاً بلاد (فارس) وهي بالطبع إيران التي يجزمون بأنها ستكون مشاركاً رئيساً في حرب هرمجدون، ويترجمون بلاد (كومر) بأنها منطقة بلدان أوروبا الشرقية كما كانت تعرف في أزمنة التوراة و(توغارما) التي تعني بلاد القوقاز، ولا ينسون ضم ليبيا التي يعتقدون أنها (بوت) التي يسكنها (اللبيون) كما تسميهم التوراة، ومنطقة القرن الإفريقي مع إثيوبيا وقد يحشرون معها السودان وجنوب اليمن (غومر)، أما العراق فهي (آشور الآثمة) و (بابل الزانية) التي يتحدث كتَّاب التوراة عنها بلهجة حنق وغيظ تظن معها أنهم كانوا متحدثين باسم اللجنة الدولية للتفتيش عن أسلحة الدمار الشامل!

أما (إسرائيل) فهي نفسها إسرائيل التي نعرفها اليوم، والتي لم يجد مؤسسوها اسماً آخر يصلح لها إلا ذلك الاسم الذي تذكر به في التوراة في الأيام الأخيرة، والتي ستكون بسببه في بؤرة الأحداث العالمية.

على درب الدمار:

لم يعد احتمال نشوب حرب عالمية ثالثة مدمرة من الاحتمالات المستحيلة في ظل السياسات المجنونة للتسلح في العالم؛ حيث بلغت تلك السياسات نقطة اللاعودة بحيازة الولايات المتحدة الأمريكية للقنبلة الذرية في الأربعينات واستعمالها الفعلي لها في الحرب العالمية الثانية التي حصدت نحو خمسين مليوناً من البشر!

ومن يومها والولايات المتحدة ـ فكك الله وحدتها ـ تقود العالم إلىٰ سباق نووي شيطاني لا يعلم إلا الله ما هي محطته الأخيرة. واستناداً إلىٰ كتاب: (ساحات المعارك النووية) لمؤلفيه (وليام آركن) و (ريتشارد فيلد)؛ فإن الولايات المتحدة الأمريكية تملكت حتىٰ بداية الثمانينات الميلادية ٦٧٠ أداة للأسلحة النووية في ٤٠ ولاية، بحيث يبلغ مجموع الرؤوس النووية الجاهزة ١٤٥٠٠ رأس، ولها محطات نووية خارج حدودها، ففي ألمانيا يوجد ٣٣٩٦ سلاحاً أمريكياً، وفي بريطانيا يوجد ١٢٦٨، وفي إيطاليا يوجد ٥٤٩، وفي تركيا ٤٨٩، وفي اليونان ١٦٤، وفي جنوب كوريا ١٥١، وفي هولندا ٨١، وفي بلجيكا ٢٥، وتبلغ القوة التدميرية الإجمالية لهذا السلاح النووي كما ذكر ذلك وزير الدفاع الأمريكي الأسبق (كلارك كليفورد) ـ مليون ضعف من قوة القنبلة التي أسقطها الأمريكيون علىٰ مدينة هيروشيما اليابانية في الحرب العالمية الثانية، ورغم هذا، تساءل (كليفورد) عما يجب أن تفعله أمريكا في المستقبل فقال: «مع ذلك، ماذا علينا أن نفعل»؟! ثم أجاب علىٰ نفسه قائلاً: «علينا أن نمضي قدماً في صناعة المزيد»!!

وهل من مزيد؟

نعم؛ فهم لما بدأوا السباق في مضمار الدمار الذي اخترعه (نوبل) رمز السلام الديناميتي، اضطرت القوىٰ الكبرىٰ الأخرىٰ أن تدخل السباق لتتمكن من ردع تلك القوة المجنونة التي صبت جام جنونها علىٰ هيروشيما ونجازاكي، ثم تتابعت الدول في حيازة ذلك السلاح (الهرمجدوني) حتىٰ أصبحت الدول النامية تتسابق الآن هي الأخرىٰ إلىٰ حيازته، كما حدث في الهند وباكستان، وأصبحنا الآن نعيش عصراً تقتطع فيه الدول من أقوات الشعوب، لتطعِم ترساناتها بكل

جديد مهلك من السلاح، فإذا لم تظفر بظروف تختطف فيها فرصتها النووية فإنها تبذل المساعي لامتلاك أسلحة كيمياوية أو بيولوجية، أو تكتفي بالتجهيز لامتلاك صواريخ بالستية ريثما تتوفر لها الفرص لتزويدها بالرؤوس النووية التدميرية. وقد ذكرت مجلة (جنيس ديفنزويكلي) المتخصصة في الشؤون الدفاعية التي تصدر في لندن في عددها الصادر في شهر مايو ١٩٩٩م: أن أي دولة في العالم مهما كانت خبراتها وقدراتها الحالية، ستتمكن خلال خمسة عشر عاماً بعد العام ٢٠٠٠م من استخدام ونشر الصواريخ البالستية العابرة للقارات، واستشهدت المجلة على تنامي أخطار التسلح بما حققته دول مثل إيران التي اختبرت عام ١٩٩٨م صاروخ (شهاب ٣)، وكوريا الشمالية التي جربت صاروخ (تايبو دونج ١) وباكستان التي اختبرت صاروخ (غوري) رداً على اختبار الهند لصاروخها (إجني)!

وقد صدر مؤخراً في الولايات المتحدة: كتاب بعنوان (تهريب هرمجدون) وتحدث مؤلفه (رنسلارلي) عن تفاصيل العمليات المريبة لتهريب المواد النووية من الاتحاد السوفييتي السابق، وذكر المؤلف أن طرق التهريب التقليدية للمخدرات والسلاح من آسيا الوسطى إلى إيران والعراق وباكستان وبقية دول الشرق الأوسط، يمكن أن تستخدم بسهولة لتهريب أسلحة نووية أو مواد تستعمل في صنعها، وتحدث أيضاً عن الفوضى التي أحدثها سقوط الاتحاد السوفييتي خاصة في الفترة ما بين ١٩٩١م-١٩٩٤م حيث ضاعت مواد نووية كثيرة!

هل توقف الأمر بعد الدول الكبرىٰ عند حد الدول الفقيرة والنامية؟! لا؛ فالحديث الآن يتداول في الغرب بكثرة عن الفرص المتاحة أمام بعض الجماعات المسلحة في الغرب وفي الشرق لكي تحوز أسلحة كيماوية أو بيولوجية أو حتىٰ نووية تكتيكية(١) والفضل في النهاية - أقصد الإثم - يعود إلىٰ فجور المفجِّرين الأُوَل للقمقم الذي أخرجوا منه المارد النووي علىٰ مشارف النصف الأخير من القرن العشرين.

وأين اليهود؟!

هم من جانبهم أعدوا عدتهم بحصيلة نووية (متواضعة) تتراوح بين ٢٠٠ إلىٰ ٣٠٠ قنبلة نووية، وهم لن يحتاجوا لأكثر من ذلك إذا قسَّموا هذه الحصيلة علىٰ العواصم المحيطة (المحبة للسلام) بواقع عشر قنابل لكل عاصمة! علماً بأن الغرب وعلىٰ رأسه الأمريكان لم يسمحوا لواحدة من تلك العواصم العربية بالاقتراب من حيازة قنبلة واحدة نووية لردع الجارة الجائرة (إسرائيل)!

وعلىٰ الرغم من أن اليهود المعاصرين لا يتحدثون عن (هرمجدون) بالعجلة التي يتحدث بها النصارىٰ إلا أن بعض الشواهد تدل علىٰ أنه لا مانع لديهم من تسهيل مهمة (الهرمجدونيين) إذا ما أرادوا تنفيذ شيء ما في وقت ما. وقد

---

(١) تحدثت (مادلين أولبرايت) أمام الكونجرس في ٤/ ٢/ ١٩٩٩م عن ذلك الخطر فقالت: «إن إدارة الرئيس كلينتون تعتزم بذل كل ما بوسعها لدحر ما وصفته بـ(الخطر الثلاثي) المتمثل في دول وتنظيمات إرهابية وشبكات متطرفين تمتاز بحرية في الحركة» وقالت: «إن نوعاً جديداً من المواجهة يلوح؛ بينما القرن الجديد يبدأ» وأضافت: «من المحتمل أن يتجنب خصومنا ميادين القتال التقليدية، وقد يلجؤون بدلاً من ذلك إلىٰ أسلحة الدمار الشامل» وأعلنت أولبرايت في كلمتها عن برنامج جديد تبنته الولايات المتحدة يمتد لخمس سنين لمواجهة (الإرهاب) وخصصت له الإدارة الأمريكية ٥٠ بليون دولار وقالت: «إن الخطة الخمسية تمثل مجرد بداية» [الحياة، ٦/ ٢/ ١٩٩٩م].

تواردت الأخبار منذ مدة بأن البنتاجون الأمريكي قرر أن يتخذ من (حيفا) وهي أقرب المدن لمنطقة مجدو، مقراً دائماً لقطع الأسطول السادس الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط، ولا ندري ما المدى الذي ستوصل إليه هذه التحركات المريبة!

إن هذه الدولة اليهودية (الصغيرة) بل الحقيرة تمسك أيضاً بتلابيب الغرب النصراني مبتزة إياه باقتنائها المتفلت لأسلحة الدمار الشامل، وهي تفرض بذلك هواجس دائمة بأنها تملك جره إلى حرب مباشرة، كما حدث في حرب ١٩٧٣م عندما هددت (إسرائيل) في بدايتها باستعمال السلاح النووي مما دفع الرئيس الأمريكي الأسبق إلى أن يعلن استنفاراً نووياً من الدرجة الثالثة من الاستعداد في كل أنحاء العالم، وتكرر هذا الابتزاز في حرب الخليج عندما أطلق صدام حسين صواريخه على تل أبيب؛ ولكن اليهود مع هذا يعلمون أنهم سيكونون أول ضحايا حرب نووية في المنطقة، ولهذا؛ فإنهم يعتمدون ما يسمى بـ (الخيار شمشون)[1] ومعناه: أنهم سيضحون بالجميع إذا ترجح عندهم أنهم يواجهون خطر الاستئصال.

الأخطاء المقصودة والعصمة المفقودة:

وفي ظل هذا الواقع الرعيب -إن كان له ظل- هل يملك المالكون لأزمّة الآلة العسكرية في بلاد الغرب أو الشرق الأوسط أو الأدنى أو الأقصى، هل يملكون عصمة تمنعهم من فتح أبواب الجحيم الدنيوي ولو على سبيل

---

(١) يراجع في ذلك كتاب: (الخيار شمشون أسرار وخفايا الترسانة النووية الإسرائيلية) تأليف سيمور هيرش، دار الكتاب العربي، وشمشون هو أحد (أبطال) الأساطير اليهودية الذي هدم المعبد عليه وعلى أعدائه.

الخطأ؟! أو النسيان[١].

إن من سوء حظ البشرية تحت القيادة الغربية، أن الشواهد كلها تدل على أن السيطرة الكاملة على التنين النووي ذي الرؤوس الذرية - إلى ما لا نهاية - أمر مستحيل؛ فنحن أمام حقيقة تقول: إما أن تُفني البشرية هذا الخطر أو يفنيها، إلا أن يشاء الله - تعالى - الرحيم بعباده شيئاً آخر ينقذ به الإنسانية من الشر الكامن فيها؛ وإلا فإفناء البشرية لترسانات الدمار الشامل يحتاج إلى قوة رشيدة عاقلة ذات دين، وأين هي الآن؟! فاللهم رحماك!

والآن يُتْحفنا أرباب الحضارة المعاصرة - بشكل شبه يومي - بأخبار تثير الفزع، وتبعث على الهلع، يحدثوننا فيها عن كوارث محتملة وأخرى أكيدة ستعم المعمورة كلها مع مطلع العام ٢٠٠٠م. إنها ليست بسبب (جنون البشر) هذه المرة، ولكن بسبب (العقل) الذي اخترعوه وطوروه حتى كاد يتحكم فيهم بدلاً من أن يتحكموا فيه... إنه (الكمبيوتر)!

فالعالم الآن يُستنفر كلما اقترب موعد بدء الألفية الثالثة، بسبب مشكلة الكمبيوتر في عام ٢٠٠٠م أو ما اصطلح على تسميته بـ(العلة الألفية).. فما هي هذه العلة؟ وما تعليلها؟ وما آثارها المتوقعة؟ وهل يمكن السيطرة على أخطارها التسليحية والبيئية والاقتصادية..؟

---

(١) ذكرت الصحف أن الرئيس بيل كلينتون نسي في أثناء اجتماعات القمة الاقتصادية الأخيرة الحقيبة الخاصة بالزر النووي!

الفصل الثامن

العلة الألفية والأسرار المخفية

العلة الألفية والأسرار المخفية

شاء الله ـ تعالىٰ ـ أن تتجلىٰ عظمته في الخلق بخلق الإنسان، وشاء ـ سبحانه ـ أن تظهر آياته في خلق عقل الإنسان باختراعه لهذا الجهاز العجيب: الحاسوب، أو (الكمبيوتر) فهو يدل علىٰ ذكاء خارق لدىٰ المخلوق الآدمي.

ولكن الإنسان هو الإنسان في ضعفه وعجلته وجهله.

﴿ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾[النساء:٢٨]، ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ [الأحزاب:٧٢]، ﴿ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً ﴾ [الإسراء: ١١].

فيبدو أنه لم يكن في حسبان من ابتكروا أجهزة الحاسوب قبل نحو ٥٠ سنة أن تلك الأجهزة سوف يجرىٰ تشبيكها في وقت لاحق بغيرها، ولم يكن في حسبانهم أن الشبكات التي أنشئت هكذا ستصبح عاملة حسب أنظمة سارية المفعول حتىٰ بلوغ القرن نهايته. وكان لسوء الفهم أو سوء التدبير فيما يتعلق بهذا الشأن ثمار مرة وآثار مدمرة يمكن أن تجني علىٰ الإنسان بدلاً من أن يجني هو منها ما يريد.

فالمشكلة التي اصطُلح علىٰ تسميتها بـ(العلة الألفية) أو (علة القرن) أو (حشرة ٢٠٠٠م) أو (بقة ٢٠٠٠م)، تكمن في أن أجهزة الكمبيوتر التي جسدت فتنة الإنسان بعقله سوف تعتقد في الأول من يناير عام ٢٠٠٠م، أنها عادت إلىٰ مطلع العام ١٩٠٠م بسبب استخدام الرقمين الأخيرين فقط للدلالة علىٰ السنة، وهنا ستضرب تلك الأجهزة الحاسوبية أخماساً في أسداس، وسينشأ تخوف حقيقي بسبب عدم تمكن الأنظمة المبرمجة من التفريق بين عامي

٢٠٠٠م و ١٩٠٠م الذي ينتهي كل منهما بصفرين، مما سيُحدث خطأً في قراءة تلك الأنظمة لرقمي (٠٠) في الأول من يناير عام ٢٠٠٠م، على أنها إشارة إلى عام ١٩٠٠م؛ مما يعني أن كثيراً من الأنظمة المبرمجة ستتعطل أو تتوقف عن العمل. وبمعنى آخر: بعض هذه الأجهزة ستُضرب عن العمل، وبعضها سيعمل (على مزاجه) وبعض آخر سيستمر في العمل بنشاط، ولكنه سيعطي معلومات خاطئة، ولا يسلم منها إلا ما يتم علاج علته (الألفية) قبل بدء الألفية.

إن هذه العلة الألفية ليست وليدة الساعة، بل يعود عمرها إلى نحو ثلاثين سنة عندما حدث توسع في استخدام أجهزة الحاسوب، ومنذ عشر سنوات فقط، أدرك الخبراء أنه ستكون هناك مشكلة عويصة مع دخول القرن الحادي والعشرين.

والمشكلة هنا ليست في تعطل الأجهزة كلها أو بعضها، ولكن المشكلة فيما سيترتب على تعطلها من أخطار تتمثل في الانقطاع أو الانهيار الذي يمكن أن يصيب قطاعات حيوية عديدة مثل الاتصالات والمواصلات ومراكز المال والمرافق الطبية والصناعية وغيرها، والأخطر من ذلك مجالات استخدام الأسلحة والدفاع والطيران ونظم البيئة.

أبعاد المشكلة:

البعد الزمني: هذه المشكلة ليست متعلقة فقط بمطلع العام ٢٠٠٠م، بل يتوقع الخبراء أن تستمر لأشهر أو سنوات بعد يناير ٢٠٠٠م.

البعد المكاني: يتوقع أن تأخذ المشكلة بُعداً دولياً؛ فهي لن تقتصر على دولة أو دولتين أو قارة أو قارتين، بل يتوقع أن تفرض نفسها على القارات الخمس والدول جميعها، وقد وصلت الأزمة في مستواها الدولي إلى حد تَدخُّل

الأمم المتحدة التي عقدت في عام ١٩٩٨م أول مؤتمر دولي للتصدي لمشكلة ٢٠٠٠م، وأصدر المؤتمر الذي ضم مندوبين عن أكثر من ١٣٠ دولة قراراً يهيب بدول العالم أن تعمل بصفة عاجلة على مضاعفة الجهود لمعالجة المشكلة، ويدعو إلى مزيد من التعاون الدولي في هذا المجال، ومع هذا الاهتمام الاستثنائي من الأمم المتحدة بمشكلة من ذلك النوع، فإن بعض الخبراء يتهمونها بالإهمال؛ لأن اهتمامها بالمشكلة جاء متأخراً، وأن ما جاء به مؤتمرها من توصيات لا يكفي لتدارك الخطر الذي سيحيق ببلدان العالم عندما يحل عام ٢٠٠٠م.

البعد الاقتصادي: جاء في دراسة تحليلية أعدها المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية في لندن، ونشرتها الصحف في ٢٧/ ١/ ١٩٩٩م، أن المشكلات الاقتصادية والفنية المترتبة على العلة الألفية لن تتوقف عند حد بدء الألفية الثالثة، بل يتوقع أن تزداد في الأشهر بل السنوات التي تعقب يناير ٢٠٠٠م، وذكرت الدراسة أن العديد من المشكلات المنتظرة لا يمكن التنبؤ بجوانبها وأبعادها، وأن جهود المؤسسات والشركات في محاربتها قد تكون بلا طائل، وحذرت من أن الأزمة قد تؤدي إلى ركود اقتصادي عالمي. وقدرت بعض المصادر التكلفة العالمية الإجمالية لعلاج المشكلة بنحو ٦٥٥ مليار دولار.

وفي تطور يمثل انعكاساً لقلق بالغ، عقدت في مقر أمانة صندوق النقد الدولي ندوة عالمية في منتصف إبريل ١٩٩٩م، شارك فيها خبراء من البنك الدولي، وتحدثوا عن مشكلة ٢٠٠٠م وآثارها الاقتصادية المتوقعة، وجاءت توصيات الندوة بمثابة (صدمة) لجمهور الحاضرين؛ حيث انتهت إلى الحقائق الآتية:

• معضلة القرن هي أكبر بكثير مما يتصوره المهتمون والمتابعون فضلاً عن غيرهم.

• الاستعدادات الدولية حتى الآن - بما في ذلك الدول المتقدمة - أقل بكثير مما يعلن عنه.

• الدول التي لديها القدرة على وضع حلول جذرية للمشكلة هي فقط الدول المتقدمة الغنية.

• الدول النامية والفقيرة هي أكثر عرضة لأخطار الأزمة.

• القطاعات التي ستتأثر أكثر بالأزمة هي قطاعات النفط والغاز والاتصالات والمواصلات والنظم المصرفية والمالية وقطاعات الكهرباء والماء.

• بعض القطاعات قد تنجح بشكل جزئي في حل المشكلة في الدول النامية، ولكن هذا النجاح قد يعطله الإخفاق في القطاع نفسه في مكان آخر؛ لأن القطاعات تعمل بشكل متكامل، والخلل في بعضها سيؤثر حتماً في البعض الآخر [جريدة الخليج، ١/ ٥/ ١٩٩٩م].

ويعطي الدكتور أحمد عباس عدس، الأستاذ المشارك في نظم الهندسة الكهربائية وهندسة الحاسبات بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، مثالاً عن الخلل الذي يمكن أن تحدثه الأزمة فيقول «نأخذ مثلاً أنظمة التحكم في الملاحة الجوية العالمية، فحالة الملاحة الجوية مهمة جداً كما ويجب استبدال الحواسيب التي كانت تحسب بناء على خانتين ويتم استبدالها بحواسب حديثة تحسب القرن والتاريخ كاملاً، نظراً لأن مشكلة الملاحة الجوية مشكلة معقدة جداً، قد تتوقف جميع الإدارات التي تعطي إحداثيات الزمان والمكان، وجميع أنظمة الملاحة

ونقاط الرصد الموجودة في أي بلد، فمسارات الطيران هي عبارة عن حواسيب مصغرة تخاطب بعضها بعضاً وفي حالة توقف هذا التخاطب، سيؤدي ذلك إلىٰ كوارث ليس لها حدود» [جريدة عكاظ، ٣٠/ ٤/ ١٩٩٩م].

وكانت أصداء الأزمة قد وصلت إلىٰ مستوىٰ القمة الاقتصادية للدول الصناعية الكبرىٰ (قمة الثمانية) التي عقدت في شهر مايو ١٩٩٨م؛ حيث أصدرت القمة تحذيراً في بيانها الختامي ينبه إلىٰ أن أزمة اقتصادية عالمية قد تقع بسبب معضلة القرن. وصدر تحذير مشابه عن المنتدىٰ الاقتصادي العالمي في دافوس والمنعقد في فبراير ١٩٩٩م.

ولا يعني سبق الولايات المتحدة في الاهتمام بعلاج المشكلة أنها لن تتجرع مرارة الأزمة، بل علىٰ العكس من ذلك؛ فإن المؤشرات القادمة من هناك تدل علىٰ فواجع اقتصادية كارثية سيتحملها الاقتصاد الأمريكي من جراء الأزمة.

فسينفقونها..

قدر المختصون في الولايات المتحدة المبالغ التي ستصرفها المؤسسات الأمريكية لجعل أنظمتها جاهزة لمواجهة مشكلة الألفية بأكثر من ٢٧٦ مليار دولار أمريكي مما جعل مشكلة ٢٠٠٠م من أعقد المشاكل وأكثرها كلفة فيما يتوقع، ومع هذا فإنها إذا لم تعالج في الوقت المحدد - أي قبل ١/ ١/ ٢٠٠٠م، فإن الخسائر ستكون أفدح في الأموال، وربما الأرواح. [جريدة الشرق الأوسط، ١١/ ٥/ ١٩٩٩م].

ومما يزيد من قلق الأمريكيين من الآثار المتوقعة لهذه المشكلة، أن الأخبار المنشورة تدل علىٰ أنه بالرغم من الاهتمام البالغ من الحكومة الأمريكية بالاستعدادات لمواجهة المشكلة، إلا أن كبريات الشركات الأمريكية تتأخر في

مواعيدها لإصلاح علة القرن؛ فقد ذكرت صحيفة نيويورك تايمز في (١٩/ ٥/ ١٩٩٩م) أن الكثير من هذه الشركات الكبرىٰ لا تكفيها المخصصات المالية المقدمة لعلاج المشكلة، حتىٰ إن نسبة ٢٢٪ منها لن تكون جاهزة عندما تدق الساعة معلنة بداية عام ٢٠٠٠م، وذكرت الصحيفة أن نحو ٧٢٪ من الشركات جابهت مشاكل فعلية في إخفاق أجهزتها لدىٰ اختبارها لمواجهة المشكلة، وفي استطلاع أُجري لأخذ آراء الخبراء فيما يتعلق بالمشكلة ذكرت الصحيفة أن ١٥٪ يرون أن المخصصات المالية لعلاج المشكلة لن تكفي، بل سوف تزداد، بينما رجح نحو ٩٢٪ أن مواعيد علاج المشكلة سوف تتأخر عن الموعد المطلوب، كما كشف مكتب المحاسبة العامة في الحكومة الأمريكية أمام إحدىٰ لجان الكونجرس أن ٢٤ وزارة ووكالة رئيسة وحيوية في الحكومة الفيدرالية لم تنته بعدُ من علاج المشكلة، وأنها متأخرة مدة عام عن الموعد النهائي المحدد لها، وانتقد مكتب المحاسبة وزارة الدفاع (البنتاجون) لتلكئها في معالجة المشكلة، مشيراً إلىٰ أنها قد تواجه مشاكل كبيرة. [جريدة الشرق الأوسط، ١١/ ٥/ ١٩٩٩م].

ولكن الجائحة الكبرىٰ المتوقعة في المجال الاقتصادي الأمريكي هي ما أشارت إليه صحيفة الخليج [٢ مايو ١٩٩٩م]، بأن الكونجرس ناقش مشروعاً بتحميل شركات الحاسب الآلي تبعة الإخفاق الذي يمكن أن يحدث في أنظمة الحواسيب؛ حيث أشارت الدراسات إلىٰ أن تكلفة المنازعات القضائية المالية من جراء مشكلة الكمبيوتر قد تصل إلىٰ تريليون دولار (ألف مليار دولار) وذكرت الصحيفة أن رئيس مجلس إدارة الاحتياطي المالي الفيدرالي في الحكومة الأمريكية (آلان جرنيسبان) طلب من الحكومة توفير مبلغ ٥٠ مليار دولار من العمولات الجديدة قبل عام ٢٠٠٠م لوضعها تحت بند الطوارئ

للتداول إذا حدث هلع عند الناس قد يتسبب في تأثير سلبي على السيولة المصرفية، ولم يستبعد أن تحدث عملية (تفريغ) للأرصدة من البنوك التي ستكون في بؤرة المشكلة الألفية!

بعد ١٩٩٩م ... (حرب بلا نصر)؟!

عندما ألّف الرئيس الأمريكي الأسبق (ريتشارد نيكسون) كتابه الموسوم بـ (١٩٩٩م . . نصر بلا حرب) كان يتكهن فيه بأن الولايات المتحدة ستحرز نصراً حاسماً على خصومها الرئيسيين دون أن تطلق رصاصة واحدة، وقد حدث ما يشبه هذا بانتهاء الحرب الباردة التي انتهت بسقوط الاتحاد السوفييتي، واليوم تعيش الولايات المتحدة والعالم وضعاً معاكساً؛ فإذا صحت كل الأنباء المتواردة عن الانعكاسات المتوقعة لأزمة ٢٠٠٠م، فإن العالم سيكون في مواجهة حرب غير معهودة؛ لأنها غير مقصودة، إنها (حرب بلا نصر) فلا منتصر فيها؛ لأن الإنسان فيها يحارب نفسه، والدول تخوض حرباً في داخلها؛ إنها حرب اللاعدو ضد اللاعدو، بين عقل الإنسان والعقل الذي اخترعه الإنسان!

أقول: لو صحت كل التقارير المتناثرة هنا وهناك، فإننا سنكون أمام أعجب حرب في تاريخ البشر؛ فقد حذرت وكالة الاستخبارات الأمريكية (سي. آي. إيه) في تقرير أوردته الصحف الأمريكية في (٢٥/ ٢/ ١٩٩٩م) من التضاعفات المحتملة لأزمة الكمبيوتر في عام ٢٠٠٠م، ولفتت الانتباه إلى أن تلك المشكلة قد تسبب اضطرابات داخل الولايات المتحدة وخارجها، وتعطل بعض المفاعلات النووية وأنظمة الأسلحة النووية الاستراتيجية وشبكات الاتصال ومحطات توليد الطاقة وعمليات شحن النفط.

وذكرت صحيفة الشرق الأوسط في (٢٧/ ٢/ ١٩٩٩م) أن اللواء (جون جوردن) نائب رئيس وكالة الاستخبارات الأمريكية نبه أمام لجنة القوات المسلحة في مجلس الشيوخ الأمريكي إلىٰ أنه من المتعذر جداً تقدير حجم الخسائر التي قد تترتب علىٰ هذه المشكلة بالنسبة للبلدان الأجنبية، خاصة روسيا التي تأخرت كثيراً في معالجة الأزمة، وحذر المسؤول الأمريكي من الخطر الذي تمثله الأجهزة التي تشرف علىٰ عمليات إطلاق الصواريخ الاستراتيجية العابرة للقارات من ناحية كفاءة معدات السيطرة إذا تدنت حرارتها، أو ظهرت أعطال في أنظمة الإنذار المبكر، مما يعني توجيه معلومات وإرشادات خاطئة، وقال اللواء (جوردن): إن العالم النامي يواجه أهم معضلات المشكلة، والبلدان النامية ستكون عرضة للعديد من الأخطار التي لا يمكن التكهن بها حالياً، وقال أيضاً: إن الولايات المتحدة نفسها لن تنجو من الخطر في عديد من القطاعات.

وقد انعقدت قمة عالمية في العاصمة الفلبينية (مانيلا) حول المشكلة في أول مارس ١٩٩٩م، وأعرب (جون كوشينين) رئيس اللجنة الرئاسية الأمريكية[1] حول مشكلة ٢٠٠٠م عن القلق من الخلل المتعدد الأوجه الذي قد يصيب أجهزة الإنذار مثل تعطل الشاشات والرادارات، وذكرت صحيفة الشرق الأوسط في (٣/ ٣/ ١٩٩٩م) أن القمة ناقشت الإجراءات التي يمكن اتخاذها لتلافي الارتباكات التي يمكن أن يقع فيها العاملون في أجهزة الدفاع في الدول المختلفة، ونسبت صحيفة الحياة في (٣ مارس ١٩٩٩م) إلىٰ أحد المتحدثين في المؤتمر قوله: «إن الصواريخ لن تنطلق دون تدخل بشري، ولكن مصدر

---

(١) هي لجنة شكلها الرئيس الأمريكي تابعة للبيت الأبيض وأطلق عليها، لجنة التحول لعام ٢٠٠٠م.

القلق الرئيس هو الخلل المتعدد الأوجه الذي قد يصيب أجهزة الإنذار، مثل تعطل شاشات الرادار، وهو الأمر الذي قد يحدث ارتباكاً وفوضى»!

ونظراً لأن المجال النووي هو أخطر المجالات التي يمكن أن تعكس آثاراً كارثية إذا تأثرت بالعلة الألفية، فإن الرابطة الدولية للنشاط النووي ركزت اهتمامها بمتابعة التفاعلات المتوقعة من جراء الأزمة تخوفاً من التأثيرات الخطرة على أنظمة الإنذار المبكر في مناطق التوتر والنزاع، وقال مسؤولون فيها: إنه حتى لو تم التوصل إلى حل فني، فإن أصغر خطأ أو إخفاق يمكن أن يتسبب في اندفاع وتزاحم قد يؤدي إلى خطأ في الحسابات في مناطق غاية في الحساسية مثل البلقان والشرق الأوسط وجنوب آسيا. [جريدة الشرق الأوسط، ٢٧/١/١٩٩٩م].

وقد اجتمع في شيكاغو أكثر من عشرة آلاف من المهتمين والزائرين والخبراء وأصحاب الشركات المصنعة للحاسوبات في أكبر مؤتمر من نوعه في العالم لمناقشة سبل تأمين الشبكات الالكترونية من بقة ٢٠٠٠م ومواجهة الأخطار التي تهدد العالم بسببها. [جريدة الخليج، ٢٣/ ٥/ ١٩٩٩م].

ولأجل هذا كله، فقد بدأت الحكومة الأمريكية ما يشبه المناورات الحية، لمحاربة حشرة ٢٠٠٠م، فقد نشرت دورية (سالت ليك تريبيون) الأمريكية في ١٥ مايو ١٩٩٩م، أن سلاح الجو الأمريكي أقام معسكراً قرب مطار ديندوفر على قطعة أرض بولاية يوتاه، وفرضت عليه حراسة مشددة بغرض استخدامه في اختبارات الطائرات وأجهزة الرادار والأسلحة تحسباً لتفاعلات علة القرن، وذكرت الصحيفة أن أفراد طاقم سلاح الجو داخل المعسكر يحرصون يومياً على القيام بتعطيل أجهزة الرادار والأقمار الصناعية والميكرويف التي يمكنها متابعة

الصواريخ الفتاكة التي يتم إسقاطها قرب المعسكر في عمليات مستمرة للتدريب على التعامل مع ظروف مختلفة تفرضها العلة الألفية، وتشارك في هذه المناورات طائرات إف ١٦ وإف ١٥.

ومن الواضح أن المخاوف الأمريكية من تأثيرات العلة الألفية تتجاوز حدودها الداخلية، بل إن مخاوفها من الأضرار الخارجية المتوقعة أكثر من المخاوف الداخلية، وقد نقلت صحيفة الشرق الأوسط (٢٣/ ٣/ ١٩٩٩)، عن بعض الصحف الأمريكية أن الولايات المتحدة تراقب بقلق ما يمكن أن يحدث في العالم بسبب أزمة الكمبيوتر عام ٢٠٠٠م، وذلك في ضوء التقارير التي ترسم صورة قاتمة للأوضاع في بعض الدول الهامة بما فيها روسيا والصين وبعض الدول المصدرة للبترول، وما سيكون لذلك من تضاعفات دولية، وتشكل روسيا مصدر قلق خاص على الأصعدة الاقتصادية والعسكرية؛ إذ تخشى واشنطن من أن تؤدي أزمة الكمبيوتر في نهاية الألفية الثانية إلى تشويش الأجهزة التي تتحكم بأنظمة الأسلحة النووية أو إلى حصول أخطاء وارتباكات في سير أجهزة التحكم والتوجيه مما يمكن أن يشكل خطورة كبيرة.

وماذا بعد..؟!

تقارير أخرى تشير إلى أن هناك مخاوف لا تقل خطورة عن الصواريخ البالستية والرؤوس النووية، وقد حذر منها خبراء أمريكيون أيضاً كما ذكرت ذلك صحيفة الخليج في (٢٨/ ٢/ ١٩٩٩م)؛ حيث نسبت لبعض خبراء البيئة قولهم: إن المخاوف من اختلال عمل أجهزة الكمبيوتر عام ٢٠٠٠م يمكن أن يعطل أنظمة مراقبة تلوث المياه والهواء، وهذا ما أوضحه على وجه الخصوص (ألفريد ليف) المتحدث باسم الوكالة الأمريكية لحماية البيئة خلال مؤتمر نظمه

مجلس البيئة في كاليفورنيا؛ حيث قال: «إن تكنولوجيا الكمبيوتر من المكونات الأساسية لحماية البيئة، والمشكلة التي تواجهها الأجهزة عام ٢٠٠٠م، قد تكون لها انعكاسات مدمرة على البيئة، مثل التسبب في حدوث تلوث عرضي في مياه الشرب أو تسرب ملوثات سامة»! وعقد مؤتمر بعنوان: (مشكلة السنة ٢٠٠٠م) في أبو ظبي في ٤/ ٥/ ١٩٩٩م شارك فيه العديد من خبراء المعلوماتية، وتوصلوا إلى أنه لا يوجد حل جذري للمشكلة، خاصة في قطاع النفط، وتوقعوا أن يؤدي عدم التوصل إلى حلول إلى حدوث اضطرابات في ذلك القطاع يترتب عليه حدوث نقص في إمدادات النفط. [جريدة الحياة، ٦/ ٥/ ١٩٩٩م].

والشعوب.. إلى أين الهروب؟!

بالرغم من أن الشعوب في بلادنا العربية والإسلامية تبدو غير مهتمة بمضاعفات حمى سنة ٢٠٠٠م وأعراضها المختلفة، إلا أنه، وعلى العكس من ذلك؛ فإن الشعوب الغربية تبدو في حالة قلق بالغ يتجاوز حد الاهتمام إلى الاغتمام؛ فحياة الإنسان الغربي في بلاد الغرب - كما هو معلوم - لا تقدر بثمن، في حين أن حياة أي إنسان آخر غير غربي ليس لها عندهم أي ثمن، ولهذا فإن الأخبار الواردة من الولايات المتحدة وبريطانيا على وجه الخصوص تعكس بوادر مبكرة من حالات الهلع والفزع والجزع مما يمكن أن تتسبب فيه حشرة ٢٠٠٠م من أذى ينال صميم حياة المواطن العادي، ونظراً لأن تقنية الإعلام والمعلومات هناك متقدمة للغاية - بخلاف البلاد النامية - فإن أثر ذلك يظهر في تفاعل الناس مع أي ظواهر جديدة، خاصة إذا كان لها تعلق بالمصالح والحياة الخاصة، وقد نشرت صحيفة «ذي اندبيندنت أون صنداي» الأسبوعية في آخر

شهر يونيو ١٩٩٩م، أن الأطباء وعلماء النفس في بريطانيا يستعدون للتعامل مع الارتفاع الحاد في حالات الأمراض النفسية المرتبطة بقدوم الألفية الثالثة، إذ تبين أن عدد المرضى الذين بدأت تظهر عليهم أعراض الكآبة والاضطراب والضغط النفسي من جراء اقتراب دخول البشرية في الألفية الثالثة قد تضاعف في الشهور الستة الماضية، وتوقع الأطباء أن ترتفع نسبة الانتحار، ويستمر ازدياد عدد المصابين بـ(توتر ما قبل الألفية) بسبب الاقتراب من يوم ٣١ ديسمبر ١٩٩٩م، وذُكر أن السبب هو الخوف من (التخبط التكنولوجي) نظراً للتغير في تواريخ أجهزة الكمبيوتر، وما قد يؤدي إليه من مشاكل في حياة الناس، وكذلك المعنى الديني الذي يرمز إليه التغيير، وذكرت الصحيفة أنه حتى بعض العلمانيين بدأت تظهر عليهم أعراض الكآبة بسبب الخوف من إمكانية الدمار التكنولوجي.

وفي نبأ لوكالة رويتر نشرته الصحف في ٦/ ٣/ ١٩٩٩م، قالت الحكومة الأمريكية إنها وضعت خططاً طارئة للأمريكيين المقيمين أو المسافرين إلى الخارج في مستهل الألفية الجديدة لمواجهة أي خلل واسع النطاق قد يحدث في أداء أجهزة الكمبيوتر، وأشارت وزارة الخارجية الأمريكية إلى أنها تتخذ منذ مدة خطوات للتجهيز للمواجهة الخارجية للمشكلة لحماية المواطنين الأمريكيين في الخارج، منها أنها طلبت من جميع السفارات الأمريكية تخزين إمدادات تكفي لمدة ٣٠ يوماً تحسباً لأي عزلة قد تتعرض لها، وأضاف مسؤول الخارجية: «إن الذعر من مشكلة الألفية الثالثة قد يدفع المستثمرين لسحب الأموال، فتنعدم الثقة في البنية الأساسية لبعض البلاد مما قد يدفع الشركات العالمية لإغلاق عملياتها» وتابع: «كل هذا قد يسبب انهياراً لأي اقتصاد هش، أو لأي حكومة تعاني صراعاً داخلياً».

وفي خبر آخر أوردته صحيفة الحياة في (٦/ ٣/ ١٩٩٩م) أن لجنة من مجلس الشيوخ الأمريكي تختص بالتعامل مع مشكلة الألفية الثالثة، نصحت وزارة الخارجية الأمريكية أن توجه تحذيراً للأمريكيين من السفر للخارج إذا تدهورت الأحوال في دول معينة، أما إذا ظهرت مشاكل أكثرة حدة، فإن وزارة الخارجية يجب أن تحث الأمريكيين على العودة لبلادهم»!

وقد ظهرت من الآن آثار التجاوب مع تلك النذر؛ فقد نشرت الصحف أن توقع حدوث مشاكل وحالات من الفوضى في الولايات المتحدة بسبب مشكلة القرن، دفع قيادات الحرس الوطني الأمريكي في العديد من الولايات إلى بدء تدريبات خاصة لمجابهة الطوارئ التي يمكن أن تنجم عن انهيار بعض النظم الكمبيوترية في مطلع العام ٢٠٠٠م، وذكرت صحيفة الشرق الأوسط تحت عنوان: (الولايات المتحدة لن تفلت من أزمة عام ٢٠٠٠م) أن جموعاً من الأمريكيين بدؤوا يخزنون الأغذية والمعلبات والأدوية والمواد الحيوية تحسباً لأي طارئ، كما أن هناك من أخذوا يسحبون أموالهم من البنوك خشية أن تتوقف أجهزتها عن العمل في مطلع العام المقبل.

ومثل تلك الأخبار القليلة المنشورة عن التحسبات الوجلة من مقدم الألفية، تُشعر بأن هناك نوعاً مَّا من التكتم أو على الأقل اللامبالاة أو التعمية على تفاصيل الأزمة المنتظرة وخلفياتها ـ على الأقل في وسائل الإعلام العربية ـ وإلا، فكيف يمكن لأزمة بهذا الحجم العالمي ـ ولو كانت توقعات ـ ألاَّ تأخذ حيزاً بارزاً في اهتمامات الإعلام المسموع والمشاهد والمقروء؟! خصوصاً أن كل التوقعات تشير إلى أن البلاد النامية سوف تكون في مقدمة الدول المتضررة من علة القرن!

إن الاهتمام فقط ينصبُّ ـ بشكل جزئي ـ على حسابات البنوك وميزانيات الشركات ونحو ذلك مما ينشر في الزوايا الاقتصادية، وهو ما أوجد اهتماماً هامشياً بالمشكلة، أو لم يوجِد اهتماماً على الإطلاق! وبعض الناس يظن أنها مجرد مشكلة فنية تقنية تهم شركات الكمبيوتر فحسب، ونظراً لأن تقنية الحاسب الآلي لا تزال حديثة في بلادنا العربية والإسلامية، فإن الشريحة المهتمة بها لا تزال محدودة.

الفيروسات.. نماذج مصغرة:

ولكن ما حدث في السنوات والشهور القليلة الماضية حول ظاهرة (الفيروسات) بدأت تعطي انطباعاً بأن الكمبيوتر يمكن أن يكون ميداناً لحرب أشبه بحروب الأشباح، مع فارق أن خسائرها حقيقية.

وبرغم الاختلاف في طبيعة مشكلة الفيروسات عن مشكلة العام ٢٠٠٠م، إلا أن مشكلة الفيروسات هذه تعطي مؤشراً عن الأخطار المضاعفة لسوء استغلال تقنية الحاسب الآلي.

وقد عرف أول فيروس يصيب أجهزة الجاسب الآلي قبل عام ١٩٥٩م وكان يسمى (فيروس شجرة الميلاد) ومن الفيروسات التي يعدها الخبراء الأخطر في نوعها فيروس باسم رسام الكنائس (مايكل أنجلو)، وقد بدأ تفعيله ليضرب في ذكرى ميلاده، وهناك فيروس يسمى (القرن) أطلق قبل سنوات، وقد حفز على العمل بتاريخ ١/١/ ٢٠٠٠م ليكتب عبارة (مرحباً بالقرن الحادي والعشرين) ثم يبدأ في إتلاف جداول الملفات وليكتب أصفاراً على جميع قطاعات القرص الصلب، هذا إضافة إلى الفيروسات التي تنتشر عبر البريد الإلكتروني.

أما فيروس CIH المعروف بـ (تشرنوبيل) فقد ظهر لأول مرة في شهر يونيو ١٩٩٨م في جنوب شرق آسيا، ليبدأ نشاطه في ٢٦ من الشهر نفسه، ثم تم إصدار نماذج أخرىٰ منه لتعمل في أوقات مختلفة بعضها في ٢٦ من كل شهر ميلادي، وبعضها ينشط في ٢٦ من إبريل من كل عام.

والفيروس كان قد تم تفعيله في الذكرىٰ الثالثة عشرة لكارثة المحطة النووية الأوكرانية في الاتحاد السوفيتي السابق في ٢٦ من إبريل عام ١٩٨٦م، وهو يصيب البرامج بسرعة ويؤدي إلىٰ محو مضمون القرص الصلب والقرص المدمج في الكمبيوتر، وقد سجل فيروس تشرنوبيل في شهر إبريل من عام ١٩٩٩م خسائر فادحة في أجهزة الكمبيوتر المستعملة في الدوائر الحكومية والقطاعات الحيوية والأجهزة الشخصية علىٰ مستوىٰ العالم؛ فقد بلغ عدد الأجهزة المصابة في كل من أوروبا وروسيا ٣٠٠ ألف جهاز، فيما تجاوز العدد المليون من الأجهزة في الولايات المتحدة الأمريكية، وتأثرت قطاعات عديد من دول العالم الثالث، وأول الدول التي أُعلن عن الأضرار الجسيمة فيها (بنجلاديش) وتأثرت قطاعات متعددة في العالم العربي ودول الخليج بالفيروس المفترس، ولكن الأحجام الحقيقية للأضرار لم تعلن لأنه لا توجد إحصاءات دقيقة متعلقة بها، إضافة إلىٰ أن هناك جهات كثيرة متضررة ـ خاصة في المجال التجاري والاستثماري ـ امتنعت عن الإعلان عن الأضرار التي لحقت بها خشية أن تصاب بأضرار أشد من جراء تأثر سمعتها تجارياً ومالياً بالحديث في مثل تلك الأمور.

لقد أصبحت الفيروسات (الألكترونية) أشبه ما تكون الآن بالفيروسات (البيولوجية) ولسوء الحظ فإن حرب الفيروسات ـ التي بدأت الآن ـ لا تقل في آثارها التدميرية عن الحروب البيولوجية التي لم تنتشر بعد علىٰ نطاق واسع،

وإذا كانت حرب الفيروسات البيولوجية ـ كما هو معروف ـ يمكن أن يشنها فرد أو مجموعة أفراد ضد دولة بأكملها، فإن حرب الفيروسات الإلكترونية يمكن أيضاً أن يشنها فرد أو مجموعة قليلة من الأفراد في مواجهة العديد من الدول، وهذا ما حدث للآن فيما يتعلق بفيروس تشرنوبيل الذي يقال إن وراءه شخصاً واحداً في مكان واحد من العالم(١).

ولكن قد يقال:

ما علاقة مجمل ما ذكر في هذه الفصل، بمجمل ما ذكر في الفصول السابقة عن الخلفيات الدينية العقدية للأعراض المختلفة لحمى سنة ٢٠٠٠م؟!

والجواب: ليست هناك علاقة مباشرة من الناحية الدينية الاعتقادية؛ فعارض مشكلة الكمبيوتر لعام ٢٠٠٠م لا يربطها بعقائد اليهود والنصارى رابط معين؛ لأنها ظاهرة معلوماتية وليست عقدية، ومع ذلك فالمتوقع أن يتخذ العقائديون منها ذريعة لزرع المزيد من نباتات الأساطير الدينية التي تنتج في الغرب الآن أشجاراً من الخرافة يمكن أن تناطح السحاب طولاً، ولكنها في ضوء الحق والحقيقة ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦].

نعم! فالعقائديون الأصوليون، وخاصة طوائف البروتستانت المتعصبين يتبنون في أدبياتهم المعلنة مقولات تدل على إيمانهم بأن المسيح المنتظر لن يأتي إلا بعد فترة من الأزمات المتواصلة، والكوارث المتتابعة والانهيار الاقتصادي، إضافة إلى الحروب التقليدية والنووية، ولما كانوا يتصايحون الآن في كل المنتديات بأننا نعيش الأيام الأخيرة قبل قدوم المسيح؛ فما الذي يمنعهم

(١) أشيع أنه من تايوان، وأنه ألقي القبض عليه، ولكن أستبعد أن يلقى القبض على شخص بهذه الخطورة دون أن تنشر صورته أو اسمه أو تعلن أي تفاصيل عن القبض عليه.

من أن يصبغوا تلك الاضطرابات المتوقعة بصبغة دينية، لا على أنها يمكن أن تكون عقوبات إلهية لردع التمرد البشري، ولكن على أنها (آلام المخاض) الذي يسبق ميلاد العصر الجديد، عصر الخلاص؟!

تقول الكاتبة الأمريكية (جريس هالسيل): «إن رجالاً من أمثال جيري فالويل، وهول ليندسي وبات روبتسون وغيرهم من قادة اليمين المسيحي، يعتقدون أن الكتاب المقدس يتنبأ بالعودة الحتمية للمسيح بعد مرحلة من الحروب النووية والكوارث الطبيعية والانهيار الاقتصادي والفوضى الاجتماعية، إنهم يعتقدون أن هذه الأحداث يجب أن تقع قبل العودة الثانية، كما يعتقدون أنها مسجلة بوضوح في الكتاب المقدس»[(١)].

والنص الذي يستمدون منه هذا المعتقد هو ما جاء في إنجيل متى (٢٤/ ٩) على لسان عيسى ـ عليه السلام ـ أنه سئل عن العلامات التي ستسبق قرب مجيئه فقال: «إذا سمعتم بحروب وأخبار حروب فلا تقلقوا، فإنه لا بد أن يكون هذا، ولكن لا يكون المنتهى إذ ذاك، ستقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن شتى، وهذا أول المخاض ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع».

وإذا كانت هذه الأشياء من الأمور التي كانت تحدث تكراراً على مر التاريخ، إلا أن أصحاب ذلك المعتقد يرون في تحولها إلى ظاهرة عالمية، هو المقصود بتلك النصوص.

وما دمنا نتحدث عن (الحُمى) وأعراضها، وما دامت الحُمى تؤدي أحياناً إذا اشتدت إلى المخاوف والأوهام، فإن هناك من أعطى تعليلاً آخر لظاهرة

---

(١) النبوءة والسياسة (المقدمة).

الاهتمام الاستثنائي في الغرب بالعلة الألفية، فثمة من يقول بأن هناك شكوكاً قوية بأن موضوع (مشكلة عام ٢٠٠٠م) مبالغ فيه بدافع الخوف، فهم يرجعون سر هذه المبالغة إلى جزع الإنجلو سكسون الأمريكيين المنحدرين من أصول بريطانية من أن ينهي القرن الـ ٢١ المقبل سيطرتهم التي مارسوها على العالم طوال القرن العشرين، ويشمل الجزع بقية الأوروبيين، فحتى السيطرة على حساب الزمن يتخوفون من خروجها من أيديهم، فالعالم الذي كان يضبط الوقت على ساعة (جرينتش) البريطانية حتى عام ١٩٧٢م أصبح يضبطه منذ ذلك التاريخ على الساعة الذرية الموجودة في باريس، وهي تضبط الوقت على دوران الإلكترون حول نفسه داخل الذرة، وتقاس السنوات بعدد دورات الإلكترون في السنة، وتصل دقته إلى حد الجزء من البليون من الثانية، والمشكلة هنا أن هذه الساعة الذرية تعمل بالكمبيوتر، ويعتقد أن (بقة ٢٠٠٠) ستعطل هذا التوقيت! إذن فحتى المبالغة التي يمكن أن يلحظها البعض في الحديث عن مخاطر مشكلة الكمبيوتر تكمن وراءها أعراض حُمِّية ألفية.

وتعللاً بالحديث عن المبالغة؛ يُعرض الكثيرون عن مجرد الاهتمام بمتابعة المشكلة حتى في حجمها الطبيعي، غير أن المختصين بالشأن، ينفون أن تكون هناك مبالغة كتلك المنسوبة إلى انتهازية شركات الكمبيوتر للاستفادة من الأزمة مادياً، يقول الدكتور إبراهيم بن عبد المحسن البديوي مدير مركز الحاسب الآلي بجامعة الملك عبد العزيز بجدة: «لا ننصاع للمقولة التي تقول إنها محاولة تسويقية للشركات المصنعة، بل إن الشركات المصنعة هي تعاني من ذلك أيضاً» ويقول الدكتور أحمد عباس عدس: «هناك شائعات أن المشكلة من صنع الشركات المنتجة، لتسويق أجهزتها بحجة علة القرن، وأن المشكلة لا وجود لها... وهذا كلام هراء فهي مشكلة هندسية بحتة، وبدأت على أساس تعرفة

التاريخ برقمين فقط، وقد تسأل لماذا لم تعرف بأربعة أرقام فأقول: إن المسألة في بدايتها كانت عملية توفير للذاكرة في بناء وتصميم الحاسبات القديمة، وهذا الفكر تغير اليوم للتطور الذي حدث في عمارة الحاسبات الحديثة» [عكاظ، ٣٠/٤/١٩٩٩م].

الفوضى المنظمة!

إن البشرية - حسب معتقد الألفيين - يجب أن يموج بعضها في بعض في الأيام الأخيرة، ولا بد أن تعم أنواع من الفوضى قبل قدوم المسيح. وفي الغرب الآن حركة (تبشير) واسعة النطاق بهذه الفوضى الألفية المتوقعة وذلك على مواقع الإنترنت وصفحات الجرائد والمجلات والبرامج المشاهدة والمسموعة، وهناك من يرصدها كحدث جدير بالرصد، بغض النظر عن خلفياته الدينية، ويعدها نتيجة تراكمات من الإشكاليات المتنوعة على امتداد القرن، احتقنت وتورمت، وتريد التنفيس عن نفسها قبل أن يبدأ القرن الجديد.

يقول (زبغينو بريجنسكي)[1] في كتابه: (الفوضى... الاضطراب العالمي عند مشارف القرن الحادي والعشرين)[2]: «لن يكون الخطر القادم عشية القرن الحادي والعشرين ناجماً عن تطور الوعي السياسي على الصعيد العالمي، بل من حقيقة أن الجماهير الناشطة سياسياً خارج المجتمعات الديمقراطية، لم تزل تعيش مرحلة أولية من الوعي المتميز بهوية ذاتية ضيقة قائمة على درجة عالية من المبالغة العرقية، هذا القول يعني أن المزاج العام سيظهر في الغالب من خلال أفكار بدائية تستجيب للنداءات العصبية السياسية منها والدينية»!

---

(١) شغل بريجنسكي منصب مستشار مجلس الأمن القومي الأمريكي أثناء رئاسة الرئيس الأسبق جيمي كارتر.

(٢) الفوضى: تأليف زبغينو بريجنسكي، ترجمة مالك فاضل، ط ١٩٩٨م، ص ٥٣.

والفوضى التي يتحدث عنها بريجنسكي ليست وقفاً على المجتمعات (غير الديمقراطية) كما يقول؛ بل لا يستبعد أن تنبعث أساساً من المجتمعات الديمقراطية جداً، فبقدر ما يوزع الغربيون توقعاتهم السوداوية على أنحاء الكرة الأرضية مع مقدم الألفية الثالثة، على قدر ما يخفقون في إخفاء المخاوف من نشوء الاضطرابات والفوضى الداخلية في مجتمعاتهم؛ ففي جلسة استماع في الكونجرس الأمريكي في ٤/ ٢/ ١٩٩٩م، حذر (لويس فريه) المدير العام لمكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي من أن المتطرفين الإنجيليين وأعضاء الجماعات الدينية والرؤيوية[1] قد يتحولون إلى العنف مع حلول القرن الحادي والعشرين، وبعد أن حذر من تنامي الخطر الإسلامي على الولايات المتحدة من الخارج قال: «يجب ألا نتجاهل التهديد من المتطرفين الإنجيليين داخل أمريكا، خصوصاً مع مقدم الألفية الثالثة» وتابع يقول: «إن احتمال حدوث أعمال عنف من جماعات محلية وارد؛ فمع قدوم عام ٢٠٠٠م، قد تجنح هذه الجماعات إلى العنف بهدف افتعال أحداث مثيرة تستغلها لتحقيق النبوءات التي تؤمن بها».

وقد تكون علة القرن تعليلاً لبعض التشنجات التي يمكن أن يعايشها الألفيون استغلالاً للفوضى المتوقعة أو إنتاجاً للمزيد منها؛ فقد حذر بعض المهتمين بعلة الألفية (الخليج، ٢٣/ ٥/ ١٩٩٩م) من أن بعض المغامرين يمكن أن يستغلوا بتعمد وسبق إصرار الارتباك المتوقع حدوثه ابتداء من ١/ ١/ ٢٠٠٠م بغية الوصول إلى مواقع الأسرار ذات الشأن في مراكز الأبحاث والمؤسسات العسكرية لبعض الدول، أو بغرض التحايل على البنوك أو محاولة الاستيلاء على أموال الشركات، وقد أذيع بالفعل منذ مدة خبر اختراق أحد المراهقين لمراكز المعلومات داخل وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون)!

(١) أي التي تعتمد على ما تعتقد أنه رؤى الأنبياء والملهمين.

وفي أحد مواقع الإنترنت[1]، ذكر معدو الموقع تحت عنوان: (الإرهاب وأزمة الكمبيوتر ٢٠٠٠) أن خطر الإرهاب داخل الولايات المتحدة هو خطر حقيقي، وإن الخلل الناتج عن مشكلة مشكلة عام ٢٠٠٠ سوف يعطي الفرصة للعديد من القوى التي تسعى وراء ذلك للقيام بأعمال تخريبية، ونسب الموقع إلى السيناتور (أورين هاتس) قوله: «إن هجوم الإرهابيين على الولايات المتحدة هو أمر حتمي»!

أم النبوءات:

ما هي هذه النبوءات التي من أجلها يستسيغ هؤلاء أخبار شقاء العالم بل قد يتلذذون بها؟ إنها بعض ما أشرت إليه في الحلقات السابقة؛ ولكن فوق كل هذه النبوءات النبوءة الكبرى عن عودة المسيح، تلك النبوءة التي عاش النصارى ألفي عام مشتاقين إليها، وظلوا خلال ذلك يتلون نصوصاً من الإنجيل تُرسِّخ في قلوبهم انتظارها وانتظار أيامها بحلوها ومرها. يقول القس (روبر كليمان) في كتابه: (إيماننا الحي)، ص ٥٢٧: «عند مجيء المسيح تتزعزع الخليقة كلها، وَسَيَدُلُّ مجيئه على انتهاء الزمن القديم، وتظهر بداية الزمن الجديد؛ حيث يشمل الخليقة كلها ببركته، ولذلك سُمي هذا اليوم الأخير: يوم المسيح، أي يوم مجيء الرب وحضوره»!

فللنصارى مسيح ينتظرونه قريباً... كما أن لليهود مسيحهم المنتظر منذ أمد بعيد، وكل من هؤلاء وأولئك يهيئون العالم الآن - في زعمهم - لمخرج المسيح الذي يؤمنون به، فمن هو هذا المسيح المنتظر عند الأمتين الضالتين؟ وما هي (أمُّ النبوءات) المتعلقة بمجيئه عند كل منهما؟

وهل سيأتيان ويجيئان؟ وهل نحن نعيش بالفعل مقدمات ذلك الخروج؟!

(١) Http: //www.antipas. org/news/world/terrorism y2k.html.

الفصل التاسع

لهذا يهيئون العالم!!

لهذا يهيئون العالم!!

«إنني مؤمن من كل قلبي أن الله يرعىٰ أناساً مثلي ومثلكم لإعداد العالم لعودة ملك الملوك وسيد الأسياد».

بهذه العبارة؛ اختصر الرئيس الأمريكي الأسبق (رونالد ريجان) الإطار العقدي الذي يحكم تفكير كثير من قادة السياسة والفكر والدين في الغرب[(١)]، وسواء كان هؤلاء الزعماء من اليهود أم من النصارىٰ؛ فإن القاسم المشترك بين اهتماماتهم هو (التهيئة)؛ نعم التهيئة والإعداد لقدوم المنتظر الموعود!

ولو كانت هذه العبارة ـ التي قالها ريجان ـ قد صدرت من واعظ في كنيسة أو حاخام في كنيس، لقلنا إنها من العبارات التي تصوغها العواطف في لحظات الانفعال الروحي، أو الافتعال الحماسي، ولكن العبارة صدرت من شخص كان هو الرجل الأول في العالم منذ عقد واحد من الزمن.

إن العالم يعيش منذ قرن كامل في ظل سيطرة تلك القوىٰ التي تؤمن ـ كما يؤمن ريجان ـ بأنها تعد العالم لمقدم المسيح.

أما نحن، فإننا نؤمن بأن تلك القوىٰ المتسلطة، تسخرها المشيئة الإلهية، وتسوقها إلىٰ أقدار لن يخرجوا فيها قيد أنملة عما أراده العلي القدير.

وإذا كان أمثال ريجان يعدُّون العالم ـ كما يقولون ـ لاستقبال المسيح الذي

---

(١) قال ريجان هذه العبارة في لقاء خاص دعا إليه كلاً من جيمي بيكر والقس جيمي سواجارت وجيري فالويل والقس مايك إيفنز، اليهودي المتنصر، والصديق الحميم لجورج بوش، والذي كان لا يبتعد عنه في أشد لحظات التحدي(!) وكان هذا اللقاء بالبيت الأبيض عام ١٩٨٥م، انظر: النبوءة والسياسة، ص ١٩٤.

تؤمن به النصارى، فإن القوى التي أوصلت ريجان وأشباهه إلى الحكم، تعمل هي الأخرى لإعداد العالم لمقدم مسيح آخر، فلليهود أيضاً مسيحهم المنتظر الذي يجتهدون في هذا العصر لتجهيز الدنيا لاستقباله.

الألفية وعقيدة الإعداد:

وإيمان أهل الديانتين بأن هناك منتظراً وشيك القدوم، وأنه لا بد من التهيئة لقدومه يرجع إلى عقيدة مشتركة بينهم تعرف بـ (العقيدة الألفية) وهي ترجمة لكلمة (Millenarianist) ومعناها: محتوى الألف، وهي في الأصل عقيدة يهودية يؤمن أصحابها بأنه على رأس كل ألف، لا بد أن يشهد العالم أحداثاً كبرى، وستظل تتابع حتى يجيء الألف الأخير الذي يأتي بصحبته (الملك الألفي) الذي يحكم العالم كله بعد فترة من الاضطرابات والحروب والفتن، فالمسيح سيعود ـ حسب معتقد اليهود ـ قبل يوم السبت، أي قبل اليوم السابع الذي يعني الألف السابعة من عمر الدنيا، وهذا يعني ـ كما يقول (إيمانويل هيمان) «أننا دخلنا مرحلة الاضطرابات السابقة على عودة المسيح»[١].

وقد انتقلت تلك العقيدة إلى النصارى بحكم إيمانهم بالتوراة التي جاء الإنجيل ليكملها فقط، ومما يدل على عمق إيمان النصارى بالعقيدة الألفية، أنهم قد أصابتهم الحمى الألفية على رأس الألف الأول، وظهر أثر ذلك في الحملات الصليبية الشرسة التي اندفعوا بها نحو الشرق للاستيلاء على القدس عاصمة المبعوث الألفي[٢]، ولما لم يظهر ولم يعد، استأنفوا الانتظار للألف التي تليها.

---

(١) كتاب (الأصولية اليهودية)، تأليف إيمانويل هيمان، ص ٩١.

(٢) هذا على رأي بعض المؤرخين.

ملك اليهود المنتظر:

قد يظن ظان أن الكلام عن العقائد الألفية والدورات السبعة للدنيا يقتصر على اهتمامات الشريحة الموغلة في التدين فقط من اليهود، وهذا الظن غير صحيح، بل الصحيح أن معظم ساسة اليهود يعتبرون دولة إسرائيل، حجر الأساس في مملكة الألف الأخير، هذا على المستوى الرسمي والدولي، ويدل على ذلك أبلغ دلالة أن الشعار الرسمي لدولة اليهود منذ قامت هو (الشمعدان) المسمى بالعبرية (المينوراة) ذي الفروع السبعة الدالة على أيام الخليقة السبعة، التي يتوسطها الفرع السابع المنفرد الذي يرمز لـ (إسرائيل) في ألفيتها السابعة! أي إن دولة (إسرائيل) بمعنى آخر هي الدولة التي ستمتد لتتحول إلى المملكة التي ستحكم العالم من القدس ـ كما يحلمون ـ تحت قيادة ملك السلام المنحدر من نسل داود.

وقد استمد اليهود معتقدهم في مجيء ملكهم المنتظر من النص التالي من التوراة التي في أيديهم: «ابتهجي جداً يا ابنة صهيون، اهتفي يا أورشليم، هو ذا ملكك يأتي إليك، وهو عادل ومنصور، وديع وراكب حمار، وعلى جحش من أتان»![1].

ويطلقون على هذا الملك (الماشيِّح) وهو اسم عبري مشتق من (مشح) أي مُسح بالزيت المقدس، وهم يعتقدون، بمتقضى التوراة أيضاً ـ أن ذلك الملك سوف يجمع بقية اليهود المشتتين من أنحاء العالم، بعد أن يهتف له اليهود الذين عادوا بالفعل إلى القدس، ففي سفر أشعيا (١١/ ١ ـ ٢) جاء هذا النص: «ومن ذلك اليوم، يعود السيد فيمد يده، ليحوز بقية شعبه من بقى منهم من آشور

(١) سفر زكريا، ٩/١.

ومصر وفتروس، وكوش وعيلام وشنعار وحماة وجزائر البحر، وينصب راية للأمم ويجمع المنفيين من إسرائيل، ويضم المشتتين من يهوذا من أطراف الأرض».

ولهذا لما عادت ملايين من اليهود إلىٰ الأرض المقدسة في نصف القرن الأخير، وبقيت ملايين أخرىٰ خارجها[1]، أيقن اليهود أن زمان المسيح قد اقترب لجمع بقاياهم في بيت المقدس، يقول (إيمانويل هيمان): «أغلب أساتذة الأرثوذكس اليوم يقولون إنه حيث أن مرحلة العودة المنتظرة للمسيح قد بدأت، فإننا نمر الآن بمرحلة انتقالية يفسرها عودة جزء من الشعب اليهودي إلىٰ الأرض»[2].

وهذا الترقب الحالم، يعمل عمله في نفوس اليهود كلما تفاعل حدث أو جدَّ جديد يشعرهم بقرب المجيء، ويذكر مؤلف كتاب (الأصولية اليهودية) أنه قابل أحد الحاخامات اليهود وتحادثا عن شأن المسيح المنتظر فقال له الحاخام: «نحن بالتأكيد علىٰ مشارف عهد مجيء المسيح المنتظر، والتوراة تؤكد ذلك، ففي الإصحاح الثلاثين من سفر التثنية نجد هذا النص: «فإن رددت في قلبك بين جميع الأمم الذين طردك الرب إلهك إليهم ورجعت إلىٰ الرب إلهك وسمعت لصوته حسب كل ما أنا أوصيك به اليوم أنت وبنوك، يردُّ الرب إلهك سبيَك ويرحمك ويعود فيجمعك من جميع الشعوب الذين بددك إليهم الرب إلهك».

ثم عقب المؤلف قائلاً: «هذه العبارة المحورية في التوراة، تتحدث عن نهاية الزمن، وأنه ستحدث توبة كاملة من كل القلب وكل النفس ويومها سيدفع الأبناء آباءهم إلىٰ التوبة»[3]!

---

(١) اليهود داخل فلسطين، ٤ ملايين وخارجها بين ١٠ إلىٰ ١٢ مليون.
(٢) الأصولية اليهودية، ص ٩١.
(٣) الأصولية اليهودية، ص ١١١.

ولكن أي توبة؟! إنها التوبة إلى (يهوه)[١] الإله الذي اخترع اليهود له ما يشاؤون من أسماء وصفات بشرية وعنصرية! وإنها الأوبة إلى (التوراة) التي حشروا فيها ما يشبع جشعهم ونهمهم وحقدهم مما نسبوه إلى شرع الله!

إن توبة اليهود المنتظرة ـ كلما اقترب موعد المنتظر ـ هي مزيد من العداوة.. مزيد من المرارة.. مزيد من الهياج المتآمر لتخريب الدنيا، ليجيء مخلصهم فيخلصها لهم كما يحلمون!

يقول الحاخام (موشى كوفمان) «إن دولة (إسرائيل) ليست هي التي ستعلن نهاية العالم، وإنما عودة قطاع عريض من الشباب اليهودي إلى الدين هي التي ستؤدي إلى ذلك»[٢]!

إن تلك الأجيال التي بدأت تأخذ مكانها ـ بل تفرض نفسها ـ في المجتمع اليهودي، هي كتائب من حملة التوراة ودارسي التلمود الذي يتقربون اليوم إلى الله بتقريب يوم مجيء المسيح، وكيف لا يفعلون ذلك والتلمود الذي يتعبدون به يقول: «يجب على كل يهودي أن يسعى لأن تظل السلطة في الأرض المقدسة لليهود دون سواهم، وقبل أن يحكم اليهود نهائياً باقي الأمم، يجب ـ لا حظ ـ أن تقوم الحرب على قدم وساق ويهلك ثلثا العالم، وسيأتي المسيح الحقيقي ويحقق النصر القريب»[٣]! ويستحث التلمود أتباعه على العمل لإخراج المسيح: (اطلبوا المسيح بإخلاص وهو سيستجيب ويجيء»[٤].

---

(١) يهوه، هو أعظم أسماء الإله عند اليهود، ومعناه: رب الجنود، أو منزل الصواعق وقد ذُكر في التوراة أكثر من ستة آلاف مرة، وبلغ من قداسته أنه لا يجوز لأحد من اليهود أن يتفوه به، إلا الحاخام الأكبر داخل قدس الأقداس!

(٢) الأصولية اليهودية، ص ١١٢.

(٣) التلمود، تاريخه وتعاليمه، ص٥٠.

(٤) نقلاً عن الخلفية التوراتية، ص ٨٩.

ولما كان مجيء المسيح اليهودي تجديداً للعالم، فلا بد وأن يسبق مجيئه انتشار الفوضىٰ والاضطرابات، وبعد مجيئه وانقضاء فترة (المخاض) فإن العالم الجديد لن يكون كالعالم الحالي في اعتقادهم، فالسلام سيعم الدنيا، والبكاء والأنين سيختفيان منها، ولن يكون بعد ذلك شكوىٰ أو إزعاج أو حزن، فتُبارك (إسرائيل) بمجيء المسيح اليهودي وينتهي عنها الضغط، وتتبوأ مركزها العالمي الذي أعده لها الرب، ويتبدل مصير (إسرائيل) لدرجة أن كثيراً من الغرباء سيحاولون الانضمام للطائفة اليهودية، ولكن سيتوجب رفضهم لأن رغبتهم ينقصها الإخلاص: وكما يعتقدون؛ فإن لا مهتدي يقبل في أيام المسيح، يقول التلمود «سيأتي المسيح الحقيقي، ويحصل النصر المنتظر، ويقبل المسيح وقتئذ هدايا كل الشعوب، ويرفض هدايا المسيحيين[١] وتكون الأمة اليهودية إذ ذاك في غاية الثروة لأنها تكون قد حصلت علىٰ جميع أموال العالم»[٢] والتلمود الذي يعدُّ شريعة شفوية عند اليهود في مقابل الشريعة المكتوبة التي تمثلها التوراة، يعج بالخرافات والأساطير التي تدور حول محور واحد هو (المسيح المنتظر)، يقول الدكتور جوزيف باركلي بعد دراسته لكتاب التلمود «إن قضية المسيح هي أهم قضايا اليهود فيه»[٣] ومع ذلك فإن تلك الخرافات والأساطير، هي الدين الذي يدين به اليهود ويتفانون في خدمته.

---

(١) اليهود كانوا - ولا يزالون - لا يبادلون النصارىٰ مشاعر الود، بل هم يحاولون الاستفادة منهم وابتزازهم فقط.

(٢) انظر: (فضح التلمود) زهدي الفاتح و (التلمود - تاريخه وتعاليمه) لظفر الدين خان، ص ٥٨، دار النفائس.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٩.

خذ مثالاً على تلك الخرافات الروحية المادية معاً، يقول التلمود: (حين يأتي المسيح تطرح الأرض فطيراً وملابس من الصوف وقمحاً حبه بقدر كلاوي الثيران الكبيرة) . . . (أرض إسرائيل ستنبت الخبز والأقمشة من أجود أنواع الصوف، وستنبت القمح في لبنان عالياً مثل أشجار النخيل وسيهب هواء يجعله دقيقاً فاخراً)[1]!

وقد يتصور البعض أن هذا المعتقد الخرافي عن المسيح قد نُسي وطمرته القرون منذ أن وُضع التلمود منذ آلاف السنين، ولكن مصادر اليهود المعاصرة تدل على أن ذلك المعتقد لا يزال حياً، ويأتي على رأس تلك المصادر (بروتوكولات حكماء صهيون).

فقد تحدثت أيضاً عن المنتظر الموعود ولكن على طريقتها التخطيطية التدبيرية المبرمجة، جاء فيها (إن حكومتنا ستحيل مظهر الثقة الأبوية في شخص ملكنا وستعتده أمتنا ورعايانا فوق الأب الذي يُعني بسد كل حاجاتهم ويرعى أعمالهم ويرتب جميع معاملات رعاياه بعضهم مع بعض، وبهذا سينفذ الإحساس بتوقير الملك بعمق بالغ في الأمة، حتى لن تستطيع أن تقدم غير عنايته وتوجيهه، إنهم لا يستطيعون أن يعيشوا في سلام إلا به، وسيعرفون في النهاية أنه حاكمهم الأوتوقراطي المطلق)[2]، (ويوم يضع ملك إسرائيل على رأسه المقدس التاج الذي أهدته له كل أوروبا سيصير البطريرك لكل العالم)[3]، (إن ملك إسرائيل سيصير البابا الحقيقي للعالم، بطريرك الكنيس الدولي)، (إن ملكنا سيكون مختاراً من عند الله، ومعيناً من أعلى كي يدمر كل الأفكار التي

(١) التلمود وتعاليمه، ص ٦٠.

(٢) البروتوكول الخامس عشر، ص ١٦٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٦٣.

تغرى بها الغريزة لا العقل، إن هذه الأفكار قد دمرت كل النظم الاجتماعية مؤدية بذلك إلى حكم ملك إسرائيل، ولكن عملها سيكون قد انتهى حين يبدأ حكم ملكنا، وحينئذ يجب علينا أن نكنسها بعيداً حتى لا يبقى أي قذر في طريق ملكنا، وحينئذ سنكون قادرين على أن نصرخ في الأمم: صلوا لله واركعوا أمام ذلك الملك الذي يحمل آية التقدير الأزلي للعالم، والذي يقود الله ذاته نجمه، فلن يكون أحد آخر إلاهو نفسه قادراً على أن يجعل الإنسانية حرة من كل خطيئة)[١]، (وفي البروتوكول الرابع والعشرين وهوالأخير من البروتوكولات المترجمة، يقول المتحدث فيه: «والآن سأعالج الأسلوب الذي تفدى به دولة الملك داود حتى تستمر إلى اليوم الآخر» ثم تختم البروتوكولات حديثها بهذه العبارة.

(إن قطب العالم في شخص الحاكم العالمي الخارج من بذرة إسرائيل ليطرح كل الأهواء الشخصية من أجل مصلحة شعبه، إن ملكنا يجب أن يكون مثال الجبروت). توقيع ممثلي صهيون من الدرجة الثالثة والثلاثين[٢].

عقيدة المسيح في فكر المؤسسين:

إذ كان البعض يشكك في مصداقية نسبة نصوص البروتوكولات المذكورة إلى أساطين اليهود فإن التاريخ المدون للحركة الصهيونية المعاصرة، يثبت بما لايدع مجالاً للشك أن فكرة العمل للتعجيل بخروج المسيح اليهودي، كانت ملازمة لأكثر رموز الصهيونية الحديثة.

ففي عام ١٧٧٣م عندما بدأ أثرياء اليهود في عقد اجتماعاتهم لبحث المسألة اليهودية، كان ممن حضرها الثري اليهودي الشهير (مايير روتشيلد) وفي

---

(١) البروتوكول الثالث والعشرون، ص ١٧٢.
(٢) البروتوكول الرابع والعشرون، ص ١٨٨.

الاجتماع الأول طرح روتشيلد وجهة نظره التي يلخصها في أنه من الواجب على أثرياء اليهود تجميع ثرواتهم وتأسيس مجموعة واحدة، ومن خلالها يقومون بتمويل الحركات الثورية في العالم، بما يمكن معه أن تستغل تلك الحركات للسيطرة على الثروات والموارد الطبيعية في دول العالم.

وأخرج روتشيلد وثيقة قرأها أمام الحضور تتضمن خطة عمل منظمة بعناية تحدد كيفية الاعتماد على الذهب وطريقة الوصول من خلالها إلى الأهداف المرحلية والشعارات التي يجب رفعها لتحقيق تلك الأهداف وافتعال الأزمات التي توصل إليها، وبعد أن انتهى من قراءة الوثيقة قال: «وعندما يحين وقت سيدنا وسيد العالم أجمع (المسيح المنتظر) لاستلام السلطة، فإن الأيادي ذاتها التي سنصنعها ستتكفل بإزاحة من يقف في طريقه»[١].

ومن بعد روتشيلد، كان الحاخام (يهودا القلعي) ١٧٩٨ ـ ١٨٧٨م من أشد المتحمسين لفكرة المسيح المنتظر، وهو أول من انطلقت البداية الحقيقية للصهيونية الدينية المعاصرة على يديه، وقد اقترح على اليهود في كتابه (شمعي يسرائيل) يعني إسمعي يا إسرائيل، الذي نشر عام ١٨٣٤م، أن يتجمعوا في فلسطين تحت زعامة يهودية لقناعته ـ حسب حسابات أجراها ـ بأن المسيح المنتظر سيجئ في وقت قريب جداً، فلما لم يأت في الموعد الذي توقعه، غيّر أفكاره، وانتقل إلى دعوة أخرى خلاصتها أن الخلاص سيأتي بالعمل، وليس بالانتظار، وبالفعل طرح أفكاراً (عملية) تمهد لمجيء المسيح ـ بزعمه ـ وقد تلقفها منه بعد ذلك الصحفي النمسوي الشاب (تيودور هرتزل) أبرز رموز الصهيونية الحديثة والذي تحدث عن نفسه، بما يدل على أن عقيدة المسيح

(١) أحجار على رقعة الشطرنج تأليف وليام كار، ص ٨٤.

المنتظر كانت من دوافعه المبكرة للاهتمام بقضية إنشاء (الدولة اليهودية)[1] وقد روىٰ هرتزل ـ قبل وفاته بنصف عام ـ لأحد أصدقائه من الكتاب الصحفيين رؤيا رآها في صغره وأثرت فيه كثيراً، قال: «ظهر لي المسيح الملك، علىٰ صورة رجل مسن في عظمته وجلاله، فطوقني بذراعيه، وحملني بعيداً علىٰ أجنحة الريح، والتقاينا علىٰ إحدىٰ الغيوم القزحية بصورة موسىٰ، فالتفت المسيح إلىٰ موسىٰ مخاطباً إياه وقال: «من أجل هذا الصبي كنت أصلي» ثم قال له: «اذهب وأعلن لليهود بأنني سوف آتي عما قريب، لأجترح المعجزات الكبيرة، وأسدي الأعمال العظيمة لشعبي في العالم بأسره»[2].

وكما صاحبت فكرة المسيح المنتظر المؤسسين الأوائل لفكرة الدولة اليهودية، فقد انتقلت للأجيال التي بعدهم بعد تأسيس الدولة، يقول بن جوريون أول رئيس وزراء في دولة اليهود: (الإيمان بظهور المسيح لإعادة المملكة أصبح مصدراً أساسياً في الدين اليهودي، يردده الفرد في صلواته اليومية، إذ يقول بخشوع، أؤمنُ إيماناً مطلقاً بقدوم المسيح، وسأبقىٰ ـ حتىٰ لو تأخر ـ انتظره كل يوم[3].

العلمانيون والمسيح:

إذا كان هذا حديث الزعيم (العلماني) الأول، فلا غرابة أن نرىٰ مساعي بقية الزعماء العلمانيين الذين قادوا الدولة في مرحلة التأسيس، لا تتعارض مع ذلك

---

(١) من المعروف أن لهرتزل كتاب بهذا العنوان، جمع فيه أفكاره عن الدولة التي أعلنت بعد وفاته بخمسين عاماً.

(٢) (إسرائيل الكبرىٰ) دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني، د. أسعد رزوق، ص ١٨، مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية.

(٣) نقلاً عن الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، ص ٤٢.

المعتقد، بل تسير في اتجاه التهيئة نفسه، ولكن من النواحي المادية التي كان لا يحسنها الدينيون في البداية، يقول الحاخام كوك هوفمان: «لا ننسى أن لنا جسداً مقدساً وليس مجرد روح مقدسة، فتجدد إسرائيل يجب أن يتم أيضاً على المستوى الجسدي» ويعقب إيمانول هيمان على تلك المقولة بقوله: «إن رسالة اليهودية هي تقديس الدنيوي، وتحقيق الوعد الألفي لإسرائيل، هو بحد ذاته الذي يجعل العلمانيين يجمعون في مشاركة عظيمة بين الإلهي والإنساني وبين الجسد والروح»[(١)].

إذن، فالتهيئة لمجيء المسيح ليست مما يتعارض مع (العلمانية) الإسرائيلية التي تحتفظ بطابع خاص يميزها عن كل العلمانيات، وخاصة العلمانيات العربية، فالعلمانيون اليهود كانوا دائماً خدماً لدولة (إسرائيل) الدينية، ولكن احترام التخصص والكفاءة هو الذي دفع بالشخصيات (العلمانية) إلى مقود القيادة في عقود التأسيس الأولى فيما عرف باتفاق (الوضع الراهن)[(٢)]، فهي مرحلة، ستعود بعدها القيادة للدينيين، بعد أن يستكملوا تأهيلهم ويبنوا كوادرهم.

يقول محمد حسنين هيكل في أحدث كتبه «إن الصهيونية السياسية وهي حركة علمانية، أتمت عملية بناء الدولة اليهودية في فلسطين، وهي دولة تقوم على أساس ديني، وكانت الصهيونية السياسية العلمانية أقدر باستعدادها وكفاءتها على تحقيق حلم الدولة اليهودية، وذلك تم لها بالسياسة والسلاح وأية

---

(١) نقلاً عن الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، ص ٤٢.

(٢) الوضع الراهن هو: اتفاق أبرم عام ١٩٤٧م بين القوى العلمانية والجماعات الدينية تم بموجبه الفصل الواضح بين اختصاصات العلمانيين والدينيين وتحديد صلاحيات ومكتسبات المتدينيين، وقد التزم به الفريقان للآن.

وسائل غيرهما لفرض الأمر الواقع، لكن قيام الدولة وضرورات بقائها واحترامها بما يتعدىٰ قوة الأمر الواقع، دعا إلىٰ بحث ضروري عن جذورها وهويتها وبالتالي شرعيتها وهكذا فإن الأسطورة الدينية عادت لكي تأخذ مكانها الذي تزحزت منه جزئياً فترة إقامة وتأمين الدولة»[1].

ويقول الفيلسوف الأرثوذكسي اليهودي (آفراهام رافينسكي) من الجامعة العبرية في القدس: (قبل ١٩٦٧م كان الصهيونيون العلمانيون هم الذين في السلطة، وكانت تتكون منهم الطبقة السياسية الحاكمة، وكانوا علىٰ رأس الجيش، أما الأرثوذكس فكانوا حراس الشريعة والتوراة، ولكن الاستيلاء علىٰ حائط المبكىٰ جعل الدينيين هم حملة العَلَم لصهيونية تضمن استمرارها المستوطنات الدينية»[2].

ـ ولكن المتدينين الفعليين هم الآن في وضع جاهزية وجدانية وروحية لتصديق أي تطور (يبشر) بقرب المجيء المرتقب، بل لتصديق أية فكرة (جريئة) بشأن المسيح ولو كانت فكرة الإدعاء بظهوره بالفعل، فمنذ سنوات قليلة جداً، وبالتحديد في عام ١٩٩٤م، توفىٰ حاخام يهودي، كان قد التف حوله الآلاف من اليهود بعد أن ادعىٰ أنه هو المسيح المنتظر!!

وملخص قصة هذا الرجل، أن جماعة دينية يهودية تطلق علىٰ نفسها اسم حبد[3] دخلت الانتخابات الإسرائيلية عام ١٩٨٨م، تأييداً لحركة (أجودات إسرائيل) الدينية، وقد ارتفع عدد نوابها في البرلمان مما مكنها من تأسيس حزب

(١) الخليج مكشوف، لمحمد حسنين هيكل، ص ٣١، دار الشروق.

(٢) صحيفة جريش كرونيكل، ١/ ١٢/ ١٩٩٥م.

(٣) هو اسم متخذ من الحروف الأولىٰ لكلمات (الحكمة والذكاء والمعرفة) باللغة العبرية ويطلق عليها أيضاً جماعة (اللوبافنش) نسبة إلىٰ مدينة صغيرة في روسيا البيضاء نشأت فيها الحركة.

جديد هو (هيجيل هاتوراة) ومع انخراطها في السياسة، أخذت حركة (حبد) أو (اللوبافيتش) اتجاها يبشر بعودة المسيح القريبة، وأعطى حاخام الحركة نفسه الحق في الاشتراك في كل الحملات الانتخابية الإسرائيلية للتركيز على القضية الأساسية وهي قرب مجيء المسيح، وضرورة تجهيز الأرض اليهودية لاستقباله، وحيث أعلنت تلك الحركة عن قرب مجيء المسيح؛ فقد أصبح أتباعها ينظرون إلى أنفسهم على أنهم جنود جيش المسيح المنتظر في جميع أنحاء العالم، وأعلنوا أنهم سيركزون جهودهم للإسراع بمجيء المسيح مخلص الإنسانية، وانطلق شباب منهم لابسين السواد للانتشار بدعوتهم في نيويورك، ولندن، وباريس، وكذلك في مدريد وجنيف، ويركزون خلال ذلك على غزو أحياء اليهود لدفعهم بقوة للعودة للدين والتوبة التي ستسرِّع لحظة الرؤية السامية للجميع! ووسط أجواء محمومة بالتبشير بالعودة، إذا بشيطان إنسي منهم يظهر فيهم، ويطرح نفسه على أنه المسيح! إنه الحاخام (مناحيم شنيرسون) ذلك الرجل المبهم الذي استطاع أن يسترعي أنظار العميان، ويستجلب إعجاب ورضا الآلاف من المغضوب عليهم بثقافته التوراتية العميقة، وعبقريته العلمية المتنوعة ومنطقه المقنع، وحماسه المبهر، ومهارته في فك الألغاز والأحاجي بين سطور الأساطير، إضافة إلى مركزه العلمي الأكاديمي المشيد فوق هرم من شهادات الدكتوراه، مما صنع منه في نظرهم الرجل الأسطورة.

وبدأ رعاع اليهود ينسجون حول الرجل أقاصيص الكرامات وأساطير المعجزات، مما جعل مقره في مدينة بروكلين قبلة يؤمها المريدون اليهود من كل أنحاء العالم! ومع بداية التسعينات كثر أتباعه المصدقون بأنه هو المسيح، ولم يشأ الخبيث أن ينفي عن نفسه هذه الصفة، وإنما شجع من ينظرون إليه هذه النظرة، بل حاول تأكيدها بنسبته إلى الجيل السابع (المقدس) من مؤسسي حركة

(حبد)، واستغل صفة أخرىٰ وُجدت فيه ليزيد أتباعه فتنة، وهي دعواه أنه من نسل داود!

ولكن الرجل الذي دعا نفسه ودعاه أتباعه بـ (المخلِّص) قد خلُص إليه الموت قبل أن يخلِّص أحداً، مما أذهل أتباعه المهووسين به، ودفع بعضهم إلىٰ الاعتقاد أنه هو المسيح القادر علىٰ أن يعود مرة أخرىٰ ليظهر أمام العالم بملابسه البيضاء ليكون ذلك أدعىٰ للتصديق به![1].

إن العبرة المستمدة من هذه الأهزولة اليهودية الحادثة منذ سنوات قليلة، هي أن أتباع المسيح اليهودي المنتظر موجودون الآن قبل أن يخرج إليهم، وهم علىٰ أتم الاستعداد لتجييش الآلاف حوله إذا ما صرخ فيهم الشيطان بأنه قد خرج!

وأشد ما يمكن أن يثير ثورانهم وفورانهم؛ أن يرتكب أحد خطيئة التسبب في تأخير ظهور مسيحهم الذي طال انتظاره، ففي حين ترىٰ الجماعات الدينية أن هناك أعمال يتوجب عليها القيام بها لتقريب مجيء المسيح، فإنها ترىٰ في الوقت نفسه أن هناك أيضاً ما يمكن أن يؤخر مجيئه، فاتفاقات السلام مع العرب مثلاً، أو الانسحاب من بعض (أرض إسرائيل) أو انتهاج مسالك علمانية مجافية للتوراة، كل ذلك يمكن أن يؤدي إلىٰ تأخير ظهور المسيح، وضمن هذا الإطار، فسَّر (أسمار شورش) عميد معهد اللاهوت اليهودي مقتل رابين بأن وراءه اعتقادات دينية تتعلق بمجيء المسيح فقال: «إن السبب العميق وراء اغتيال رابين، لا يرجع للخطاب الديني ولا للأرثوذكسية، وإنما للمناداة بمجيء المسيح المنتظر، فتلك هي الصيحة التي انتشرت بعد حرب الأيام الستة، إن

(١) قصة هذا الرجل بتوسع في فصل (اللوبافتش) من كتاب الأصولية اليهودية.

التطلع نحو الخلاص على يد المسيح المنتظر، مع التشبث بقدسية الأرض، يؤدي إلى تحريم إعادتها بشكل مطلق»[١] فقدسية الأرض تقتضي التمسك بها، وتقتضي طرد (الأغيار) منها حتى لا يحدث الاختلاط وإلا . . فإن المسيح سيتأخر، ولا يمكن لليهود المخلصين له أن يسمحوا بهذا التأخير! يقول إيمانويل هيمان: «إن واجبهم - أي تلك الجماعات الدينية - هو أن يحافظوا على النقاء اليهودي بكل عناد، وألا يسمحوا لأية قوة على الأرض أن تقف عقبة في هذا الطريق المؤدي إلى مجيء المسيح المنتظر»[٢].

لقد كانت فترة حكم بنيامين نتنياهو فترة اطمئنان للجماعات الدينية المؤمنة بقرب عودة المسيح، لأنه هدأ من روعها فيما يتعلق باستمرار السيطرة على ما يعتبرونه أرض إسرائيل، أما إذا حدث تحول إلى الناحية العكسية، أي عودة الكلام عن السلام والتنازل والانسحاب، فإن الاحتمال الأقوى هو أن تلجأ تلك الجماعات إلى العنف مرة أخرى، إذ إن أحلامها الألفية ستبدو مهددة، ومحبطة يقول مؤلف الأصولية اليهودية: «هدأ انتصار اليمين من مخاوف الإسرائيليين المتدينين من احتمالات تهديد المستوطنات، وكذلك يرضى أغلبهم عن استمرار السيطرة اليهودية على الأراضي التوراتية في المرحلة السابقة على مجيء المسيح المنتظر، لأن هذا الاستمرار يؤكد اقتراب نهاية الزمان وساعة الخلاص المرتقبة، ولكن إذا انتهى نتنياهو[٣] من مواقف الرفض الرمزية ودفعته البراجماتية والضغط الأمريكي إلى متابعة عملية السلام بشكل جدي، سيزداد

---

(١) الأصولية اليهودية، ص ١٨١ .

(٢) الأصولية اليهودية، ص ٢٢٧ .

(٣) كان هذا الكلام بالطبع قبل أن يسقط نتنياهو في انتخابات مايو ١٩٩٩م .

اليأس لدىٰ القوميين والأرثوذكس ساعتها، وتزداد ردود أفعالهم عنفاً، فمَن وقتها سيسيطر علىٰ أولئك الذين يعتقدون أن الله هو الذي يأمرهم بالعصيان المدني»[1].

ومن هنا نفهم أبعاد الحرص الشديد من إيهود باراك بعد فوزه علىٰ طمأنة تلك الجماعات بأنه لن يمس المستوطنات ولن يفرط في القدس الشرقية ولن يسمح بالعودة إلىٰ حدود ما قبل ١٩٦٧م.

إن الجماعات الدينية التي تمتلئ بها الساحة الإسرائيلية اليوم، والتي تحرص كل الحكومات علىٰ استراضائها وشراء أصواتها؛ ليست فيما بينها علىٰ وفاق أو اتفاق في مجمل قضايا الاهتمام الديني، ومن ضمنها مسألة انتظار المسيح، فالأمر بينهم كما قال الله ـ سبحانه ـ: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤]، فهم يختلفون في ترتيب العلامات التي ستسبق مجيء المسيح ويختلفون في موعد عودته وفي مدة لبثه، ولكن الشيء المتفق عليه من الجميع هو تجاوز تلك الخلافات والقفز فوقها إلىٰ صيغة موحدة تضمن الحد الأدنىٰ من الوحدة في العمل للتهيئة لمجيء المسيح، وليكن بعد ذلك ما يكون.

يقول إيمانويل هيمان: «كل التيارات الأرثوذكسية المختلفة، تتبع طريقاً سيؤدي بها في المستقبل إلىٰ أرضية مشتركة، ألا وهي اقتناعها جميعاً بقرب مجيء المسيح المنتظر، فإذا كان المخلص علىٰ وشك الظهور؛ فإن كل التناقضات الظاهرية تكون مبررة لأنها تهيء العالم والأرض المقدسة لاستقبال مبعوث الله»[2].

القوى السرية ومساعي التهيئة:

إذا كانت تهيئة العالم لمجيء المسيح قضية محورية لدىٰ الجماعات الدينية

---

(١) الأصولية اليهودية، ص ٢٢٥. (٢) المصدر نفسه.

العاملة في العلن داخل الأرض المقدسة ؛ فإن القوىٰ اليهودية السرية التي تعتبر العالم كله ساحة لنشاطاتها، كانت تعمل بدأب ـ ولا تزال ـ للغاية نفسها، ولكن علىٰ طريقتها هي، طريقة المؤامرات والثورات والمخططات الطويلة والقصيرة والمتوسطة المدىٰ، وقد مر ذكر بعض نصوص البروتوكولات الصريحة في ذلك، فطوال القرن المنصرم ـ وربما قبله ـ لم تكف تلك القوىٰ عن اختراقاتها للمعسكرات الدولية والتغلل فيها شرقاً وغرباً بغرض فرض السيطرة اليهودية علىٰ الاقتصاد العالمي والإعلام العالمي والسياسة العالمية والمؤسسات الدولية، ويكابر الحقيقة ويعاندها من ينكر النجاح الكبير الذي أحرزه اليهود في اختراقاتهم الهادفة للسيطرة علىٰ العالم . يقول (وليم كار) في مؤلفه الشهير أحجار علىٰ رقعة الشطرنج: «إن اليهود اختاروا فلسطين لتكون المركز الجغرافي المناسب لخطتهم العامة في السيطرة علىٰ العالم وتنصيب أميرهم أمير السلام ملكاً علىٰ العالم»(١) هذا في العقود الماضية من القرن المنصرم، أما في القرن الحادي والعشرين، فإن الهدف هو (إنجاز) المزيد من النبوءات وتحقيق المزيد من الأساطير، ما دامت الساحة خالية، يقول إيمانويل هيمان: «إن الهدف الكبير ليهودية القرن الواحد والعشرين، سيكون محاولة اختراع المستقبل مع استمرار الإخلاص للماضي(٢).

هذا عن الهدف الكبير لليهود، فماذا عن الهدف الكبير للنصارىٰ وما المستقبل الذي يعدون له، ومن الضيف الذي لم يعودوا يحتملون تأخيره، وكيف يهيئون الدنيا لضيافته، هذا موضوع الفصل التالي .

---

(١) أحجار علىٰ رقعة الشطرنج، تأليف (وليام كار)، ص ٣٣٢، دار النفائس .
(٢) الأصولية اليهودية، ص ٢٢٦ .

الفصل العاشر

المسيح العائد...

مَنْ ولمنْ؟!

المسيح العائد... مَنْ ولمَنْ؟!

لم يخلق الله (تعالىٰ) بشراً اختلفت فيه الأمم وتباينت فيه المعتقدات مثل المسيح عيسىٰ بن مريم ـ عليه السلام ـ، وبقدر ما حصل الاختلاف في الناس بشأنه، بين غالين فيه، وجافين عنه، ومتوسطين بين ذلك؛ بقدر ما كانت شخصيته موضوعاً مشتركاً لكثير من قضايا الحجاج واللجاج بين أهل الأديان، ومعبراً يوصل لفتح أحاديث في الإلهيات والنبوّات والوحي والمعجزات عند كل أصحاب الملل والنحل، وتتعاظم في أيامنا هذه أهمية البحث والحديث في شأن عيسىٰ ـ عليه السلام ـ أكثر من أي عصر مضىٰ للأسباب التالية:

أولاً: النصارىٰ المعظمين له والمغالين فيه ـ علىٰ اختلاف طوائفهم ـ يتوقعون عودته في هذه الحقبة التي نعيشها، وهم يترقبون بل يتقربون بتقريب هذه العودة المنتظرة بكل تشوق وتشوف وتلهف وتحسب، ولا شك أن تلك المشاعر ستزداد مع الأيام والشهور والسنوات القليلة القادمة، أي في بدايات الألفية الثالثة لميلاده ـ عليه السلام ـ، والتي يعتقد أكثرهم أنها ستكون ألفية مجيئه ثانية إلىٰ الأرض.

ثانياً: اليهود الذين كفروا بعيسىٰ وآذوه وعادوه، ولايزالون يكفرون به؛ سيجدون أنفسهم في مواجهة قضية مسيح منافس لمسيحهم المنتظر الموعود، والذي يترقبون قدومه أيضاً في وقت قريب، مما سيضعهم في بؤرة الاهتمام بشأنه مرغمين عندما يتزايد الجدل حول قرب عودته إلىٰ القدس التي يعتقدون أنهم (حرروها) وجهزوها لمقدم مسيحهم اليهودي المنتظر، مما قد يدفع بطوائف منهم، ويدفع المنطقة معهم إلىٰ أوضاع تختلط فيها الأوراق وتقلب الطاولات استباقاً للأحداث.

ثالثاً: المسلمون أيضاً - وهم يعتقدون أن عيسى - عليه السلام - سيعود إلى الأرض وسينزل من السماء وسيحكم بالإسلام[١] - سيزدادون اهتماماً بشأنه، مع تزايد الحديث حوله، ولكن مع قلة العلم وضعف اليقين وشيوع الجهالة - خاصة عند المسلمين غير العرب - فالخطر يتعاظم من الفتنة التي يمكن أن يحدثها أهل الكتاب عندما يبدأون ملحمة إعلامية، تضخ الدعايات المضللة عن المسيح ورسالة المسيح ومعجزات المسيح في أكبر حملة (تبشير) عالمية عبر آلة الإعلام الدولية التي يملكون توجيه الفتن مع دفتها.

ولهذا أقول: لم يكن المسلمون في عصر من العصور أحوج لتصحيح المعتقد في أمور الألوهية والرسالة والنبوة مما يتعلق بعيسى - عليه السلام - من هذا العصر الذي نعيشه، لأن هذه القضايا ستتفاعل قريباً، وستحتاج إلى الفهم السديد دون تحريف الغالين أو انتحال المبطلين، فالكلام حول شخص عيسى - عليه السلام - والحديث المفترى عن ألوهيته أو بنوته، سيتكثف مع الحديث عن بشريته ونبوته، وذلك كلما ضاعف النصارى من حملتهم للفت الأنظار إلى قرب عودته.

إن حمى سنة ٢٠٠٠م التي سبق الحديث عن أعراضها المختلفة ستشتد وتحتد لدى نصارى العالم، إذا بدأ الشيطان في استدراج الممسوسين بها، بما يمكن أن يصوره لهم على أنه علامات أو أمارات على بدء العد العكسي لمجيئه الثاني.

وعند ذلك، علينا ألا نستبعد مزيداً من الهوس الألفي المدفوع بحماسات وحماقات لا تقل عن مثيلاتها التي كانت مصاحبة للحمى الألفية الأولى التي صاحبت الحملات الصليبية على بلاد الشام، وعندها فلا ينبغي أن نلغي احتمال أن تتحول الحمى الألفية الجديدة إلى هلوسة (أورشليمية) أو غطرسة

---

(١) كما تواترت بذلك الأحاديث.

(هرمجدونية) أو مراهقات (حاسوبية) أو هرطقات (بيت لحمية) أو شمشونيات (نووية أو كيماوية أو بيولوجية)!

ماذا أعد المسلمون لكل هذا؟!

لا أظن أنهم أعدوا شيئاً سوىٰ الانتظار!

النصارى ومسيحهم المنتظر:

إذا كان عهد اليهود بانتظار مسيحهم قد طال بطول زمن التوراة، فإن انتظار النصارىٰ لمسيحهم ظل مستمراً منذ زمن الإنجيل.

يقول ديورانت في كتابه المشهور (قصة الحضارة): «كان ثمة عقيدة مشتركة وحدت الجماعات المسيحية المنتشرة في أنحاء العالم، هي أن المسيح ابن الله، وأنه سيعود لإقامة مملكته علىٰ الأرض وأن كل من يؤمن به سينال النعيم المقيم في الدار الآخرة»[1].

والجماعات النصرانية التي وحدت بينها تلك العقيدة - كما قال ديورانت - لم تكتف بالاعتقاد، بل لم تقف عند حد الانتظار، وإنما تفاعلت مع ذلك المعتقد محاولة تحقيق علاماته واستدعاء مقدماته. فالطوائف الرئيسية من أصحاب تلك الديانة وهم الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت؛ جميعهم يؤمنون بعودة المسيح ثانية، ويستعدون منذ قرن كامل لمجيئه علىٰ رأس الألفية التي نحن مقدمون عليها، بعد أن خابت آمالهم في مجيئه علىٰ رأس الألفية الأولىٰ.

ولكن البروتستانت علىٰ وجه الخصوص أصبحوا أصحاب الاهتمام الأكبر بعقيدة الانتظار الألفية من الناحية العملية، فعندما أنشأ (مارتن لوثر) المذهب

---

(١) قصة الحضارة تأليف وول ديورانت، ج٣، ص ٢٩٠.

البروتستانتي دفعته ميوله اليهودية إلىٰ اعتبار التوراة هي الأساس الوحيد لقبول الإيمان، وبما أن التوراة قد احتوت نبوءات عن مسيح يخرج في آخر الزمان، فقد ركب أتباعه تلك النبؤات علىٰ شخص عيسىٰ ـ عليه السلام ـ، خاصة وأن مصادر أهل الكتاب تنسب عيسىٰ ـ عليه السلام ـ إلىٰ داود ـ عليه السلام ـ من جهة أمه مريم ـ عليه السلام ـ ومن هنا انتقل معتقد المسيح عند اليهود واختلط بمعتقد النصارىٰ البروتستانت في عيسىٰ ـ عليه السلام ـ، ولما كانت التوراة تنص علىٰ أن مسيحاً سيجيء قبيل الألفية الأخيرة، وأنه سيحكم من القدس، وأنه سيعيد العبادة إلىٰ الهيكل بعد بنائه، فقد تبنىٰ البروتستانت كل هذه العقائد، وزاد من تثبيتها عندهم أن الأناجيل التي معهم وردت فيها نصوص صريحة عن عودة عيسىٰ ـ عليه السلام ـ، ولم يكن ممكناً للنصارىٰ أن يسلموا لليهود بأن نبؤات التوراة عن مسيحٍ سيأتي في آخر الزمان هي عن مسيح آخر غير ابن مريم.

لقد تواطأ الكتابان (التوراة والإنجيل) معاً ليكوِّنا عند النصارىٰ ـ خاصة البروتستانت ـ عقيدة لا تتزحزح عن عودة المسيح ابن مريم إلىٰ الأرض في آخر الزمان، وعلىٰ رأس ألفية. وزاد النصارىٰ علىٰ ذلك في معتقدهم أن اليهود الذين سيكونون قد تجمعوا في القدس قبل عودة عيسىٰ ـ عليه السلام ـ سيتنصَّرون هناك عند عودته، تقول الكاتبة الأمريكية (لي أوبرين) «إن المذاهب اللاهوتية لكثرة من البروتستانت تصف إنشاء دولة إسرائيل بأنه تحقيق لنبوءة توراتية، وهي تذهب أيضاً إلىٰ أن تجمع اليهود، هو مجرد تمهيد لتنصيرهم قبل المجيء الثاني للمسيح»[1].

---

(١) المنظمات اليهودية الأمريكية ونشاطاتها في دعم إسرائيل، تأليف لي أوبرين، ص ٢٨٦.

وعندما انعقد المجمع العالمي للكنائس النصرانية في (إفناستون) عام ١٩٥٤م، قدمت له اللجنة المختصة ببحث علاقة اليهود بالكنيسة تقريراً جاء فيه «إن الرجاء المسيحي بالمجيء الثاني للمسيح لا يمكن بحثه عبر فصله عن رجاء شعب إسرائيل الذي لا نراه بوضوح فقط في كتاب العهد القديم؛ بل فيما نراه من عون إلهي دائم لهذا الشعب، ولا نرتاح قبل أن يقبل شعب الله المختار المسيح كملك» وأصدر الأساقفة المجتمعون في ذلك المؤتمر البيان التالي: «إننا نؤمن أن الله اختار إسرائيل ـ الشعب المختار ـ لكي يتابع خلاص للبشرية، ومهما كان موقفنا، فلا نتمكن من نكران أننا أغصان قد تطعمت على الشجرة القديمة (إسرائيل) ولذلك فإن شعب العهد الجديد لايمكن أن ينفصل عن شعب العهد القديم. . إن انتظارنا لمجيء المسيح الثاني يعني أملنا القريب في اعتناق الشعب اليهودي للمسيحية، وفي محبتنا الكاملة لهذا الشعب المختار»[1].

ماذا تخفي هذه المحبة؟!

يعجب الإنسان عندما يكتشف أن تلك المشاعر الدينية الحميمة من النصارى تجاه اليهود، هي مشاعر مزيفة، أو مصلحية ـ على أقل تقدير ـ، فيبدو أن نصارى الغرب قد درجوا على تقديم المصلحة في كل شيء حتى في الدين، فاليهود عندهم، هم القنطرة التي سيعبرون فوقها نحو أمجاد الأيام الأخيرة، فلن يأتي المسيح ولن يقيم مملكة الرب (النصرانية) إلا بعد أن يُعاد اليهود إلى فلسطين ويسكنوا القدس ويبنوا الهيكل. ثم ماذا. . ثم يخرج مسيحهم المنتظر (أي مسيح اليهود) ليعيث في الأرض فساداً ويملأها كفراً وإجراماً، ثم يأتي عيسى ـ عليه السلام ـ ليذبحه ويقتل ثلثي اليهود ويبقى ثلث يتوجب تنصيرهم!!

(١) مجلة الأمل، العدد ١٠٤، ١٩٨٢م.

فهل يؤمن النصارىٰ بمسيح آخر سيأتي في وقت مجيء المسيح ابن مريم؟!

نعم، إنهم يؤمنون بذلك.. ويطلقون علىٰ ذلك المسيح (Anti - chrest) أي ضد المسيح، أو (المسيح الدجال)!!

النصارى والمسيح الدجال:

يعتقد النصارىٰ ـ خاصة البروتستانت ـ أن هناك عدواً كافراً طاغياً قاسياً سيخرج قبيل عودة عيسىٰ ـ عليه السلام ـ، وأنه سوف يكون من اليهود، فأمه أمرأة يهودية وستلتهم جيوشه العالم بعد أن يخرج من شمال إسرائيل، أو بالتحديد من سوريا من قبيلة (دان)، ويؤمنون أيضاً أنه سيبدأ بدعوىٰ الصلاح وينتحل شخصية المسيح المخلِّص، ثم لا يلبث أن يتحول إلىٰ دعوىٰ الربوبية التي سيتبعه عليها أكثر الناس نظراً للخوارق التي ستجرىٰ علىٰ يديه، والتي سيقلد بها أفعال الإله في الإحياء والإماتة وإنزال المطر وإنبات الزرع.. إلخ، ويؤمنون أيضاً، بأنه سيعتلي منبر الهيكل بعد إعادة بنائه، وسيهدم مقر البابوية في روما، وسيضطهد (المؤمنين) ويضيق عليهم حتىٰ يبلغ البؤس مداه، وعند ذلك يتدخل الإله، وينزل المسيح ابن مريم لينقذ بقايا المؤمنين بعد أن يقتل المسيح الدجال، ويقاتل أتباعه من اليهود وقوم (يأجوج ومأجوج) ويتفرغ بعد ذلك لإقامة مملكة الرب التي سيسودها السلام.

إن هذه العقائد التي لا يزال يحتفظ بها النصارىٰ عن المسيح الدجال، هي من بقايا ما أخبر به الأنبياء تحذيراً منه، فقد أخبر الرسول ﷺ أن جميع الأنبياء حذروا منه أُممهم، إنه لم تكن فتنة منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال، وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة»[1].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٥٩ ـ ١٣٦٣) وأبو داود (٤/ ١١٧) والحاكم (٤/ ٥٣٦) وقال علىٰ شرط مسلم وأقره الذهبي.

وقد أخبر الرسول ﷺ أيضاً أن الدجال يهودي وأمه يهودية، ويخرج من قرية يقال لها اليهودية، وأخبر أن أكثر أتباعه من اليهود، وأخبر أنه سيغزو كل الأرض عدا مكة والمدينة والقدس ومنطقة الطور، وأخبر أن الخوارق ستجري على يديه مما يزيد من فتنة الناس به ويضاعفها حتى تكون فتنته أعظم فتنة في تاريخ البشر منذ خلق الله آدم ـ عليه السلام ـ[(١)].

والمقصود هنا، أن النصارى يؤمنون بخروج الدجال وبيهوديته واتباع اليهود له وبأنه سيسود العالم كله، ولكنهم مع ذلك يؤمنون بأن عيسى ـ عليه السلام ـ سينزل في غمرة فتنة الدجال ليخلص العالم منه ومن اليهود أيضاً!

إذن، ففرح النصارى باليهود ورعايتهم لهم في عصرنا، هو أشبه بفرح علماء المختبرات بالعثور على الفئران أو الضفادع أوالحيات النادرة التي لا يمكن إنجاح التجارب إلا بها، وهذه المخلوقات على وضاعتها وحقارتها، وخطورتها أيضاً.. تلقى كل الرعاية والحرص، لا حباً فيها ولكن، لأن الاختبارات لن تُجتاز إلا بها! فالمسيح لن يأتي إلا بعد خروج الدجال، والدجال لن يأتي إلا بعد عودة اليهود إلى القدس وهدمهم للأقصى وبنائهم للهيكل وذبحهم للبقرة.. إلخ.

فاليهود على هذا شر لا بد منه، والدجال قدر لا بد من مواجهته، وهذا الدجال الذي تؤمن النصارى بحتمية خروجه، قد وردت بشأنه الأخبار في مصادرهم، ففي الإنجيل، في رسالة بولس إلى أهل تسالونيكي هذا النص: «لا يخدعنكم أحد بوجه من الوجوه، لأنه لابد أن يسبق الارتداد أولاً، ويظهر إنسان الخطيئة ابن الهلاك»[(٢)] والنص هنا يذكر الارتداد، فلا بد إذن أن تكون ردة، ولكن ردة مَنْ؟ وعن ماذا؟!

---

(١) راجع في ذلك صحيح مسلم، باب أحاديث الدجال (١٨/ ٨٥ـ٨٩) شرح النووي.

(٢) رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكي (الإصحاح الثاني / ٣).

إن النصارىٰ أنفسهم يتقاذفون اليوم التهم بهذه الردة التي يقول الإنـجيل إنها لا بد أن تسبق أولاً، ولهذا فهم يتبادلون التكفير بين طوائفهم بحيث أن كل طائفة تتهم الأخرىٰ بأنها ستكون من أنصار الـ (إنتي كريست) أو الدجال عدو المسيح، فالنصارىٰ الشرقيون العرب مثلاً ـ وأكثرهم من الأرثوذكس ـ يعتقدون أن طوائف الكاثوليك الغربيين هم نصارىٰ بالاسم فقط، وأنهم سيكونون مع الدجال ومع أعداء المسيح! يقول القس ناشد حنا في تفسيره لسفر دانيال «مما لا شك فيه أن المسيحية المرتدة سيعاد توحيدها، ولكن هذا الاتحاد سيكون خالياً من تعاليم المسيح، ستتحد جميع الأنظمة المرتدة، وستستعيد الكنيسة البابوية نفوذها وسلطانها، وستشكل جميع كنائسها هيئة عظيمة واحدة تضم جميع أجزاء النصرانية . . هذه الكنائس ستكون مستمدة قوتها من البابوية وستكون خادمة للوحش» (أي المسيح الدجال)(١).

ويقول هذا القس في تفسير سفر الرؤيا: «يستطيع ذو البصيرة أن يرىٰ بوضوح بوادر الانتكاس من اليوم (يعني في الانحياز للدجال وتكوين المعسكر ذي الرؤوس العشرة) وإنه من الغرابة بمكان أن تكون نهاية المدنية والاستنارة الذهنية في المسيحية المرتدة هي عبادة الإنسان للشيطان»(٢).

ويقول الأب (سركيس) في كتابه (العلاقة بين اليهودية والمسيحية) «ليس هناك فرق بين إسرائيل وبين المسيحية بالاسم، ففي يوم قادم، وهو قريب جداً، سيتعامل الرب بقضائه المخيف مع المسيحيين بالاسم»(٣).

---

(١) تفسير سفر دانيال، لناشد حنا، ص٦١.

(٢) تفسر سفر الرؤيا، لناشد حنا، ص ٣٠٧، ٣٧٣.

(٣) العلاقة بين اليهودية والمسيحية، تأليف سلوم سركيس.

ويقول (ايرنسايد) في تفسير سفر دانيال: «إن عشر قوىٰ أوربية ستتحد في تحالف واحد، وسيصبح هؤلاء العشرة بمثابة حاكم واحد لأوروبا، وهذا الحاكم هو (الوحش)»[1]. ويقول القس صايغ في كتاب (مشتهىٰ الأمم) «الكنيسة المرتدة ستعطىٰ الوحش (الدجال) الصلاحية التامة ليمثلها ويمثل اليهود، وسيرتبط الجميع بمعاهدة لحماية الدولة اليهودية» ويقول: «المسيح الدجال سيكون دكتاتوراً عالمياً، وسيكون هو الرئيس العالمي لليهود والمسيحيين المرتدين»[2].

والغريب أن البروتستانت ينظرون أيضاً إلىٰ كاثوليك أوروبا هذه النظرة، فهم يؤمنون أن (الوحش) الذي ورد ذكره في سفر الرؤيا، يعني أنه سيكون هناك اتحاد قوي من عشر دول أوروبية سوف تنهض في الأيام الأخيرة، وأن قيام المجموعة الأوروبية المكونة من عشر دول هو تحقيق لهذه النبوءة ودليل علىٰ أننا نعيش فعلاً الأيام الأخيرة، لأن هذه القوىٰ الأوروبية ستكون معادية للمسيح لأنها ستكون مرتدة عن المسيحية التي بشر بها!![3].

ومع اتهام طوائف النصارىٰ بعضهم لبعض بأنهم أتباع الدجال عندما يخرج؛ فإنهم يجمعون علىٰ أن اليهود هم طليعة أنصاره، ورأس حربته، وهم الذين سيقودون معسكر أعداء المسيح، ولهذا فهم يعتقدون أن الله سينتقم منهم في القدس وسيخربها[4] ثم يخلصها منهم ويورثها للمسيح وأتباعه! يقول القس (رشاد فكري) في تفسير سفر حزقيال: «مرة أخرىٰ ستذوق أورشليم غضب الله

---

(١) تفسير سفر دانيال (ايرنسايد)، ص ١٣١.

(٢) مشتهىٰ الأمم للقس صايغ، ص ٥٧.

(٣) انظر النبوءة والسياسة، ص ٤٣.

(٤) هم يعتقدون ذلك بمقتضىٰ سفر حزقيال الإصحاح، ١٢/١٦.

وقضائه في نهاية الدهر، والمسيحية في الغرب قد أنهارت حتى إن الذين كان أجدادهم في القرون الماضية يشنون الحروب الصليبية بذريعة حماية القدس؛ باعوا فلسطين لليهود في القرن العشرين»(١).

ويقول متى هنري في تفسيره للإنجيل «يجب أن نعلم أن الخراب سيتتابع على اليهود أينما كانوا، كما يتعقب النسر الفريسة»(٢).

ويقول (ايرنسايد) في تفسير دانيال: «إننا نرى الآن أن اليهود قد تجمعوا في فلسطين، وجاؤوا من أوروبا الشرقية والغربية إلى أرض آبائهم، فيالهذا الشعب التعيس المخدوع، فهم يتصورون أنهم وجدوا ملجأ في آخر الأمر يكونون فيه بمأمن من الاضطهاد وبمنأى من الخطر... لا! إنهم يهيؤون أنفسهم على غير علم منهم لمعصرة غضب الرب»(٣).

ويقول: «سينصب المسيح الدجال نفسه الإله الوحيد الجدير بالعبادة وله سيبدي المسيحيون المرتدون ولاء مطلقاً، وسينتحل لنفسه أمام اليهود صفة مسيحهم الموعود به منذ عهد بعيد على ألسنة الأنبياء، ويقبل اليهود ادعاءاته ويقولون: هذا هو حقاً المسيح الذي طالما انتظرناه، وهذا هو الذي يتكلم كتابنا المقدس عنه»(٤).

إن المرء ليعجب أن يكون هذا حديث نصارى عن نصارى، أو حديث نصارى عن يهود، ولكن العجب يزول عندما نتذكر قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ

---

(١) تفسير سفر حزقيال لـ (رشاد فكري)، ص ٥٩.
(٢) تفسير إنجيل متى، (متى هنري)، ص.
(٣) يعني يو م الهرمجدون، تفسير دانيال، ص ١٣٣.
(٤) المصدر نفسه، ص ١٣٤.

وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة: ١٤]، وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ [البقرة: ١١٣].

فالجميع أعداء الجميع، والجميع يريد أن ينتقم من الجميع، والجميع مع هذا كله ينتظرون، ويتحسبون ويرتبون.. ولكن يبقىٰ أن النصارىٰ البروتستانت القاطنون القارة الأمريكية الشمالية، هم أشد النصارىٰ تأثراً بالحمىٰ الألفية وأعراضها المتعددة، والتيار الأصولي فيها يطالب بقوة بمزيد من الاقتحام في هذا الزمن استغلالاً للأحادية القطبية، ويعتبرون هذا الزمان الأحادي هو الفرصة السانحة، وربما الأخيرة لنشر (المسيحية) بمفهومهم هم علىٰ ربوع العالم أجمع، ومن يمتنع.. فالويل له أو (الهرمجدون) له. إنه سينسب للشر أو للشرق، ثم تسلط عليه نيران (الخلاص) الحارقة يقول هال ليندسي ـ أكثر مؤلفي الأصولية الإنجيلية شعبية في كتابه الجديد[1] (العالم الجديد القادم): «إن قوىٰ الشر القادمة من الشرق، سوف تزيل ثلثي سكان الأرض، وعندما تصل الحرب الكبرىٰ إلىٰ هذا المستوىٰ وتحين اللحظة العظيمة، فسينقذ المسيح الإنسانية من الاندثار الكامل»[2].

إن من حقنا أن نعجب، ومن حقنا أن نتساءل إذا كانت كل طائفة تدعىٰ أن المخلص منها وأنهم أتباعه وأنصاره، وتدعىٰ في مبغضيها أنهم أتباع الدجال وأنصاره، فمن إذن هم الأتباع الحقيقيون للدجال الذي يتبرأ منه الجميع الآن، فإذا جاء كانوا أول المسارعين لنصرته والإيمان به؟!

(١) كان قد ألف قبله كتاب (الكرة الأرضية ـ ذلك الكوكب العظيم الراحل) وبيعت منه مليون نسخة.
(٢) نقلاً عن مقدمة النبوءة والسياسة.

لمن سيخرج الدجال:

نحن لا نشك أن اليهود بمجموعهم سيكونون طليعة أنصار الدجال فهو منهم وإليهم، وخاصة يهود الشرق الذين سيخرج فيهم[١].

أما النصارىٰ، فعلىٰ الرغم من أنهم يزعمون أنهم سيكونون في جيوش المسيح الحق ضد المسيح الدجال، فالله يعلم أنهم ـ بجميع طوائفهم ـ هم الذين هيأوا أنفسهم بأنفسهم لكي يكونوا أول المصدقين بدعيٍ من البشر يدَّعي الألوهية، أليسوا هم الذين اعتنقوا عقيدة (المسيح الإله القادر علىٰ كل شيء)؟! والمسيح الدجال سيقول أنا المسيح الإله القادر علىٰ كل شيء!

فما الذي سيكون مستغرباً في دعوة الدجال علىٰ مسامع النصارىٰ الذين لا يستهجنون ولا يستبعدون أن يتجسد الإله في صورة إنسان! خاصة وأنه لن يمنعهم ـ ومعهم اليهود ـ من مشاركته في فرض السيطرة النهائية علىٰ العالم باعتبارهم أتباعه.

إننا نؤمن ـ كما أخبر الرسول ﷺ ـ أنه سيبلغ سلطانه كل منهل وسيدخل كل أرض، باستثناء مكة والمدينة والقدس وأرض الطور[٢]. أي ستكون له (حكومة عالمية)؛ وكلاً من اليهود والنصارىٰ يؤمنون بأن منتظرهم سيقيم مملكة عالمية، فإذا رأىٰ اليهود منه ذلك ـ وهو يهودي مثلهم ـ وإذا رأىٰ النصارىٰ منه ذلك، وهو يقول لهم إنه المسيح المخلص والإله القدير، فما الذي سيمنعهم من الإيمان به.

---

(١) من الغريب أن يهود إيران لم يهاجروا للآن إلىٰ (إسرائيل)، فهل يعتبرون أنفسهم رصيداً مدخراً ليوم المجيء؟.

(٢) كما دل ذلك الحديث: «يبلغ سلطانه كل منهل، لا يأتي أربعة مساجد، الكعبة، ومسجد الرسول والمسجد الأقصىٰ والطور» أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٣٦٤) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٤٣) وقال رجاله رجال الصحيح وقال ابن احجر رجاله ثقات ـ فتح الباري (١٣/ ١٠٥).

إن النصارىٰ اليوم - علىٰ اختلاف طوائفهم - يشكلون ما يقرب من ثلث سكان العالم، والله أعلم كم سيبلغون إذا خرج فيهم من يهيئون الدنيا لمقدمه ظناً منهم أنهم يهيؤونها للمسيح عيسىٰ بن مريم - عليه السلام - إن هؤلاء - مع مسيحيتهم - كفار بنبوة عيسىٰ وعبوديته، ولهذا سيسارعون بتصديق من يقول إنه هو المسيح الإله!

ولهذا فإن الله - تعالىٰ - سوف يزيل هذه الغمة بإنزال عيسىٰ نفسه حيث سيسقط في أيدي من ضلوا وأضلوا كثيراً من البشر عبر القرون مدعين أنه إله أو ابن إله، وسيدفعون دفعاً إلىٰ الإيمان بأن عيسىٰ نبي الله وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه، ليس بإله ولا ابن إله، إنما هو كما قال الله عنه: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩]، وعند نزوله سيرون ذلك رأي العين، ويسمعون منه كلامه الفصل كما قال - سبحانه -: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾ [النساء: ١٥٩].

أما بقية القطعان البشرية الوثنية من ملايين البوذيين والهندوس والملحدين واللادينيين ونحوهم، فإنه لا حجاب بينهم وبين الإيمان بالدجال! إذا خرج وقال لهم إني أنا الإله، فهؤلاء وهؤلاء لن تزيدهم عقائدهم الوثنية التي تؤله الأحجار والأشجار والأنهار والأبقار، إلا فتنة بالبشر المخلوق للفتنة إذا جاء وقال لهم إني أنا الإله، وشرع يجذب أبصارهم بالخوارق، وأسماعهم بالشبهات وبطونهم وفروجهم بالشهوات!

إن من الغرائب مثلاً أن نعلم أن الوثنيين الآن في الأرض هم أكثر البشر عدداً، فالصين الشعبية البوذية وحدها تبلغ نحو مليار من البشر، ويقترب منهم الهندوس، وهناك ما يزيد العجب إذا علمنا أن البوذيين ينتظرون عودة (ابن الإله) - بوذا - قبل يوم القيامة! فهم يؤمنون بأنه ولد من عذراء وتعمد بالماء

المقدس، وعندما مات دفن، شُق قبره وعاد للحياة، ولكن صعد إلىٰ السماء، وسيعود إلىٰ الأرض، فهو عندهم ابن الإله الذي لا أول له ولا آخر - تعالىٰ الله عما يفترون - فهو مثل الإله الأب وهو الابن الوحيد الذي تجسد في الناسوت وسيقدم نفسه لافتداء البشرية، ومن ثم يسميه أتباعه (المخلِّص)(١).

فيالله من الضلال الذي يضرب بأطنابه في أرجاء الأرض وأنحاء المعمورة التي خربتها العقائد الشركية والكفرية والوثنية! هل سيجد الدجال صعوبة في جر هؤلاء لفتنته إذا خرج؟! هل يمكننا أن نتصور حجم فتنة تُساق البشرية كلها لها - إلا من رحم الله -؟ بحيث تتكتل خلف إنسان يدعي الألوهية؟! حقا إنها ستكون أعظم فتن التاريخ البشري كما أقسم علىٰ ذلك الصادق المصدوق ﷺ: «والله، ما بين خلق آدم إلىٰ قيام الساعة أمر أعظم من الدجال»(٢).

إنها الفتنة التي كانت كل الفتن وكل الشبهات وكل العقائد الضالة علىٰ مر التاريخ بمثابة إعداد وإمداد لها، كما قال - عليه الصلاة والسلام -: «ما صنعت فتنة منذ كانت الدنيا صغيرة ولاكبيرة إلا لفتنة الدجال»(٣).

إنها الفتنة التي يسارع اليهود والنصارىٰ الزمن لتهيئة العالم لها، ويظنون أنهم سيكونون خارجها.

نحن نؤمن معهم أن المسيح ابن مريم سيعود، ونؤمن معهم أن الدجال سيخرج، ولكن شتان بين إيمان وإيمان وبين عودة وعودة(٤)، فإيماننا: أن عودة

---

(١) راجع مقارنة الأديان/ البوذية، تاليف د. أحمد شلبي، ص ١٨٠.

(٢) رواه مسلم (٨٦/ ١٨) وأحمد في مسنده (الفتح/ باقي ٦٩/ ٢٤).

(٣) جزء من حديث رواه البزار، وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح (الزوائد ٧/ ٢٣٥).

(٤) لعل الله - تعالىٰ - ييسر - في رسالة أخرىٰ، معالجة بعض الموضوعات التي ذكرت في هذه الحلقات من وجهة شرعية إسلامية علمية، بعد أن كثر اللغط واختلطت الأمور علىٰ كثير من الناس في معرفة الحقيقة بين ما يقوله أهل الكتاب، ومايذكر في مصادرنا الإسلامية والمؤلفات التي تدور حولها.

عيسى ـ عليه السلام ـ هي القدر الإلهي الحكيم الذي سيضع النهاية للاختلاف الذي عم الأمم حوله، ولايمكن أن ينتهي ذلك الاختلاف في شأنه إلا بعودته : يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ في البداية والنهاية في كلامه على نزول عيسى عليه السلام : «إن عيسى ـ عليه السلام ـ سينزل إلى الأرض، ويؤمن به أهل الكتاب الذين اختلفوا فيه اختلافاً بيِّناً، فمن مدعي إلهيته كالنصارى، ومن قال فيه قولاً عظيماً، وأنه ولد ريبة وهم اليهود، فإذا أنزل قبل يوم القيامة تحقق كل من الفريقين كذب نفسه فيما يدعيه من الافتراء».

أما الدجال، فلا نشك في خروجه، وإن كنا لا نعلم موعده، ولكن مقصودنا هنا التنبيه على أن اليهود والنصارى يستعدون لخروجه، ومع ذلك فهو مسيح الضلالة الذي تعاقب به أمتي الضلالة، الذين تكبروا عن الإيمان بمحمد سيد الرسل ـ عليه صلوات الله وسلامه ـ وفضلوا أن يبقوا على ديانات منسوخة؛ لم تلبث أن تحولت إلى ديانات ممسوخة بالافتراء على الله والكذب على أنبياء الله يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : «اليهود يتأولون البشارة بالمسيح على أنه ليس هو عيسى بن مريم، بل هو آخر ينتظرونه، وهم في الحقيقة إنما ينتظرون المسيح الدجال، فإنه الذي يتبعه اليهود ويخرج معه سبعون ألف مطيلس[1] من يهود أصبهان»[2].

ويقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ «فالمسلمون يؤمنون بالمسيح الصادق الذي جاء من عند الله بالهدى ودين الحق الذي هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى

---

(١) أي لابس الطيلسان وهو رداء الصلاة عند اليهود ويطلق عليه بالعبرية (طاليت) وهو أشبه في رسمه وأولوانه بالعلم الإسرائيلي اليوم، وما ذكره ابن تيمية هو معنى حديث أخرجه مسلم في صحيحه، انظر صحيح مسلم مع شرح النووي (١٨/ ٨٥ـ٨٦).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ـ تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية، ج١، ص ١٧٧.

مريم العذراء البتول، والنصارىٰ إنما تؤمن بمسيح دعىٰ إلىٰ عبادة نفسه وأمه، وأنه ثالث ثلاثة وأنه الله أو ابن الله، وهذا هو أخو المسيح الكذاب لو كان له وجود[1] فإن المسيح الكذاب (الذي ينتظره النصارىٰ) يزعم أنه الله، والنصارىٰ في الحقيقة أتباع هذا المسيح، كما أن اليهود إنما ينتظرون خروج مسيح، وهم يزعمون أنهم ينتظرون النبي الذي بشروا به، فعوضهم الشيطان من الإيمان به بعد مجيئه انتظاراً للمسيح الدجال.. وهكذا كل من أعرض عن الحق يعوض عنه بالباطل»[2].

الانتظار الانتظار إذن .. هو الموقف الراهن، ومع ازدياد الهوس الألفي باقتراب مجيء المسيح المخلِّص، تتكثف الدعوات من خلال نشرات دورية تنقل عبر شبكات الإنترنت، فتبث الأحاديث المثيرة عن أحداث آخر الزمان، ومن أغرب المواقع المصابة بـ (الفيروس الألفي) موقع بعنوان (كاميرا المسيح) وهو موقع مسلط من خلال صورة حية علىٰ مدار الساعة بكاميرا فيديو علىٰ البوابة الشرقية في القدس القديمة (الباب الذهبي) حيث يؤمن الإنجيليون بأنها ستكون موقع ظهور المسيح عند عودته الثانية إلىٰ الأرض، وقد وضعت تلك الكاميرا إحدىٰ الجمعيات الدينية البريطانية وأخفوها في مكان سري قريب من البوابة، والغريب أن الجمعية وضعت الكاميرا بإذن خاص من بلدية القدس، وباتفاق مع اللجنة المسؤولة عن احتفالات بيت لحم ٢٠٠٠!

إن وضع الكاميرا الآن، يدل - حسب قول المشرفة علىٰ مشروع الكاميرا (كريستين دارج) أن المسيح قد اقتربت عودته، سواء هذا العام، أو الذي بعده!! [جريدة الشرق الأوسط/ ٦/ ١٩٩٩م].

---

(١) أي لو كان لمسيح النصارىٰ بهذا الوصف وجود.

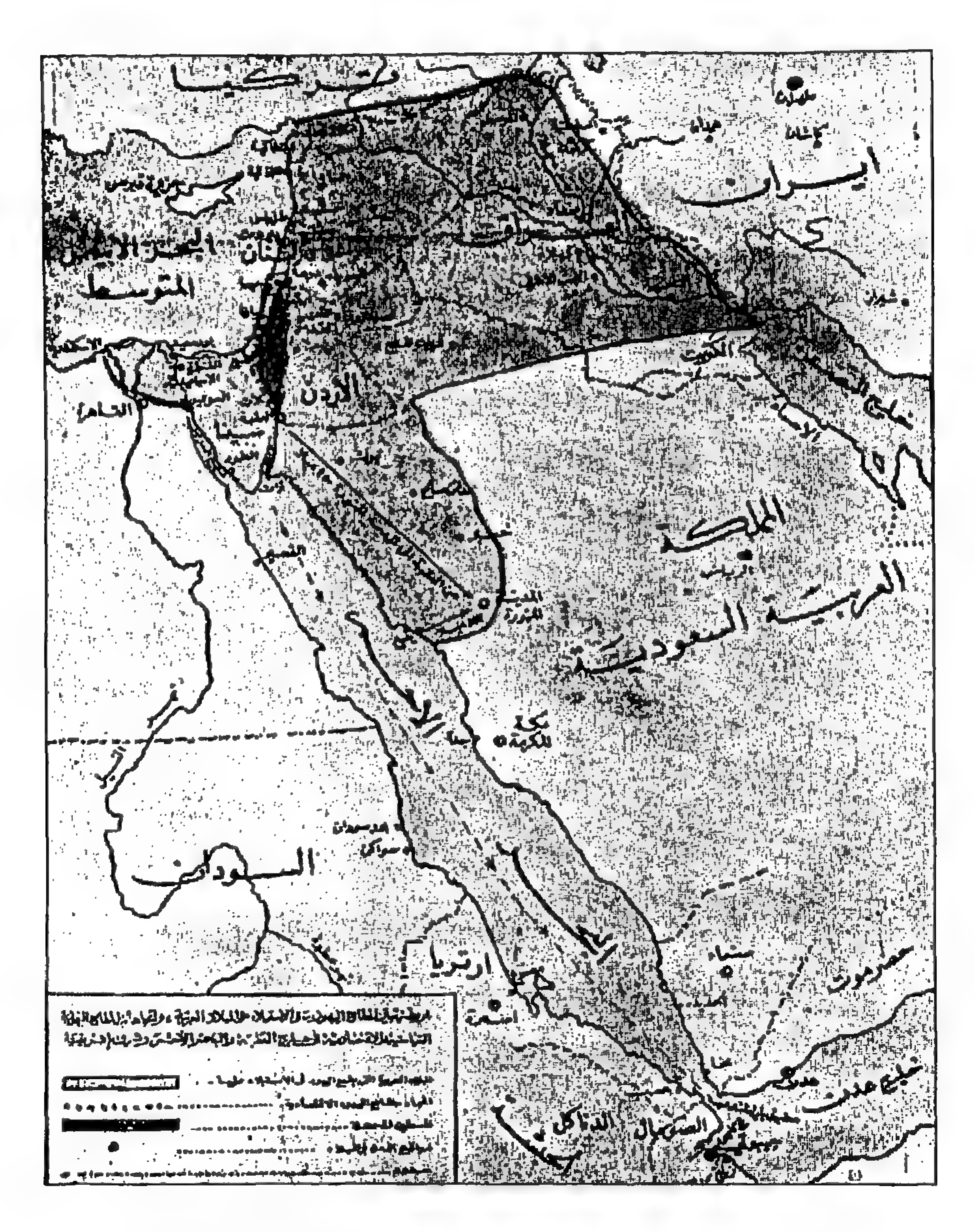
(٢) هداية الحيارىٰ في أجوبة اليهود والنصارىٰ لابن قيم الجوزية، ص ٦٥.

إن اليهود والنصارىٰ يتعجلون اليوم أمر الساعة أكثر من أي يوم مضىٰ، ولا ندري ما هي الأقدار المخبأة وراء تلك العجلة.

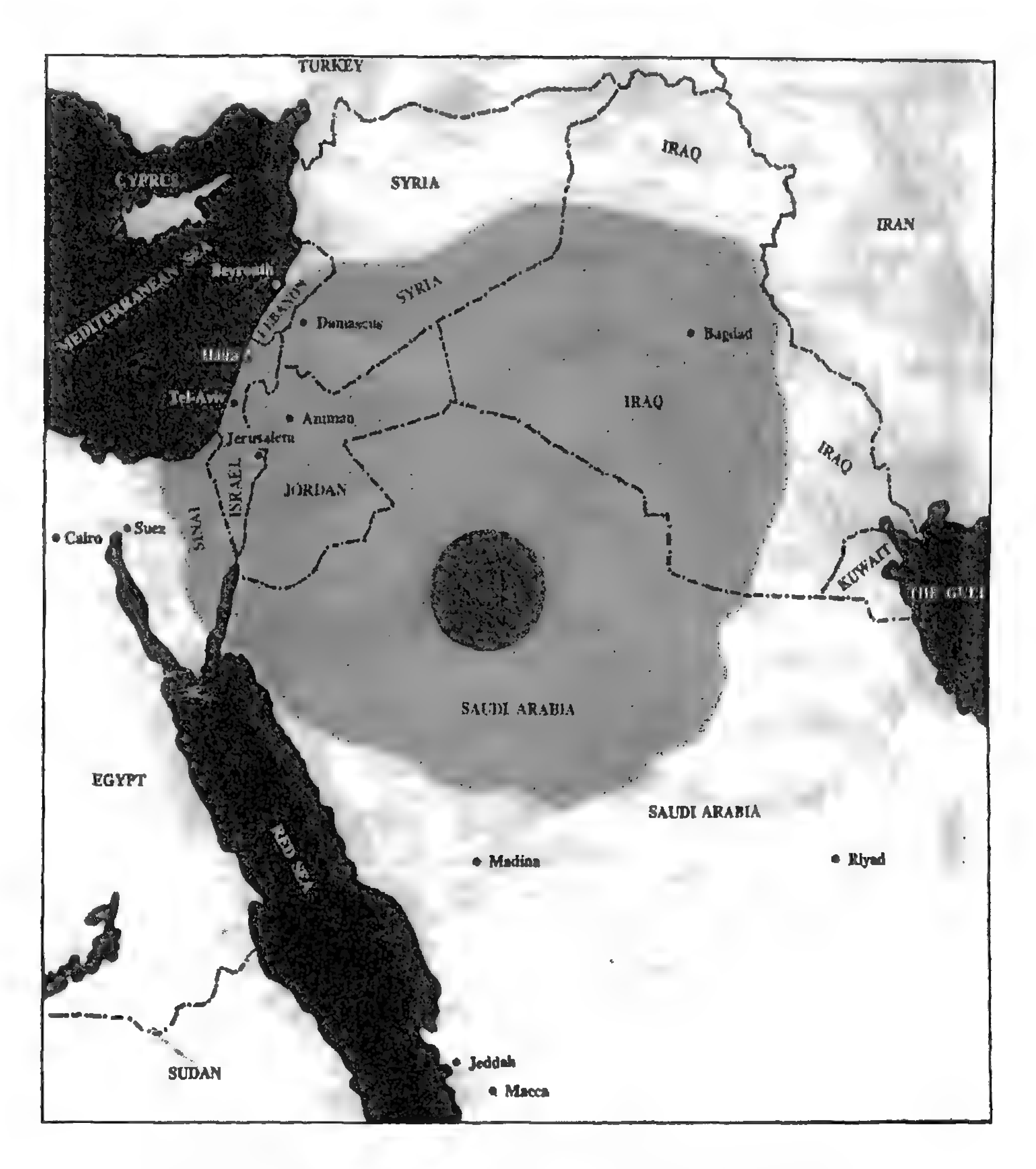
إن أهل الإيمان الحق ليسوا علىٰ عجلة من أمرهم في شيء؛ وهم يعلمون أن الله لا يعجل بعجلة الناس، ويعلمون أن أمر الساعة شيء عظيم، ولهذا فهم لايتعجلونها ولايتعجلون أماراتها، لأنهم يخشون الابتلاء والفتنة ولا يعرف أحدهم هل ينجو في أيام (الفتن والملاحم) فيكون من المهتدين، أم يسقط في الفتنة إذا أشرأبت له فيكون من الهالكين عياذاً بالله، وما أهل الإيمان وأهل الكتاب والساعة إلا كما قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: ١٨].

فاللهم اهدنا إلىٰ سواء الصراط ونجنا من سبل الهلاك.

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦ – ٧]. آمين.



خريطة (إسرائيل الكبرى) كما وجدت في خزائن (روتشيلد) المليونير اليهودي، في أواخر القرن الثامن عشر



حدود (إسرائيل الكبرى) كما نقشت على العملة الإسرائيلية في الثمانينات

العملات المتداولة بين يهود (إسرائيل) من كل الأعمار والثقافات، تذكّر بالرموز الدينية السياسية



الشمعدان بفروعه السبعة فوق خريطة (إسرائيل الكبرى)



الفروع السبعة والثمرات السبعة، رمز ديني واضح ولكن لأي شيء ترمز النخلة في أرض فلسطين التي لا تعرف بالنخيل؟!



(الشمعدان) فروع سبعة، ترمز لأيام الخليقة السبعة

تم انجاز شمعدانات جديدة ويجرى البحث عن القديمة لإكمال طقوس الهيكل الثالث

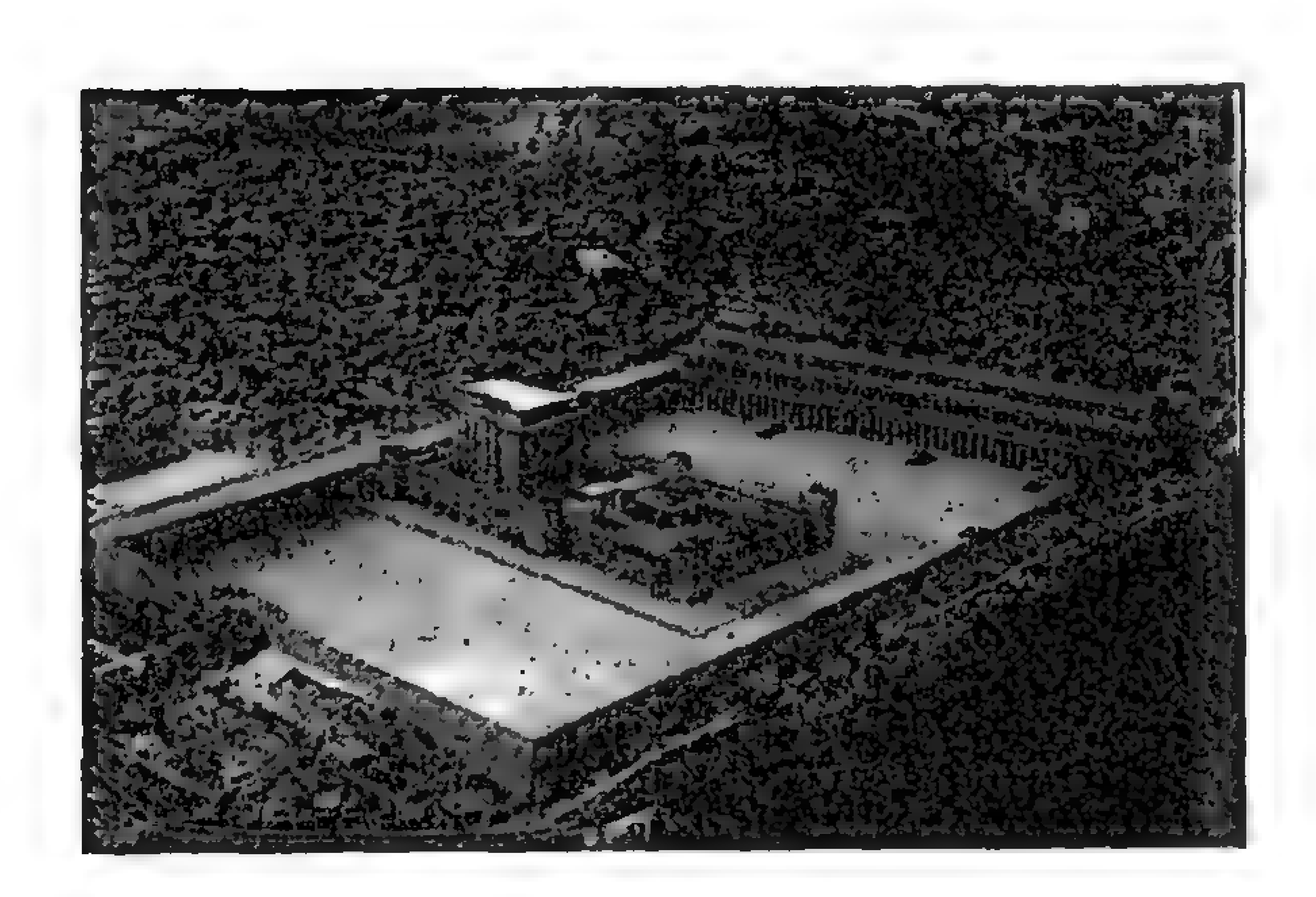
إنه الرمز الرسمي لدولة (إسرائيل)



السور القديم من الهيكل (حائط البراق) أو حائط (المبكى)
كما يسميه اليهود... إنهم لا يبكون فقط!



المسجد الأقصى وما حوله ما زال ينتظر الرجـال



الهيكل الثالث ... قفز فوق المكان والزمان

Ashes for Beauty

by

Jim Long

Worldwide press coverage given the arrival of a red calf in Israel prompted much wild speculation. The news was greeted by Israel's comically left-wing press with the expected hand-wringing and expectations of full scale militant right-wing operations. The commotion has subsided, thanks to a recent revelation. The calf has since sprouted some white hairs, thus rendering it unfit for use. The news of this birth has, once again, drawn attention to the work of Vendyl Jones Research Institutes. It is no secret that, for the past thirty years, Professor Jones has been searching for such Biblical treasures as the Ark; the vestments of the High Priest, including the breastplate; the Tabernacle and a vessel known as the *K'lal.* This latter container holds the Ashes of the Red Heifer. With the recent spate of stories surrounding the birth of a red calf has come the question: why are we looking for the ashes of previous red cows?

The ritual of purification using the Ashes of the Red Heifer is one of the least understood of Hashem's commandments. Though these ashes were necessary to cleanse anyone entering the Temple, even the wise Solomon confessed that this was a riddle far from him.

[According to the Midrash (Numbers Rabba 19:3), when King Solomon wrote, *"Amarti achakhema vehi rechokah mimeni*— I said I would acquire wisdom, but it is far from me" (Ecclesiastes 7:23), he was alluding to his inability to comprehend some of the profound paradoxes involved in the commandment of the Red Heifer. This connection is verified in his use of the words *vehi rechokah,* which have the same gematria (441) as the words *parah adumah,* red heifer!]

The Hebrew text reveals why the practice is so shrouded in mystery. More than a commandment, this is a *chukah,* an ordinance that is to be followed without question or understanding. From the Talmudic commentaries we can glean that only Moses fathomed the physical and spiritual properties of the process.

The Jewish Sages do offer a hint to this puzzle by linking the Red Heifer with the sin of the Golden Calf. The idol was burned and pulverized. This powder was poured into water and the Israelites were forced to drink it. Also of note are the continual references to burning the red cow, since the Golden Calf was not sacrificed but burned. It is the powdered form of the Red Heifer, the ashes, that is mixed with water to purify the children of Israel. And red is the color of sin is as alluded to in Isaiah 1:18,

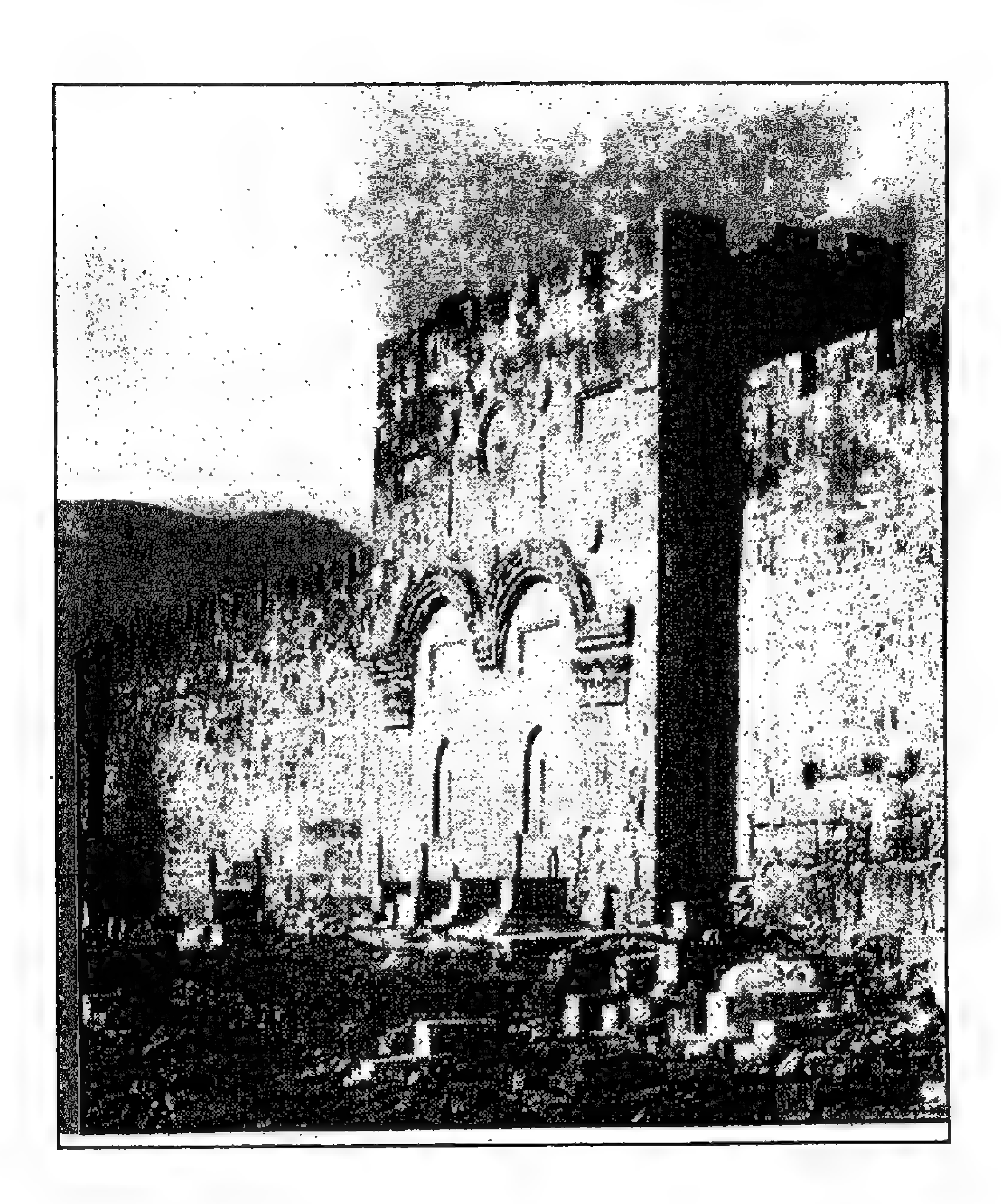
"Though your sins be like scarlet, they shall be white as snow..."

There may be another intriguing clue in the apocryphal Book of Enoch. In chapter 84, section 17, he tells his son Methushela of a dream. Its prophetic imagery portrays the key figures of biblical history as animals:

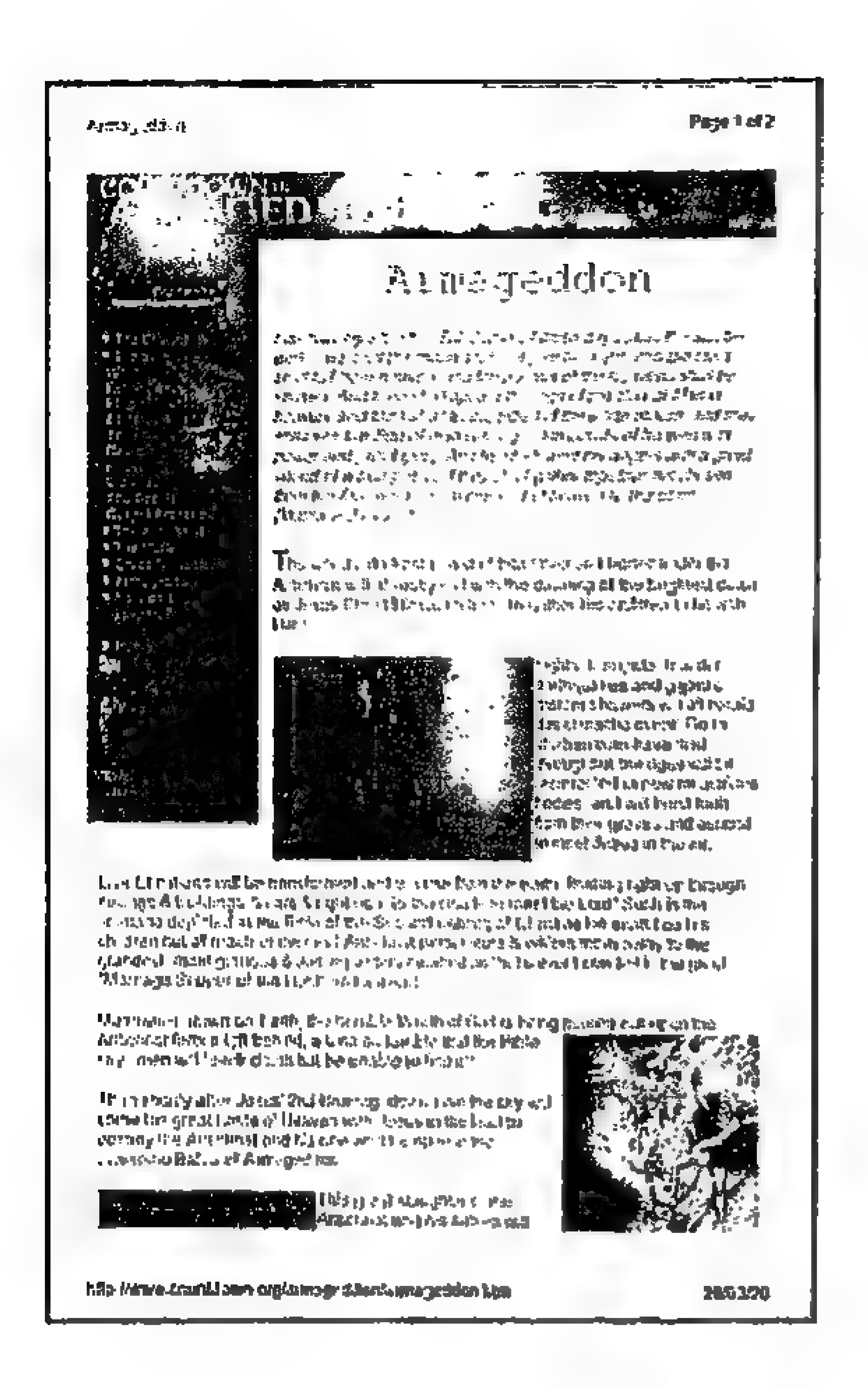
"I saw a vision in my bed; and behold, a cow sprung forth from the earth; and this cow was white. Afterwards a female heifer sprung forth: and with it another

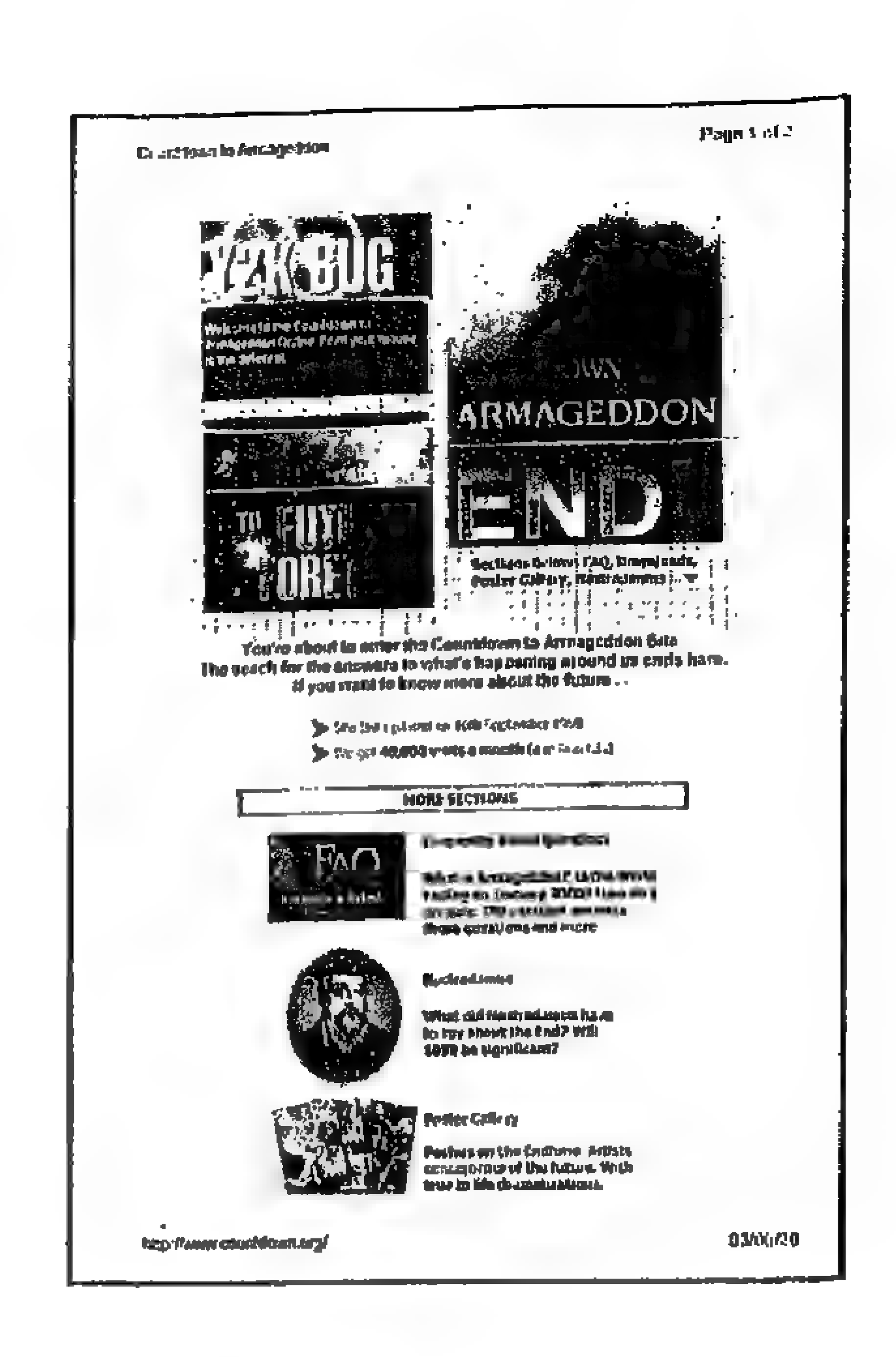
http //www.vendyljones.org il/redcow.htm 04/06/20

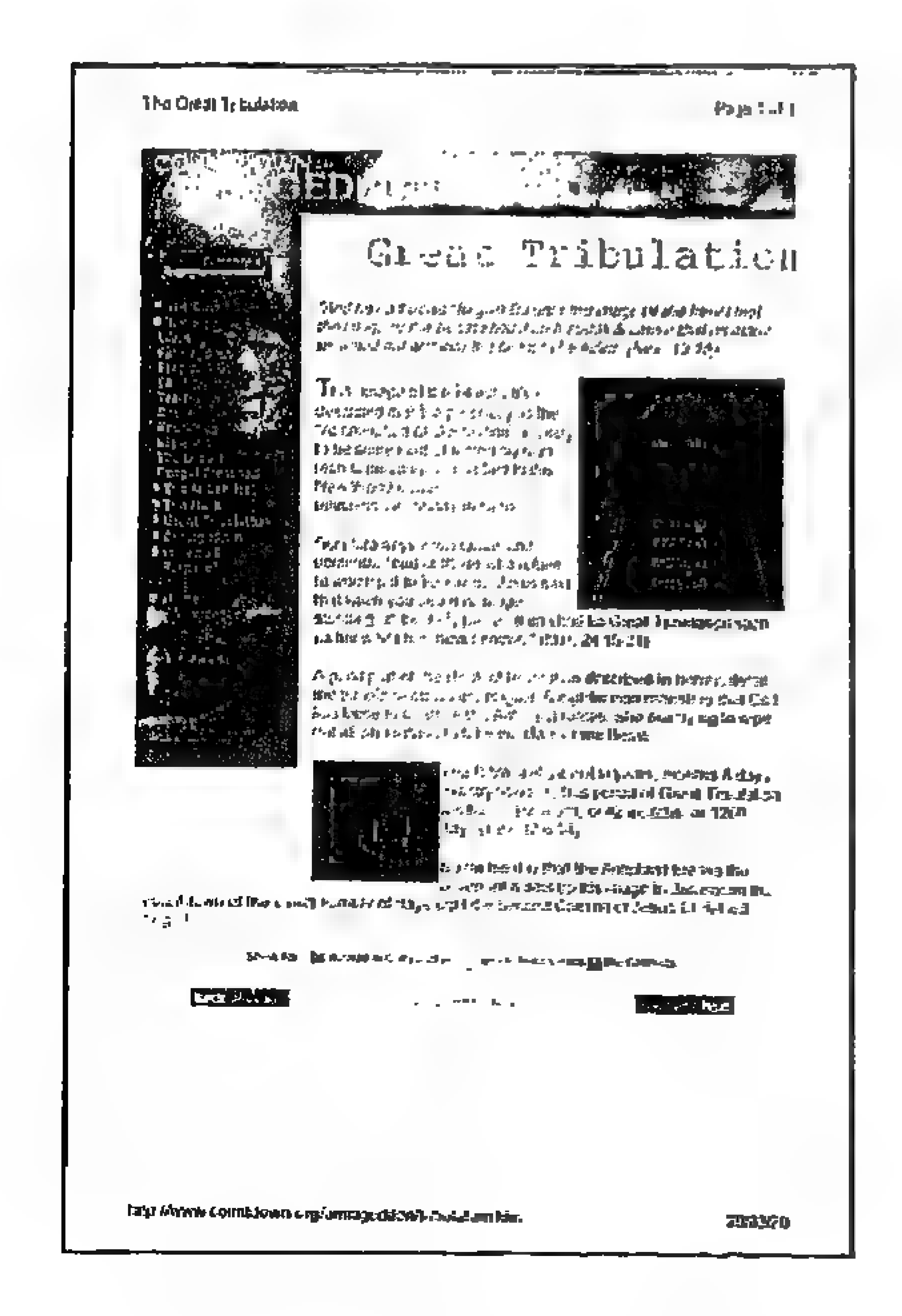
البقرة الحمراء (ميلودي) ... لا يمكن التعبد في (الهيكل) إلا بعد حرقها والتطهر برمادها، إنها تنتظر الذبح أو الاستبدال

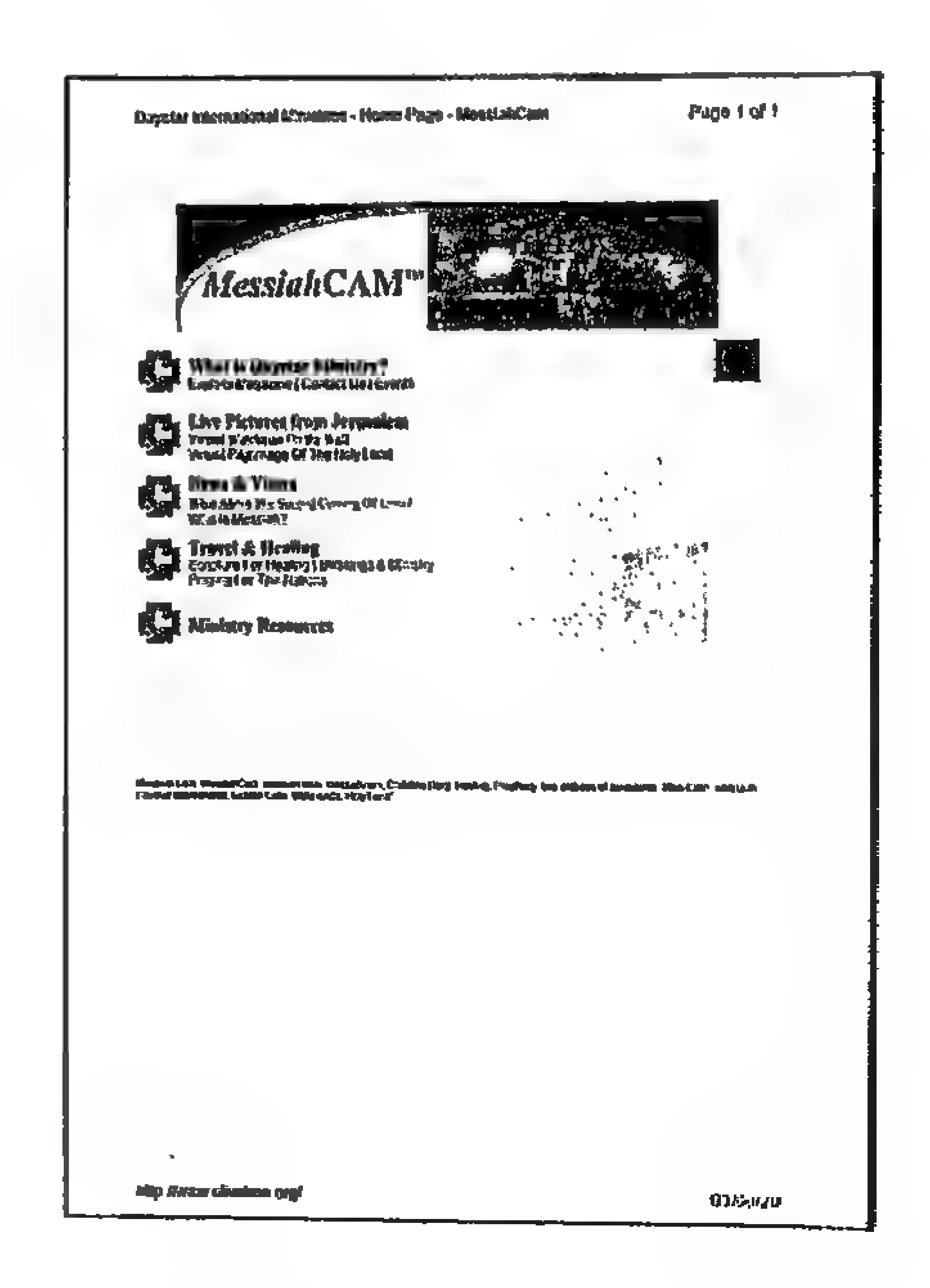


البوابة الشرقية أو (الذهبية) ... كاميرا حية على موقع بالإنترنت
لتسجيل وبث لحظة نزول المسيح !!

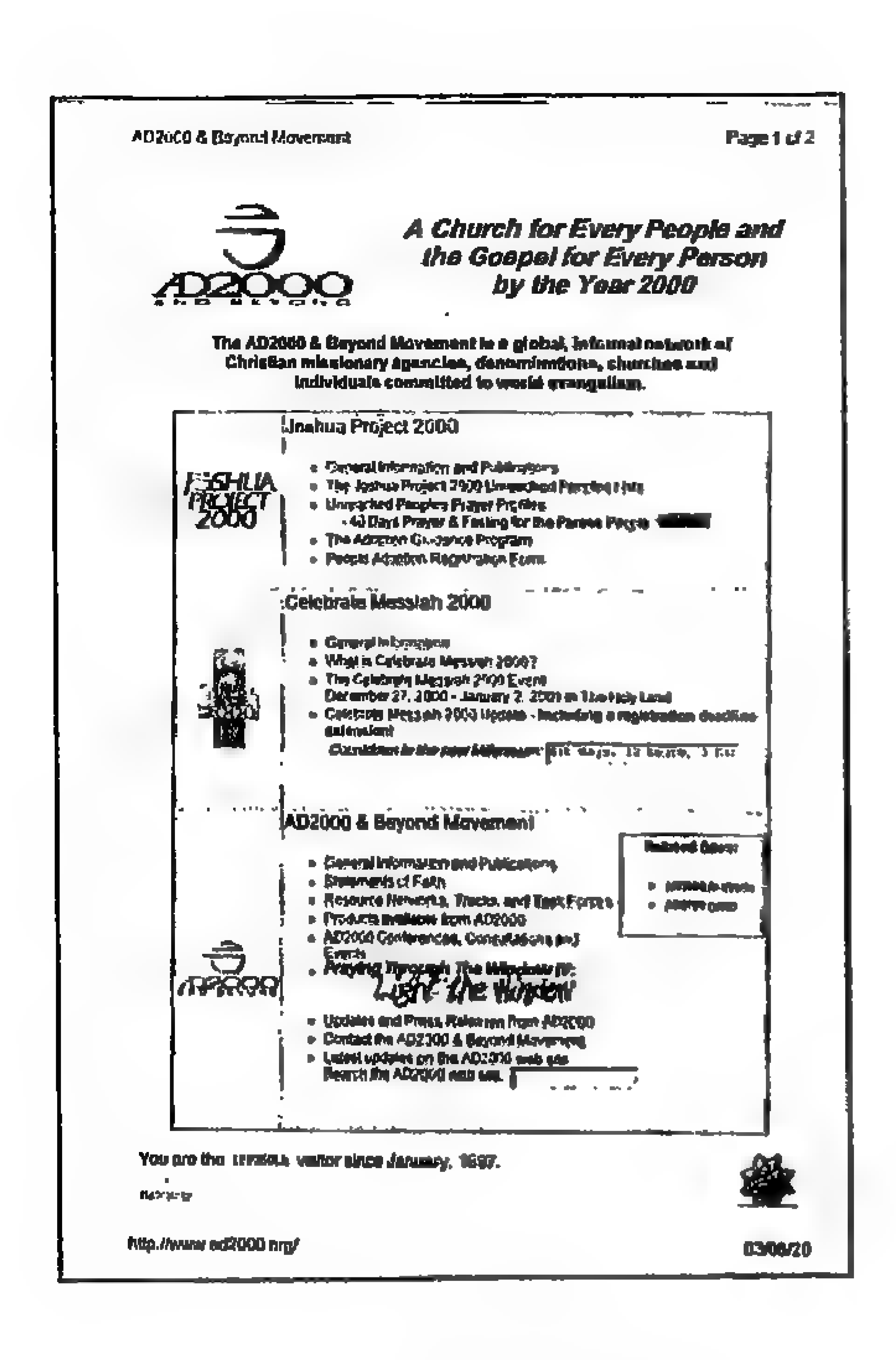


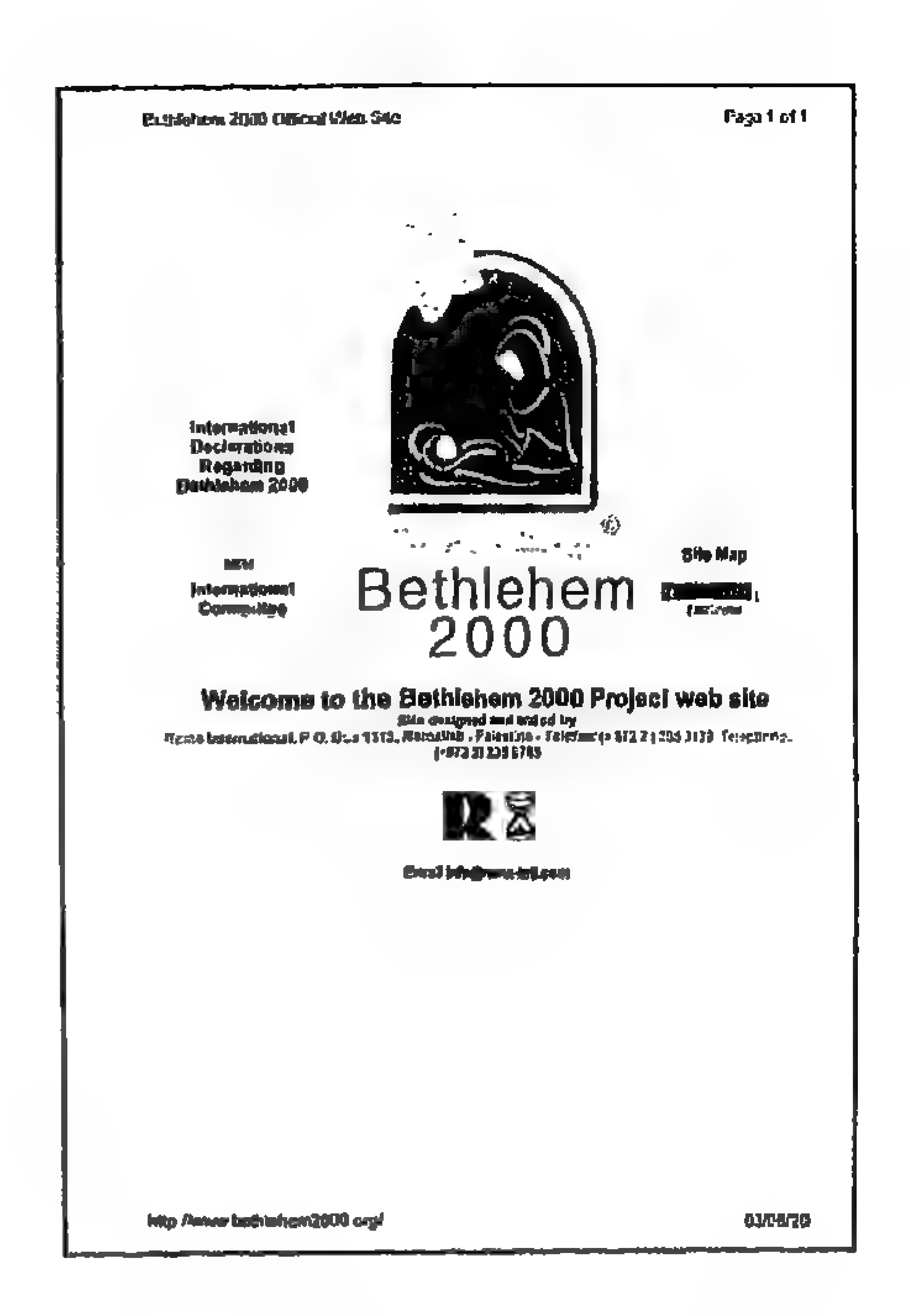


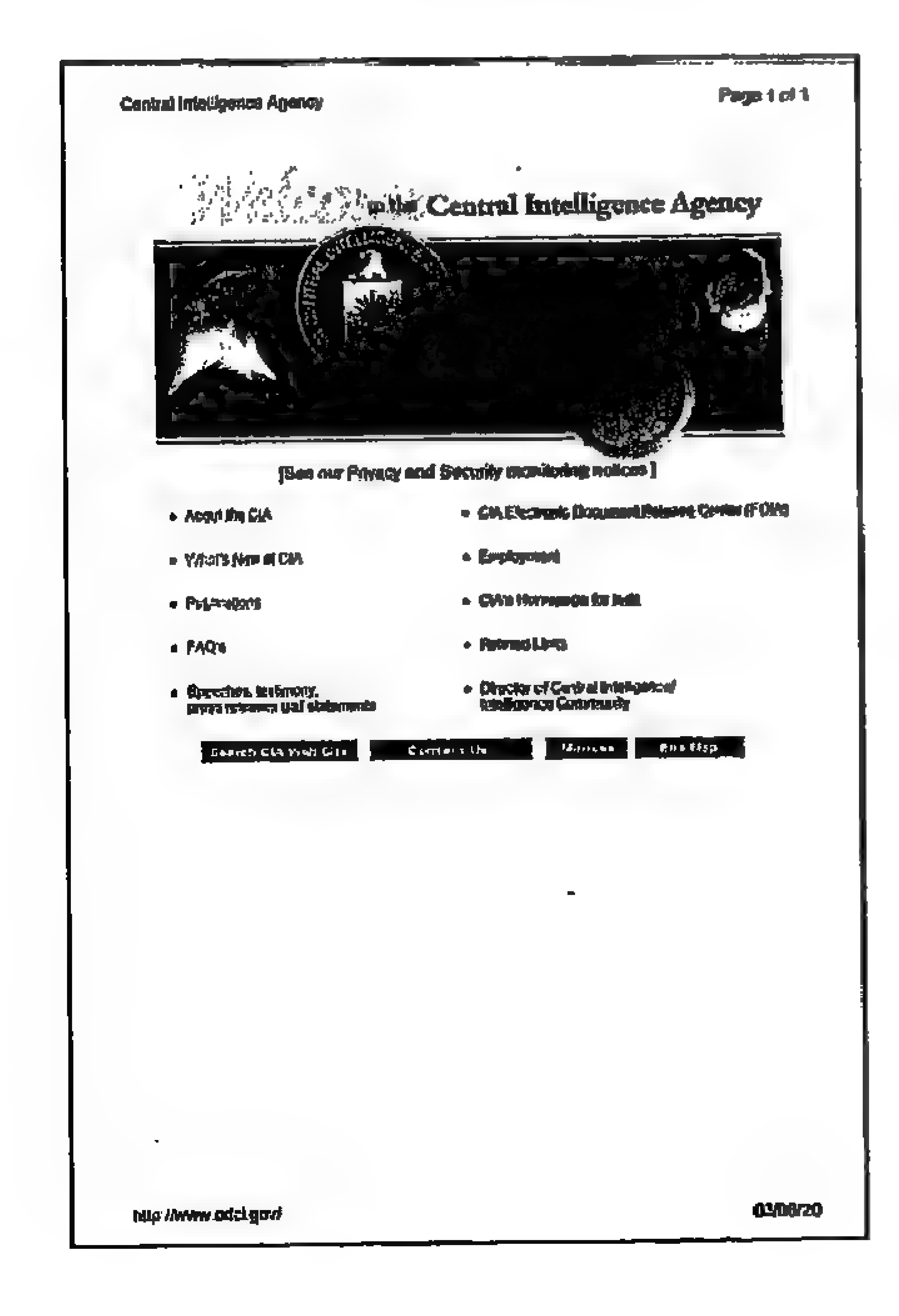


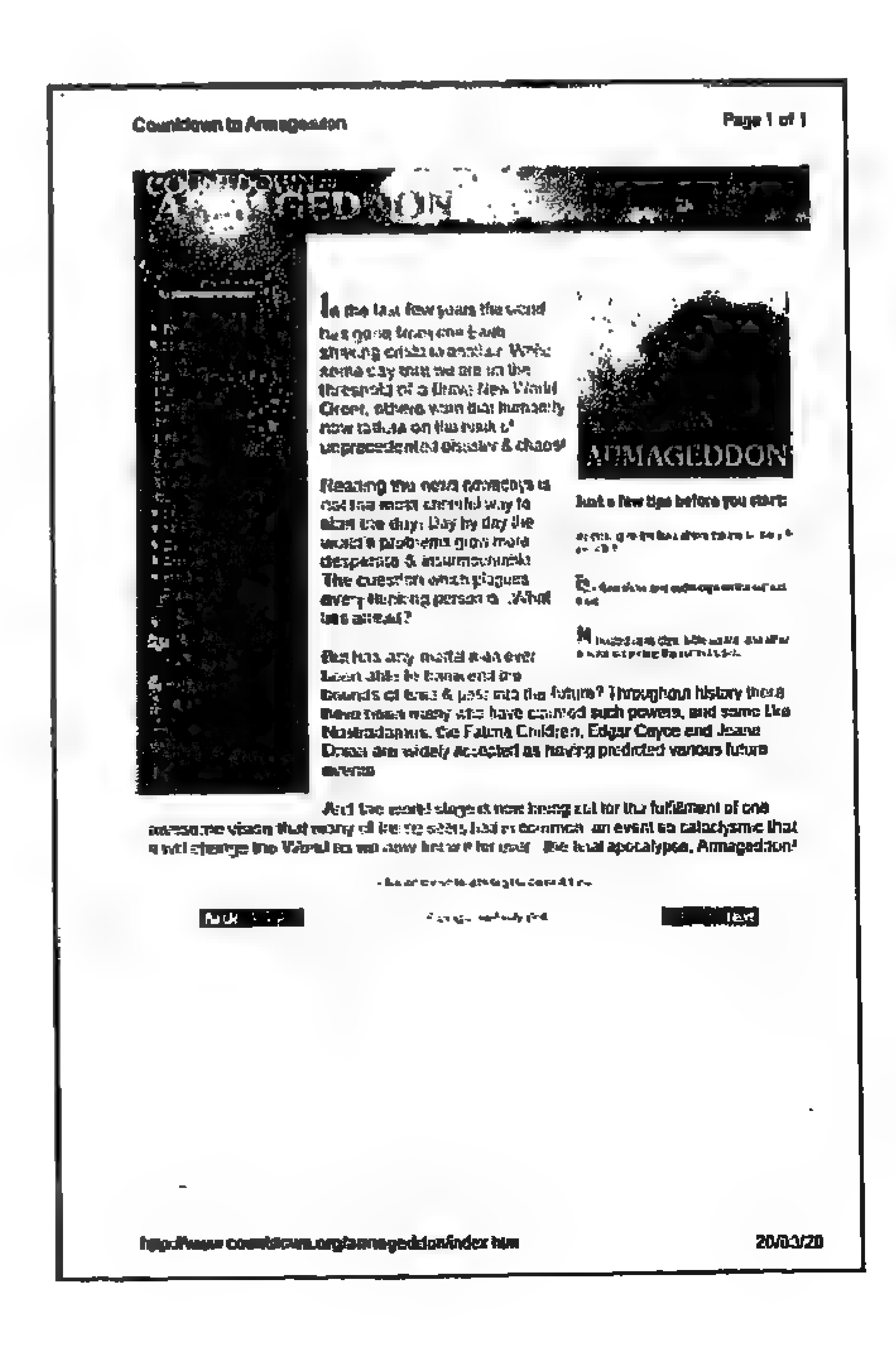


الحمى الألفية على مواقع بالمئات على الشبكة العنكبوتية


AD2000 & Beyond Movement
Page 1 of 2
A Church for Every People and the Gospel for Every Person by the Year 2000
The AD2000 & Beyond Movement is a global, informal network of Christian missionary agencies, denominations, churches and individuals committed to world evangelism.
Joshua Project 2000
Celebrate Messiah 2000
AD2000 & Beyond Movement
http://www.ad2000.org/
03/08/20


Bethlehem 2000 Official Web Site
Page 1 of 1
International Declarations Regarding Bethlehem 2000
Site Map
Bethlehem 2000
Welcome to the Bethlehem 2000 Project web site
03/08/20


Central Intelligence Agency
Page 1 of 1
Welcome to the Central Intelligence Agency
About the CIA
What's New at CIA
Publications
FAQs
Employment
Related Links
http://www.odci.gov/
03/08/20


Countdown to Armageddon
Page 1 of 1
ARMAGEDDON
20/03/20

الخاتمــة

هذه وقفات رأيت ضرورة تسجيلها..

أولاً: إن ما ينتظره أهل الكتاب من توقعات مرتبطة بالألفية الجديدة، قد يقع أكثره أو أقله، ووقوع شيء مما يتوقعونه ويبشرون به، ليس دليلاً على أن الحق معهم، وما لن يقع؛ ليس دليلاً على أننا نتقوَّل عليهم.

إن قصارى ما نقول في أمرهم - إذا وقع شيء مما يقولون به - أن يكون ذاك من بقايا ما أخبرت به الرسل - عليهم الصلاة والسلام -، أو أن يكون استدراجاً لأهل الكتاب وزيادة في فتنتهم إذ اختاروا الفتنة لأنفسهم، أو أن يكون ذلك تصديقاً لسُنة ترتب النتائج على مقدماتها والأسباب على مسبباتها، فالأخذ بالأسباب له نتائجه ولو كان الآخذون بها من أهل الباطل، وتعطيل الأسباب له نتائجه ولو كان المعطلون لها من أهل الحق.

ثانياً: قد تتأجل عند أهل الكتاب بعض أحلامهم لعام آخر بعد نهاية العام ١٩٩٩م، إذ أن القرن الحادي والعشرين لن يبدأ في الحقيقة إلا بنهاية العام ٢٠٠٠، وليس ببدايته، فهكذا تحسب القرون، فالقرن الميلادي الحالي سيتم بتمام السنة ٢٠٠٠ وليس بنهاية السنة ١٩٩٩م، كما هو شائع خطأ. بل إن التأريخ لميلاد المسيح، لم يبدأ - عند المحققين من المؤرخين - إلا بعد أربع سنوات من ميلاده - عليه السلام -.

إن هذا يعني أن مسلسل حمى سنة ٢٠٠٠، لن ينتهي بنهاية العام ١٩٩٩م، بل سيمتد لعام آخر، بل ربما أعوام.

ثالثاً : ماتم إيراده في هذا الكتاب من معلومات عن الأحلام والأوهام الألفية المستقبلية لأهل الكتابين، ليس إلامجرد رصد لظواهر لافتة تجمع بينها روابط عقدية يؤمنون بها، ورصد الظواهر لا يعني بالضرورة تصديقها أو الموافقة على التحليلات المرتبطة بها، إنما المقصود من رصد تلك المظاهر؛ وصف خطورتها وتفاعلاتها العملية المحتملة، والتنبيه على عظم المسؤولية الملقاة على المسلمين لإيقاف هذا الموج الهائج في بحر الظلمات .

رابعاً : قد يقال بأن مثل هذه الكتابات ؛ يمكن أن تشيع روح اليأس والإحباط في النفوس! والجواب : إن نفوس أهل الإيمان مطمئنة إلى أنه لا حول ولا قوة لأحد إلا بالله، فمهما علا الباطل وقدر وتجبر، فهو تحت قهر العلي القدير، والذي أمدَّ لأهل الباطل وأملى لهم فلن يخرج عما حكى الله لنا أمرهم في كتابه : ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: ٤٦] ثم قال : ﴿فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٧] فأي حسبان يتحسب له اليائسون والمُحبطون ؟! إنه لا ينبغي لمن يستقوي بالقوي العزيز أن يهن أو يضعف ، فضلاً عن أن يستدرج إلى يأس أو إحباط : ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ .

[آل عمران : ١٣٩]

خامساً : إن ضخامة وجسامة التحدي الذي يفرضه اليهود والنصارى على الأمة الإسلامية اليوم، سرعان ما يتكشف أنه ثمرة تحالف غير مقدس لتخويف المؤمنين، ونحن مأمورون بألا نستجيب لهذا التخويف ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] . فخوفنا من

الله ورجاؤنا فيه، ومحبتنا له ولأوليائه، هي المخرج من كل خوف، والرجاء عند كل خطر، والعافية من كل فتنة.

سادساً: عندما يشتد الظلام، يؤذن الليل بالرحيل، ويتأذن الفجر بالبزوغ، وعندما يستغرق الظلم جنبات الأرض، فاعلم أن العدالة ستحل من السماء. وما عندنا من أخبار الوحي الصادق، تبشر هذه الأمة بأعلى درجات السناء والرفعة والتمكين قبل أن تطوي الدنيا أيامها، فما لم يحدث في الزمان الأول من غلبة سلطان الإسلام على بقاع الأرض كلها سيحدث فيما يسميه أهل الكتاب (الأيام الأخيرة) فإذا كنا فعلاً نعيش هذه الأيام -كما يقولون- فيا خيبة كل من عارض الإسلام أو وقف في طريقه، إن الإسلام سيجرفهم بطوفانه الهادر، الذي سيقصم الله به ظهر كل طاغية جبار، وعندها سيتم (تجفيف منابع) الظلم، بـ(المواجهة الشاملة) لجند الباطل، و (الإجهاض المبكر) لمؤامرات حزب الشيطان، و (مكافحة الإرهاب) الذي طالما سلوا سيفه و (محاربة التطرف) الذي صدهم عن قبول الحق، عند ذلك ستزول العقبات عن طريق دعوة الإسلام التي ستبلغ كل منهل، وتصل كل أرض: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٥١]. قال الصادق المصدوق ﷺ: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر»(١).

سابعاً: إذا كنا على يقين بأن الله سينصر دينه ويعلي كلمته كما قال -سبحانه وتعالى-: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١]، فإن هذا النصر

---

(١) أخرجه أحمد في مسند حديث رقم (١٦٥٠٩).

يستدعي نصرة منا أولاً: ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ [محمد: ٧] ونصرة الدين مسؤولية الجميع، وحذار أن يضع أحدنا نفسه خارج الدائرة، أو يكتفي بأحد كراسي المراقبة والمشاهدة عن بُعد، إن أحدنا إن فعل ذلك يكون خاسراً شرف المشاركة في نصرة الإسلام في زمن الغربة، هذا من ناحية، ويكون محروماً من أجر الله العظيم لمن أحسن عملاً، من ناحية أخرىٰ، ومع هذا وذاك؛ يكون مفرطاً في حق نفسه، وأهله وأرضه وعرضه، وقبل هذا في حق ربه الذي خلقه فسواه فعدله، فهل جهَّزنا إجابة إذا سئلنا عن نعم الله علينا، ماذا عملنا فيها؟

أظن أن لدينا الكثير من النعم التي تحتاج إلىٰ شكر، والعمل لنصرة الدين من أعظم الشكر: ﴿اعملوا آل داوود شكرا وقليل من عبادي الشكور﴾ [سبأ: ١٣].

ثامناً: عندما تمر السنوات الأولىٰ للألفية الثالثة، فإن اليهود والنصارىٰ، سيكونون بين أمرين؛ إما أن تتحقق بعض أحلامهم، فيزدادون عند ذلك فتنة، ويزدادون بالتالي طغياناً، وإما أن تتبخر أحلامهم الكبار، فيذيع الشك بينهم في أصول دينهم، ويزدادون ارتياباً وحيرة وضلالاً، وعلىٰ كلا الاحتمالين، فمسؤولية أهل الإسلام في السنوات المقبلة عظيمة، فهم إما أن يجدوا أنفسهم أمام مرحلة مفروضة من الصراع الديني الصريح، أو يفاجأوا بتبعة دعوية ثقيلة، ستنشئها موجات الارتياب وربما الارتداد الذي يمكن أن ينتشر بين الكتابيين عندما تصطدم عقائدهم الزائفة أمام صخرة الحقيقة والواقع، فمن لهؤلاء الضالين يهديهم إلىٰ صراط الله المستقيم إذا تطلعوا للبحث عنه، إنها تبعة جسيمة، لا بد أن يتهيأ لها أهل الدعوة من أمة البلاغ، خير أمة أخرجت للناس.

تاسعاً: إذا كان الكلام قد كثر في الكتاب عن حتمية الصراع بين أهل الحق من المسلمين، وأهل الباطل من الكتابيين، فإنه يجدر بنا هنا أن نقول: إن ما بيننا وبين أهل الكتاب ليس احتراباً فقط، ولكن دعوتنا لهم هي الأصل، أما الجهاد والجلاد فهو لمن طغىٰ وبغىٰ منهم، ولاينبغي أن تنسينا غلبة الطغيان والبغىٰ فيهم؛ أنهم محل دعوتنا قبل أن يكونوا محل جهادنا: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

صحيح أن المرحلة قد تكون مرحلة مواجهة مفروضة، ولكن من قال أن المواجهة هي مواجهة الحروب فقط؟ إنها أيضاً مواجهة العقول والأفكار والحجج والبراهين.

وإذا كان النصارىٰ مثلاً يملأون الدنيا نشاطاً باسم (التبشير)؛ فماذا أدينا نحن تجاه دعوة البشير النذير ﷺ وأنا أسأل هنا سؤالاً محدداً: أمام عشرات، بل مئات المواقع علىٰ (الإنترنت) والتي تتحرك في العالم بدعوات مفعمة بالتبشيرات الألفية، المنطلقة من العقائد الباطلة؛ كم يا ترىٰ عدد المواقع الإسلامية في الإنترنت أو غيره، التي تطرح علىٰ القوم دعوة الحق في مقابل دعواتهم المرتبطة أساساً بمسائل عقدية في الألوهية والرسالة والنبوة والوحي والبعث؟ إنهم يخاطبون العالم كله اليوم بخطاب الخرافة، فمن يخاطبهم ويخاطب هذا العالم بحديث الحق والصدق الذي يكشف زيف ما يدّعونه وما يدعون إليه؟!

عاشراً: العلمانيون سيبرهنون ـ كعادتهم ـ على شدة الغباء في التعامل مع الظروف المصيرية التي تتعرض لها الأمة، فغالب الظن أن نصيبهم من التفاعل مع تداعيات الألفية، هو الالتهاء بالمشاركة في مظاهرها الاحتفالية الشركية التي تعظم فيها الصلبان، وترفع فيها الأوثان، ويتضاعف فيها العصيان وتنتهك فيها العقائد.

إن هؤلاء (العوام) المتربعين على كراسي القيادة والريادة الفكرية والإدارية لأمة الإسلام، فإنهم لم يفهموا، ولن يفهموا أبعاد الصراع الديني الواقع والمتوقع، ولذلك فإنهم ـ إلا من شاء الله رحمته ـ سيكونون أول ضحايا الفتنة في الدين إذا عرضت أسبابها، وسيكونون أول الفارين من ساحات النزال، إذا ما نودي على من يحبون الشهادة أن هلموا للذود ـ في سبيل الله ـ عن الذات والمقدسات.

ولا شك أن هذا أيضاً مما يضاعف من مسؤولية أهل الإسلام الصادقين.

حادي عشر: في أزمنة الفتن والاستضعاف، تتعلق النفوس كثيراً بالمغيبات، والغيب حق، والإيمان به أول صفات المتقين في القرآن الكريم، ولكن الإيمان بالغيب أقوى دافع للعمل في عالم الشهادة، هكذا تعامل خير أجيال البشر من الصحابة ومن تبعهم ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ مع الغيب، أما أن تتخذ من أخبار الغيب تكأة للقعود والخمول باسم الانتظار، فهذا ليس دأب الفاقهين لسنن الله في الأنفس والآفاق، وقد شاعت في أوساط المسلمين في الآونة الأخيرة موجة حُمِّية أشبه بالموجة الحمى الألفية غير أنها تختلف عنها من حيث مصادرها وموضوعها، فنحن نسمع بين آن وآخر عن كتب تصدر ومقالات تدبج، وأشرطة توزع، تتحدث عن إرهاصات أخروية أقرب ـ ربما ـ مما يتحدث

عنه أهل الكتاب، فيما يتعلق بقرب القيامة وقرب مجيء المهدي ، بل وجوده بالفعل حياً بيننا!![1].

ولست بصدد مناقشة تلك الأقوال الآن، ولكن أنصح نصيحة مشفق حريص: ألا نصنع بأنفسنا أجواءً تتفرخ فيها أفكار الانتظار أو ادعاءات المهدوية أو انتحالات السفيانية[2] والعيسوية ، فقد حذر رسول الله ﷺ من (مسحاء كذبة) ، فحذار أن نستخرج من بيننا مسيحاً كذاباً ، أو مخلِّصاً دجالاً فليس لمثل هذه الدعوات من مناخ أنسب من المناخ الذي يمكن أن تشيعه انعكاسات الحمى الألفية في أوساط المسلمين.

ثاني عشر: لله ـ تعالى ـ أحكام شرعية، وأحكام قدرية، ونحن متعبدون بالأحكام الشرعية من تكليفات وأوامر ونواه، أما الأحكام القدرية التي تدخل فيها المغيبات المستقبلية ، فنحن غير متعبدين إلا بالتصديق بها ، ثم الامتثال لأحكام الله الشرعية فيها إذا جاء أوانها، ومع ذلك فإن الله ـ تعالى ـ لم يتعبدنا بالانتظار حتى تقع الأقدار خيرها أو شرها؛ ولكن تعبدنا بالإعداد والاستعداد لملاقاة أي خطر قائم أو قادم يتهدد ديننا وأمتنا ودعوتنا.

وأخيراً: هذا سؤال يتردد في القلب والعقل . . إلى متى نظل نمثل نحن (رد الفعل) ويقوم أعداء الأمة بـ(الفعل) ؟ أما آن لنا أن ننتقل من دائرة ردود الأفعال إلى دائرة الأفعال؟

سؤال ينتظر الإجابة في زمن الانتظار!!

---

(١) كما قال ذلك صاحب كتاب (البيان النبوي).

(٢) السفياني رجل جاء ذكره في الأحاديث على أنه سيكون قبيل خروج المهدي مباشرة وأنه سيهزم الروم واليهود ويفتح أكثر بلاد العرب وقد زُعم في الكتاب المذكور أنه (صدام حسين)!!!

المحتــوى

الموضـــوع	الصفحـــة

الموضــــوع الصفحــــة

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحـــة

هذا الكتاب

لقد كانت النقلة إلى الدين منذ ثلاثة عقود بعد حرب ١٩٦٧م تحديداً، ناجمة عن المنعطف الصعب والصدمة الشعورية لدينا ولدى أعدائنا على حد سواء، فبينما فتنتهم الانتصارات فقد نبهتنا الانكسارات، وهكذا تحدث التحولات في مجرى حياة الأمم عندما تلقى الأحجار في مائها الراكد.

وإنني أتصور أن هناك نقلة أخرى كبيرة ـ بعد النقلة التي أحدثتها حرب الأيام الستة، سوف تحدث تحولاً أعمق وأوسع في المشاعر الدينية عند أصحاب الديانات الثلاث وربما غيرهم، وتلك النقلة المتوقعة سيكون موضوعها ونقطة انطلاقها مع حلول عام ٢٠٠٠ وبدايات القرن الحادي والعشرين للميلاد. ذلك أن عام ألفين سيفصل بين قرنين أو قل بين عصرين، عصر كان يمثل مرحلة المخاض، وعصر تتطلع فيه الأمم إلى الميلاد، فاليهود يرون في العصر القادم عصر العلو الكبير والسيطرة الكاملة والعودة الجماعية لأرض الميعاد، والنصارى يرون فيه عصر الخلاص العالمي، والتعميد الأممي الذي سيعود بعودة المسيح إلى الأرض.

أما المسلمون فالمتوقع أن تتحرك حميتهم الدينية الجماعية مرة أخرى عندما يسمعون دق طبول الحرب على أبوابهم تخالطها أبواق اليهود وأجراس النصارى فعندها .. وعندها فقط ـ والله أعلم ـ سيجتمعون حول صيحات الأذان، وسيفهمون رنات التكبير ويفقهون كلمات الشهادة.

المؤلف